

obbeikan.com

شامبالا

الكتاب : شامبالا  
المؤلف : عمرو مرزوق  
تصميم الغلاف : أسامة علام  
تدقيق لغوي : أحمد أسامة  
رقم الإيداع : 2015/22899  
الترقيم الدولي : 978-977-778-043-8  
الطبعة الأولى : 2016

20 عمارات منتصر – الهرم - الجيزة  
ت-02-35860372 011-27772007  
[Noon\\_publishing@yahoo.com](mailto:Noon_publishing@yahoo.com)  
جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر



# شامبالا

رواية

عمرو مرزوق



obeikan.com

## إهداء

وكأننا لم نأت إلى هذه الحياة إلا لنتجرع مرارة  
فراق من نحب..

الآن وبعد روايتى السابقة "ميدوم"، أعود إليكم بعمل جديد.. وكالعادة من نوعٍ آخر.. ففى القصة التى بين أيديكم اليوم سعيت لإبراز موضوع هام جدًا لم يلتفت إليه الكثيرون..

هل نحن فعلاً من نسكن الأرض بمفردنا؟  
لا أقصد عالم الجن وما يوازيه من عوالم أخرى.  
ولكنى أقصد هؤلاء.. الموجودين في مكانٍ ما.. لا نعلمه.. ولكنهم موجودين..  
في الديانات السماوية تأكَّد وجودهم..  
في مفاهيم الشرق الأدنى تأكَّد وجودهم..  
هم في مكانٍ ما في انتظار الإشارة لغزو الأرض..  
أود الإشارة أن كل المعلومات والأشخاص والمواقف التي وردت في الرواية  
صحيحة ومثبتة بالمراجع في نهايتها.. وفيما يتعلق بالشق الدرامي فمن خيال  
المؤلف.  
لن أطيل عليكم.. ولكن أعدكم هذه المرة بعملٍ مختلف..  
لقاريٍّ مختلف..  
تماماً..  
فأرجو أن ينال إعجابكم..

obeikan.com

# الفصل الأول

(كُلُّ مِنَّا مُقَدَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ)

وببيكاهن.كوم

(نينغشيا أحد المقاطعات في شمال غرب الصين في نهايه عام 1932 )

كانت السيارة تصعد على طريق جبلي غير ممهد بجوار ذلك النهر الأصفر الذى يجرى داخل أراضى تلك المنطقة الصحراوية من أرض الصين وبداخل السيارة كان هناك رجلان أحدهما ذلك الشاب الجالس على يمين السائق والذى ينظر خلفه باستمرار ليراقب إن كان هناك من يتبعهم فى ذلك الوقت المتأخر من الليل بالرغم من ندرة السيارات فى ذلك الوقت..وعندما اطمئن من عدم وجود من يتبعهم اعتدل فى كرسيه وبدأ ينفث دخان سيجارته قائلاً فى توتر واضح بلغة إنجليزية موجهًا حديثه الى العجوز قائد السيارة :

- ادوارد..أنا لا أستطيع أن أتمالك نفسى عما نحن مُقَدِّمُونَ عليه..هل أنت واثقٌ من تلك العواقب ؟
- اسمعنى جيداً يا نور هذه فرصتنا الأخيرة إن كنا سننفذ ما نوبنا عليه لقد أخبرتك من فترة أنى تأكدت من سوء ما نفعله..لقد تم الإيقاع بنا يا عزيزى ولا مفر من هروبنا منهم..لقد تسلل القلق إلى منذ لاحظت بعض الشبهات حول نتائج أبحاثنا وتدخلهم المستمر حتى علمت أن كل ما نقوم به لخدمتهم وخدمه مصالحهم فقط..إننا لم نُفني عمرنا فى العلم حتى نقدم لأعدائنا ما لم نقدمه لبريطانيا العظمى.
- ولكن يا ادوارد أنا لست ...
- ( مقاطعاً ) يانور..بالله عليك هذه آخر فرصة لنا لقد وضعت هذه الخطة وراجعتها فى رأسى عشرات المرات..أنت الشخص الوحيد الذى أثق به فى ذلك المعسكر..وهذه الثقة لم تأتِ هباءً بل بعد صداقة عمل لأكثر من خمس سنوات.
- يا ادوارد أعلم ذلك ولكنى أذكرك هل نستطيع الهروب منهم حقاً؟

- نعم يا نور سنهرب ولكن بعد أن نطمس كل أثرٍ لنا..ونقوم بما خططنا له..والآن تمالك نفسك فيها هو المعسكر على مرمى البصر..فليحفظنا الله..وتذكر سألقيك غداً السادسة والنصف في محطة القطار في البلدة المجاورة وإن لم يحضر أحدنا حتى الساعة فلينصرف الآخر..سوف نهرب من تلك البلاد ولتعد إلى بلادك..وتنس تلك الأيام المريرة التي قضيناها في المعامل كفتران التجارب.
- أبعدَ كل ذلك الجهد يا ادوارد.؟ لقد كدنا أن نحقق أسطورة فلم يكن ينقصنا على إنتاج تلك..
- قلت لك أن ما نقوم به ليس في سبيل العلم بتأناً بل أصبحنا مكرسين لخدمه أعدائنا ولذلك علينا الهروب من كل ذلك..وأنا على تمام الثقة بمجرد انتهائنا من تلك الأبحاث سوف يكون مصيرنا الموت المؤكد..
- يا إلهي لا أدري كيف وضعنا انفسنا في تلك الحماقة.؟
- لم نشعريا ولدى فنحن لم ندرك أننا نعمل لديهم إلا في الآونة الأخيرة كما أختبرتك..إنهم يحصون أنفاسي..أشعر أنهم قريبون مني في كل الأوقات.
- ولماذا لم نهرب اليوم عندما سنحت لنا الفرصة يا ادوارد التي ربما لن تتكرر مرة اخرى.؟
- إننا مراقبون أغلب الأوقات ولا تظن أنهم عندما سمحوا لنا بالتريض يوماً في الأسبوع أننا بذلك لسنا تحت أعينهم طوال الوقت..ولأن كل ما نمتلكه من أبحاث داخل تلك القلعة..فلن أسمح لهم باستكمال عملنا واللييلة سوف أنهي كل ما بدأتها معهم خلال السنوات الماضية..
- سأعمل ماخططنا له وسأهرب من المخرج الذي أعددناه المرة السابقة..كن على حذر سأخرج في منتصف الليل تمامًا مرتجلاً أسفل المنحدر الآخر من جهة النهر..فليحفظنا الله يا ادوارد.

توقفت السيارة بجوار بوابة حديدية أمام قلعة صينية قديمة بنيت في القرون الوسطى ليخرج منها حارس يرتدى زى أزرق اللون لينظر إلى الشخصين اللذان هبطا من السيارة قائلاً في صرامة:

- لقد تأخرت اليوم كثيراً يا بروفيسور ادوارد.
- كأن لدى الكثير من الأعمال يا مارك طوال الأسبوع مما أجهدنى وكان لزاماً عليّ أن أقضى اليوم بطوله في تلك البحيرة في آخر المقاطعة..لقد اصطدنا أنا وبرفيسور نور العديد من الأسماك معى في حقيبة السيارة فلتستدع إيفانزو وجوبلز لنقل الحقيبتان إلى الداخل .

اندهش نور من حديث ادوارد ووجود تلك الحقيبتين التى لم يعلم عنهم شئ ولكنه تمالك نفسه وأخرج سيجارة ليشعلها وعلى ضوء الثقاب الباهت توجه ادوارد سمنر إلى حقيبة السيارة ليخرج منها صندوقان ثقيلان مع حقيبة أخرى متوسطة الحجم ويضعهما بجوار البوابة مما جعل مارك ينظر إليه في دهشة.

- ما هذا يا برفيسور لقد منيت فعلاً كميته هائلة من الأسماك ولكن لا يجب أن تدخل بكل هذه الكمية وأنت تعلم.
- (مقاطعاً) مارك دعك من التعليمات..بالإضافة إلى أنى سوف ادرس بعض التأثيرات المناخية على تلك الأسماك وهناك تجربة أخرى بها من الأسرار ما لن أستطيع البوح لك بها كما تعلم..هذا بالإضافة أنى قد جئت لك من سوق القرية بزجاجة من المشروب الغريب الصينى..ذلك الشاى المخلوط بالجنسنج والذى تطلبه دائماً (ومد يده ليخرج من الحقيبة المتوسطة التى يحملها زجاجة بها سائل داكن اللون نفاذ الرائحة وما أن رآها مارك حتى انفجرت اساريره قائلاً):

- أنت لا تنساني أبدًا في كل مرة تكون في القرية..وتستطيع دائمًا أن تهزمنى بها يا هر سمنر.

ابتسم ادوارد رغماً عنه وناوله الزجاجاة قائلاً في عصبية واضحة ناظرًا إلى نور الذى كأن مستندًا إلى الباب الحديدى:

- بروفيسور نور لماذا لا زلت هنا؟ أليس لديك عملٌ تقوم به؟ هيا حتى لا تتأخر عن التجربة التى طلبتها منك.

تذكر نور سيريك - ذلك العالم القيزقستانى - ما عليه من مهمة أخيرة ينبغى القيام بها..فألقى ما تبقى من سيجارته وقبل أن ينصرف اقترب منه ادوارد فى هدوء وهو يشد على عضده واضعًا ورقة مطوية بداخل جيب الجاكت العلوى لنور قائلاً بصوتٍ هامسٍ محاولًا إلا يسمعه مارك الذى كان مهتمًا ذلك الوقت بالإشراف على الحارسين اللذان خرجا ليحملا الحقيبتان على عربة صغيرة تدفع باليد:

- نور إن لم يقدر لى النجاة أعلم أنك الشخص الوحيد الذى على أن أشكره فى تلك البقعة الملعونة من الأرض.. ادعُ ربك أن يكتب لنا أن نلتقى مرة أخرى..لقد كنت مساعدى وولدى الذى لم أنجبه وكم ساعدتني كثيرًا فى أمور الحياة فى زنزانتنا هذه..شكرًا لك يا بنى.

واقترب منه مرة أخرى قائلاً بصوتٍ يقارب صوت الفحيح:

- هذه الورقة التى وضعتها فى جيبك لا تفتحها إلا فى حالة تأكدك من موتى وأنا لن نلتقى أبدًا..وإن كنت سأدعو الله ألا يكون هذا آخر عهدى بك وعند قرائتها عليك إيصالها لمن يهمه الأمر..سرفقط صوب حدثك وستعلم..وثق أن روحى ستظل بجوارك دائمًا.

لم يرد نور ولكنه نظر إلى ادوارد نظرة مليئة بالأسى والحزن..فقد كأن يشعر من داخله أن تلك المرة هي الأخيرة التي سيرى فيها صديقه العزيز

\*\*\*\*

كان ادوارد سمنر يسير خلف الحارسان اللذان وضعا الصناديق داخل المعمل الذي كان مظلماً في ذلك الوقت باستثناء غرفة ينبعث منها ضوءٌ خافت في نهاية الرواق وانتظرا حتى يفرغ ادوارد من عمله ويعود معهم إلى مقر إقامته في المبنى المقابل للمعمل ولكنه أخبرهم أنه سيفرغ تلك الصناديق في أماكنها وسيصرف خلال العشر دقائق فهو يعلم أنه محظورٌ عليه التواجد في تلك الساعة المتأخرة ولكن لإلحاحه الشديد عليهما انصرفا وهما ينظران في شكٍ لبعضهما البعض.

أغلق الباب خلفهما ونظر إلى ساعته..كانت تقترب من العاشرة مساءً مما يعنى أن لديه أقل من ساعتين ليحقق ما كان يخطط له طوال الشهر الماضى إلى أن اختار تلك الأمسية بعناية..نظراً لمناسبة قومية خاصة لألمانيا والتي سيتم الإحتفال بها داخل تلك القلعة حيث سيقوم الجميع في قاعه الإحتفالات حتى تباشير الصباح وسيكونوا بالطبع تحت تأثير الخمر.لذلك كان عليه أن ينصرف سريعاً لمهرب خارج تلك القلعة ولكن بعد أن يتم نور مهمته هو الآخر حتى لا يكون هناك أى خطر.

جلس إلى مكتبه وبدأ في إفراغ محتويات المكتب مراجعاً جميع الأوراق والنتائج التي كان يحتفظ بها في مكتبه..واستغرق دقائق طويلة حتى شعر ببرودة تسرى في أطرافه وبتلقائية نظر إلى تلك المدفأة القديمة التي تعمل بالحطب في غرفة مكتبه والتي تم الغاؤها الشتاء الماضى بعد تركيب

التدفئة المركزية في كل القلعة..تذكر ما قام به الأسبوع الماضى بخصوص تلك المدفأة القديمة وتبسم في صمت.

جلس على مكتبه ناظرًا في ساعته للمرة الرابعة بعد أن انتهى من تمزيق كل أوراقه الهامة..وظافت به العديد من الذكريات.

تذكر أول مرة وطأت أقدامه هذا المكان منذ عدة سنوات..سنوات من الجهد المضنى دون أن يعلم من يستخدمه..وقبلها سنوات أخرى قضها في الجبال وشتى أنحاء الأرض ليبحث عن أصول تلك الجماعات حتى وصل إلى مراده أخيرًا ولكن للأسف اكتشف أنه يعمل لدى ألمانيا ألد أعداء بريطانيا العظمى..ولو علم في بداية الأمر لرفض المضي قُدُمًا في أبحاثه..وبمجرد علمه حاول في الفترة الأخيرة طمس كل الدلائل والأبحاث التي قد تفيد الدولة الألمانية حتى أصبح الشخص الوحيد دون فريقه الذى يعلم أدق تفاصيل نتائج أبحاثه..لم يظهر على تصرفاته أنه قد علم بحقيقتهم الأصلية..ولم يطمئن إلا لعالم من الشرق الأدنى وأصبح هو ساعده الأيمن في كل شىء.

كانت غرفته في أول الرواق وبجوارها عدة غرف أخرى توجد بها العديد من الأجهزة والمعدات..وأمام غرفته كانت تقبع غرفة مدير المعامل البحثية دكتور فراند هانزر والذى كان يحمل رتبة عسكرية عليا في الجيش الألماني إبان الحرب العالمية السابقة..حيث كان من أبطال معركة كابوريتو والتي انتصرت فيها القوات الألمانية على الحلفاء باستخدام الأسلحة الكيماوية..وبعد ذلك تم تعيينه مشرفًا في إحدى مشاريع الأبحاث السرية الألمانية..وبجوار غرفته توجد ثلاث غرف إحداها للطاقم المساعد وبقية المشاركين في الأبحاث أما في آخر الرواق فتقع تلك الغرفة السرية والتي

يوجد بها آخر ما توصل إليه الباحثون الألمان وعلى رأسهم العالم الانجليزي ادوارد سمندر ومساعديه.

كانت الغرفة مغلقة من الداخل برتاج معين متصل بالتيار الكهربائي بالقلعة ككل ولا يستطيع أحد فتح هذا الرتاج إلا بمفتاح لا يوجد إلا مع قائد القلعة هانزر ولأن الخطة تعتمد بشكل أساسى على الولوج إلى داخل الغرفة فكان عليه أن يستعين بمساعده نور..والتي كانت كل مهمته أن يتلصص فى غفلة من الحراس ليقطع التيار الكهربى لمدة دقيقة عن القلعة بأكملها..قبل أن تبدأ المحولات الاحتياطيه فى العمل..وكل ما أرادته ادوارد هى تلك الدقيقه فقط حتى يدخل الغرفة ويكمل ما شرع فى تخطيطه والذى لا يعلمه إلا هو فقط.

\*\*\*\*

فى تلك الأثناء كان نور يسير على أطراف أصابعه حتى وصل إلى أسفل السلم للمقر السكنى للعلماء وهو عبارة عن مبنى من طابقين..وفى الأسفل تقع غرفة الهاتف الرئيسية التى يجلس بها دائماً هذا الحارس السمين والذى بدا عدم اهتمامه بما يجرى فى قاعة الإحتفالات فى تلك الأمسية..فقد كان يستمع إلى المذيع وبجواره شطيرة من اللحم وزجاجة من الجعة منصتاً إلى إذاعه ألمانيا الحرة والتى كانت تبث خطاب نارى لأحد زعماء حزب العمال الإشتراكي القومى الألمانى أو ما يطلق عليهم النازيون الجدد الذين كانوا يسعون فى ذلك الوقت إلى الوصول للحكم.. وقتها كان الرجل يصرخ قائلاً:

( يجب أن نتوحد لتحقيق أحلام ألمانيا..معا لتحقيق أهداف الحزب النازى..معا للقضاء على الشيوعية المتمثلة فى الإتحاد السوفيتى..معا

للقضاء على اليهود فهم بعدم وطنيتهم قد طعنونا في مقتل وكانوا من ضمن أسباب هزيمتنا..معاً لاسترداد الأراضى الألمانية التى تم تسليمها بسبب معاهدة فرساي الملعونة..معاً لوضع العرق الأرى فى مكانه العظيم الذى يستحقه)

تذكر هذه المحطة منذ عدة أسابيع بعد أن أعلنت نهايه هتلر والحزب النازى وانتخاب هيندينبرج ليكون رئيساً لألمانيا مرة أخرى..وقتها ظن أن السلام قد أتى على ألمانيا أخيراً ولكن خالفت الظنون كل توقعاته.أفاق من تأملاته على صرخة من الداخل..كان يبدو أن الحارس قد امتلأ بالحماس وأخذ يهتف كما كان يصرخ الرجل فى المذيع مما جعل نور ينكمش فى مكانه فى ذلك الركن المظلم أكثر فأكثر.

كان الطريق إلى الغرفة الرئيسية التى تمد القلعة بالتيار الكهربى تقع خارج المبنى السكنى للباحثين من الجهة الخلفية ولذلك عليه أن يتخفى من الحارس فلو كانت فى نفس اتجاه قاعة الإحتفالات لأصبح من السهل التحجج أنه فى طريقه لقضاء السهرة مع زملائه ولذلك كان عليه المكوث طويلاً الانتهاز فرصة ما.

انتظر حتى يدير الحارس وجهه ولو مجرد ثانية واحدة حتى ينطلق إلى مهمته..لا يدري لماذا وضع نفسه فى ذلك المأزق ولكن كان لزاماً عليه أن يطيع أستاذه الأكبر ادوارد سمنر والذى يعتبره والده الذى لم يره..وعندما علم أن هناك من يقوم بتجنيد كافة العلماء المساعدين للبروفيسور ادوارد حتى ينقلوا جميع أفكار ونتائج أبحاث العالم البريطانى إلى القيادة الألمانية..أخذ على نفسه عهداً إلا يخونه أبداً.

كان من داخله متأكدًا أن قائد القلعة ذلك الألماني السادي ينتمى إلى تلك الحركة النازية الجديدة التي تعتمد على أن الجنس الأرى هو سيد هذا الكون ولذلك فقد نشأت عداوة بينهما منذ أول مرة وقعت عيني القائد على هذا العالم المسلم القزغستاني..لذلك لم يحاول تجنيده أو حتى الإقتراب منه بل على العكس من ذلك فقد أراد تنحيته عن تلك الأبحاث لولا تمسك العالم البريطاني به..وكنتيجة لاحتياج الألمان له لم يستطع أن يرفض له طلبًا.

وضع نور سيريك يديه في جيوبه من شدة إحساسه بالبرد فوجد تلك الورقة الصغيرة والتي وضعها ادوارد في جيبه..قاوم نور رغبة قاتلة في فتح الورقة ومعرفة ما بها ولكن الظلام الذى أحاط به منعه من ذلك..ولكن كان هناك ضوءًا خافتًا منبعث من الغرفة الصغيرة التي يوجد بها الحارس الألماني فأخرج الورقة سريعًا من جيبه وبدأ في فتحها وفي هذه اللحظة حدث ما كان ينتظره فقد قام الحارس بعيدًا عن النافذه ليحضر زجاجة أخرى من الصندوق الموجود في آخر الغرفة بعد أن فرغ من تناول زجاجته. وضع نور الورقة سريعًا في جيبه وبخفة هائلة قفز الأمتار الثلاثة التي تفصله عن غرفة الهاتف ليعدوا في اتجاه الغرفة الرئيسية للتيار الكهربى..وحمد الله أنه لن يمر مرة أخرى إلى ذلك المكان في طريق عودته لغرفته فقد قطع عهدًا أن تكون تلك الليلة هي آخر عهده بهذا المكان.

كانت الغرفة في آخر الحديقه الصغيرة التي تقع في الفناء الخلفى للقلعة وكان الممشى المؤدى لها يقع في وسط أشجار عالية تناثرت في ترتيب متناسق بالتوازي حتى سور القلعة..والممشى مكون من حجارة أسمنتية الشكل بطول حوالى مئة متر.. وأمام الغرفة كان يوجد حارسان يتناوبان الجلوس على بابها مما جعل الدخول من هذا الطريق مستحيلًا.

دار نور في خفة حول غابة الأشجار والتي حجبت رؤيه الحارسان له حتى وصل إلى السور وكانت الجهة الخلفية للغرفة يفصل بينها وبين السور الخارجى مسافة ليست بالقليلة وفي ذلك الجدار لمح نور نافذة يستطيع الدخول منها ولكن بصعوبة بالغة..فعليه أولاً أن يتسلق سور القلعة عن طريق الأشجار ويسير على ذلك السور المرتفع حتى يصل إلى سطح الغرفة ويقفز من ارتفاع السور حتى سطحها البعيد عنه بقراءة المتر ونصف..وعليه ألا يصدر صوتاً حتى وإن كسرت رقبتة لكي لا يلتفت انتباه الحارسان في الجهة الأمامية.

قاربت الساعة العاشرة والنصف وكان عليه أن يتحرك سريعاً..ردد عدة آيات قرآنية وبدأ في تسلق الشجرة القريبة من السور.

كانت المهمة شاقة جداً فهو تدرّب على أن يكون عالم أبحاث وليس بهلواناً في سيرك وعلى الرغم من أن الشجرة لم يكن بها العديد من الأفرع التي تساعده على التسلق لكنه اندهش من قدرته العجيبة حتى وصل إلى طرف سور القلعة..كان السور بعرض قرابة العشرون سنتيمتر ويبعد عن الأرض بحوالى خمسة أمتار وكان عليه أن يسير على ذلك السور حتى يصل إلى سطح الغرفة وفعلاً بدا في الجلوس عليه فقد قرر أن يزحف عليه بدلاً من السير في هذا الظلام المحيط به وبدأ في التحرك ببطء.

دقائق مرت كأنها الدهر..وعقارب الساعة تتسارع وهو يعلم أن أستاذه في الأعلى ينتظر قطع التيار الكهربى بفارغ الصبر لينهى ما خطط له..فنجاح الخطه يعتمد عليه بشكل أساسى..دفعته تلك الأفكار خطوة بعد خطوة حتى وصل أخيراً أمام سطح الغرفة..وقف ببطء شديد حتى لا يقع في خارج القلعة من الجهة الأخرى للسور..فالمسافة التي عليه أن يقفزها تبعد حوالى متر ونصف ولكن لا يدري كيف.

بدأت الأفكار تتدافع في رأسه..فها هو السطح وأمامه مباشرة توجد النافذة والتي تكاد تتسع لمروءه..كانت النافذة بارتفاع متران من على سطح الأرض وتقترب من سطح الغرفة بنصف متر ولذلك كان عليه أن يدخلها من السقف.

أغمض عينيه وتمالك نفسه وألقى بنفسه ليصل إلى السطح ولكن لسوء حظه لم تكن القفزة مباشرة بل فلتت قدمه وهو يقفز وكاد أن يهوى من ارتفاع الخمسة أمتار..لولا أن أمسك بإطار النافذة الخشبي مما سبب له ألماً هائلة في قدمه التي التوت من القفزة ويديه التي أمسكت بكل ما أوتى من قوة بالنافذة.

كان الألم لا يحتمل ولكنه كتم تلك الآلام في نفسه وحاول أن يستعيد قوته ليرفع نفسه ليصل إلى داخل الغرفة.

بذل جهداً خارقاً حتى استطاع أن يستند بكلتا يديه على النافذة ثم يرفع نصفه السفلى..والآلام قدمه التي اصبحت لا تطاق حتى قفز أخيراً إلى داخل الغرفة.

ولسوء حظه المستمر كانت قفزته إلى الداخل مصحوبة بارتطامه بكرسى لم يراه مما أصدر صوتاً جعل أحد الحارسين ينتفض ويخرج مفتاحه ليدخل إلى الغرفة المعتمة صارخاً في زميله:

- شتانبرج..لقد أخبرتك عشرات المرات عليك بغلق تلك النافذة لكي لا تدخل تلك القطط الغبية لتحتفى من البرد اذهب عليك اللعنة ولتأتى ببطارية من ايفانز ولتبحث عن تلك الحيوانات بدلاً من أن تسبب عطل كهربي كما حدث الأسبوع الماضى.

خرج الحارس مسرعًا بينما خطأ الأخرى داخل الغرفة باحثًا بعينه في الظلام ولكنه لم يرى شيئًا بينما كتم نور أنفاسه.. خطأ الحارس أكثر إلى الغرفة وكانت قدمه على بعد سنتيمترات قليلة من نور الذى كان عليه أن يتصرف فى أقرب فرصة فلو انتظر لمجىء شتانبرج لفشلت الخطه ولو تحرك الآن وهرب للمحه الحارس وقبض عليه ولا يدري ما عاقبة ذلك لو تم تسليمه لقائد المعسكر الذى يكرهه من بداية عمله.

كان عقله يعمل بسرعة البرق وبدأت ردود أفعاله تخرج عن سيطرته.. اقترب الحارس من الخيال الموجود الملاصق للجدار وكأنه يلمح شيئًا ما ومد يده بهدوء إلى مسدسه المعلق فى حزامه ولكن نور قفز فجأة ليضع يديه على يد الحارس الممتدة إلى المسدس.. فزع الحارس ولكن نور باغته أكثر عندما لطم رأسه بكل قوة فى الدولاب المعدنى الذى يحوى محاولات التيار الكهربائى.. لم يتمالك الحارس نفسه فخرَّ سريعًا والدماء تنزف من رأسه.. هوى نور إليه ليرى حجم اصابته ولكنه فزع عندما وجد جمجمه الحارس قد شجت وتنزف بغزاره.

هَبَّ نور واقفًا فجأة ولم يدري ماذا حدث أو ما الذى اقترفته يداه.. إن ذلك ضد مبادئه.. ولكنه لم يكن ليلوم نفسه الآن.. عليه أن ينفذ مهمته فى أقل من دقيقة قبل مجىء الحارس الأخر ثم ليقتضى بعد ذلك بقية حياته فى الندم على ما اقترفه.

أشعل عود ثقاب وفتح الدولاب الذى يحتوى على كابلات تغذية القلعة.. كان هناك المناء من الأسلاك.. أما السلك الرئيسى فبداخل الدولاب المعدنى وبجواره سكين يفصل الكهرباء عنه.. ومد يده بهدوء إلى السكين وأداره إلى الجهة الأخرى.. دوت صافرة متقطعة ثم انفصل تمامًا التيار الكهربى عن القلعة بأكملها.

نظر نور يمينًا ويسارًا وهو يتطلع برأسه خارج الغرفة فلمح شتانبرج يأتي مهرولاً من بعيد ناحية الممشى فخرج سريعاً إلى الجهة المقابلة وهو يكاد يزحف على قدمه.

كان عليه أن يختفى سريعاً في أقرب مكان لأن القلعة سيتم إعادة التيار لها في غضون دقيقة عن طريق المحولات الإحتياطية.

\*\*\*\*

وفي الأعلى داخل المعمل الرئيسى كان ادوارد يروح جينة وذهاباً في توتر ملحوظ وبمجرد انقطاع التيار الكهربى أشعل قداحته وعلى ضوءها هرول سريعاً إلى آخر الرواق حيث الغرفة المغلقة دائماً..امتدت يده داعياً الله من قلبه أن تفتح الغرفة وإلا فشل كل ما خطط له..ولكن صوت فتح الرتاج الداخلى من تائير قبضته جعل قلبه يتراقص فرحاً.

خطى سريعاً إلى الداخل واضعاً كرسى بجوار الباب حتى لا يغلق أثناء نقله للحقائب عند عودة التيار ورجع سريعاً مرة أخرى إلى غرفته وتناول الحقيبتين وشرع في جذبهما بصعوبة حتى وصل إلى الغرفة ووضعهما خلف الباب الخشبى وبينما كانت الصافرة تدق إعلاناً لعوده التيار رفع الكرسى ليعود الباب إلى وضعه الأصلي.

كانت غرفة كبيرة الحجم جداً تسرى البرودة في كافة أنحاءها نتيجة لذلك المبرد الكبير المربع الشكل الموجود في طرف الغرفة ليحفظ العينات والنماذج البحثية..بينما تراصت في كل ناحية في الغرفة المناضد التى تحوى أعداد لا حصر لها من أنابيب التحاليل وبجوار الباب مكتب معدنى عليه عينات داخل علب زجاجية بينما ظهر على الأرفف الموجودة على الجدران

نماذج لكفوف أيدي وأقدام محفوظة داخل تلك العلب وإن كانت أكبر حجمًا من حجم الإنسان العادى.. وفى جانب الغرفة غرفة زجاجية أخرى مربعة الشكل مظلمة بستائر ثقيلة على جدرانها.. اقترب منها ادوارد فى سكون ليزيح أحد الستائر لينتفض المخلوق المقيد على المنضدة.

كان هذا المخلوق يبلغ المتران والربع طولًا وكانت أقدامه مقيدة بقيد حديدي إلى تلك المنضدة الخشبية التى يرقد عليها حيث برزت عروق ساقيه.. أما يديه فقد قيدت أيضًا وإن كانت طويلة بصورة واضحة حتى تكاد تقترب من ركبتيه وكانت مفتولة العضلات بصورة مدهشة وبها العديد من آثار الحقن.. أما رأسه فتشبه إلى حدٍ كبير جمجمة الإنسان لكنها أكبر حجمًا وقد برز جبينه للخارج بصورة واضحة مع أنف أفتس ذو فتحتين كبيرتين وعيناه قد قاربتا أن تكونا جانبيتين وكلما تنفس ذلك المخلوق يموج صدره بصوت حشرجة داخلية من الألم الذى يحيط به.

بدأ الكائن فى الزمجرة عندما اقترب منه ادوارد ولكن ذلك القيد الجلدى فى فمه كان يمنعه من الصراخ.. اخرج ادوارد حقه زجاجية من أحد الأدراج ليدسها فى يد المخلوق صاحبًا عينة من دمائه وما أن انتهى حتى ربت على كتفه قائلاً له فى صوت متهدج:

للأسف كلانا ضحية أيها المخلوق التعس.. ولكن كل منا مقدر لما خلق له كما يقول صديقى المسلم ربما كنت أنا السبب فى مجيئك إلى هنا منذ أكثر من عدة أشهر لنمارس عليك آلاف من التجارب المؤلمة ولكن اطمئن فسوف نرتاح سوياً قريبًا.

نظر ادوارد إلى ساعته وكانت قد تعدت الحادية عشر باثنتى عشرة دقيقة فشرع فى بدء تنفيذ ما خطط له داعيًا الله أن يوفق نور فى الهروب فى هذه

اللحظة بعد أن قام بمهمته.. اقترب من الحقيبتين الثقيلتين وبدأ في إفراغ ما فيهما بترتيب معين.

\*\*\*\*\*

وفي الأسفل بدأ صفير إنذار بالخطر بعد أن دخل شتانبرج إلى الغرفة ووجد زميله مضرجًا في دمائه فما لبث أن هرول سريعًا إلى مبنى الأمن لإبلاغه وإطلاق صافرة الإنذار.. أما نور فقد علم أنه سيتم القبض عليه لا محالة في أقرب فرصة فتحامل على نفسه مرة أخرى وحاول أن ينصرف سريعًا من القلعة وكان مستحيل أن يخرج من المكان الذي خطط للهروب منه لذلك قرر أن يتسلق أي شجرة قريبة منه فمشى سريعًا إلى طرف القلعة في مكان يكاد يكون بعيدًا عن الأنظار.. كانت قدمه بدأت في النزيف فاستند إلى سور القلعة ليخرج منديلًا لكي يربط به الجرح.. مد يده إلى جيبه ولكن يده بحثت بتلقائية عن ورقة ادوارد التي يخفيها ليقرأ ما فيها فربما كانت تلك أوقاته الأخيرة.

ولكن لشدة فزعه لم يجدها.. هَبَّ واقفًا على قدميه بحث في جيوبه وحوله فلم يجدها.. لقد وقعت منه في مكانٍ ما.. حاول أن يتذكر آخر مرة رآها فيها أو يتذكر كيف ضاعت ولكنه لم يأت بجديد.. كان يريد أن يضرب رأسه في ذلك الحجر الأصم من السور من شدة غبائه.. وبدأ في التفكير هل يهرب من فوق السور أم يعود للبحث عن وصيه ادوارد.

ولكن ضربة هائلة على رأسه من بندقية شتانبرج ألقت به إلى الظلام.

\*\*\*\*\*

وبعد عدة دقائق كان البروفيسور هانزر الضابط السابق في الجيش الألماني ورئيس معمل أبحاث القلعة وبجواره العديد من المساعدين يصعدون إلى الطابق العلوى حيث معمل الأبحاث الرئيسى وهو يتأفف من الموقف ككل..بعد أن أبلغه حراسه بالقبض على نور أثناء محاولته الهرب..وأن ادوارد بداخل المعمل..حاول أن يفتح الباب بالمفتاح ولكنه لم يفلح..مما أثار جنونه.

كان هانزر من ابطال الحرب العظمى وبمجرد انتهاء الحرب التى انتهت بهزيمه ألمانيا وكنتيجه لقيام الثورة الألمانية ذلك الوقت وقضائها على الإمبراطورية أثر أن ينسحب من القتال ليعود مرة أخرى إلى أبحاثه فى علم الجينات..حتى اتصل به ذلك العضو البارز فى الحزب النازى وهو من أقنعه بالعودة مرة أخرى لتقديم علمه فى خدمة ألمانيا بعد أن عرض عليه مشروع سرى جدًا جرى الإعداد فيه قرابة العشر سنوات..لم يصدق الأمر فى بدايته عندما قرأ نتيجة الأبحاث وكان يشعر أنها دربًا من الخيال ولكن بعد رؤيته لادوارد وما قام به فى هذا المجال حتى كاد أن يقترب من نهاية الحلم..ذلك الحلم الذى سيتهض بالجنس الأرى مرة أخرى..ذلك الحلم الذى لم يراه طوال عمره الذى قارب الستين عامًا ولكنه بدأ يلوح فى الأفق..وكاد فى الفترة الأخيرة على أن يتحقق..ولكن ذلك البريطانى اللعين لم يعط له أى فرصة للدخول فى سريرة أبحاثه بل كان لديه دائمًا ما يخفيه لسبب ما..ربما لم ينس ذلك الصراع الأبدى بين دوليتهما..وعلى الرغم من دسه عدة مساعدين له لمحاولة الوصول إلى ما لا يعلنه ادوارد فقد كان ذلك البريطانى العجوز أخبث مما يتخيل.

\*\*\*\*\*

توالت الدقات على باب المعمل الخارجى وصوت هانزر فى الخارج يصيح على رجاله لكسر ذلك الباب المغلق من الداخل بينما كان ادوارد فى تلك اللحظات فى أشد لحظات التوتر فهو لم ينه اغلب اعماله.

كان يعلم أن أمامه عدة دقائق فقط ولديه الحل الأخير دائماً ولكن هل تخونه شجاعته للتخلص من هذا المأزق إلى الأبد؟

تناهى إلى أذنيه صوت الحراس وهم يحاولون تهشيم الباب الحديدى..نظر حوله فى حسره إلى ذلك المكان الذى قضى فيه سنين عمره..ولكن ما سيفعله الآن لعله يكون خدمة للبشرية.

كان ممسكاً فى يده بحبل طويل به عدة تفريعات إلى الغرف التى حوله وينتهى إلى الغرفة الموجود بها المخلوق وفى نهاية هذا الحبل كان يربط العديد من أصابع الديناميت التى نجح فى تهريبها أخيراً..أغمض عينيه بقوة وهو يقترب بقداحته من الحبل لإشعاله..ترك الحبل على الأرض..

وبعد عدة دقائق هزَّ انفجار عنيف القلعة بأكملها ...

\*\*\*\*

بعد عدة دقائق كان هانزر ورجاله واقفين مشدوهين داخل ما تبقى من غرف المعمل الذى أصبح كومة من تراب..فقد تناثرت جميع محتوياته على الأرض واشتعلت فيها النيران..كاد هانزر أن يصاب بأزمة قلبية عندما تسارعت قدماه وهو يخطو فوق الأثاث المشتعل حتى وصل إلى الغرفة الداخلية ليجد كومة من اللحم المهترئ للمخلوق الذى تناثرت أحشائه بصورة مرعبة وتقطعت أوصاله لأكثر من عشرات القطع بينما كانت جثته

ادوارد متفحمة تمامًا وكأنه ظلَّ ممسكًا بالديناميت حتى آخر لحظة من حياته ليشرّف على قتل المخلوق.

لم ينبث هانزر ببنت شفة وظل صامتًا عدة دقائق حتى اقترب منه أحد الحراس ليمس في أذنه بكلماتٍ ما ممسكًا بورقة صغيرة ويتراجع في هدوءٍ مناوئًا إيّاها له..وما أن قرأها هانزر حتى التمعت عيناه وصرخ بقوة:

- فلتاتوا لي بهذا المسلم فورًا ولتحاولوا إفاقته حتى لو كان قد مات وضعوه في القبو حتى أستجوبه بنفسى.

\*\*\*\*

بعد عدة أيام كانت البروفيسور هانزريجلس في ذاك المقعد المكسو بالفرو الثقيل وهو يكاد يغوص به من الخجل أمام الجنرال فيلهلم كايتل قائد وحدة الأبحاث العسكرية في وزارة الحربية الألمانية الذى ظلَّ على صراخه لأكثر من خمس دقائق متصلة متهمًا هانزر بالفشل الذريع..أما هانزر نفسه فهب واقفًا ليحاول الدفاع عن نفسه قائلاً:

- ولكنى لم أختَر ذلك القزغستانى يا سيدى وإذا تذكرت فقد كان لي تحفظات على اختيار البروفيسور نور سيريك منذ أن وقع اختياركم عليه فهو وإن كان من أحد بلدان الإمبراطورية الروسية أشد أعداء دولتنا في الحرب السابقة كما أنه مسلم وأنا..

- صه يا هانزر ولا تبرر أئى فشل قمت به في الفترة الاخيرة..وما شأنه بكل ما حدث..؟لقد كان اختيار نور حتى لا نثير أئى شك لدى ادوارد..وأنت تعلم أنه في الفترة الأخيرة بدأت شكوكه تثير مخاوفنا بعد أن علم أن من يقوم بتمويل أبحاثه هى وزارة الحربية الألمانية فكان لابد من غطاء

لنا..أما عن فشلك في تجنيد نور فذلك مرجعه إليك..إنَّ لكلٍ منهم نقطة ضعف ولكنك لم تحسن استغلالها.

- أئى نقطة ضعفٍ يا سيدى..؟لقد قمت بتجنيد كل فريق البحث ولم يتم إجراء أئى تجربة مسبقه إلا وكنت على علم بها..وحتى لو كان نور لم يتم تجنيده فكل الخطوات البحثية كانت على مكتبي قبل وبعد إجراءاتها..وإذا كان للكل نقطة ضعف فلماذا لم تقوموا من الأصل بتجنيد ادوارد سمنر.؟

- عندما قابله الجنرال يواكيم فون باعتباره ممول الأبحاث أخبرنى أنه من المستحيل تعاونه معنا..والآن أنت تخبرنى أن لديك علم بكل الأبحاث؟وماذا بشأن ذلك المخلوق..؟أبعد كل تلك الأسابيع والشهور ولم تحصل على عينه منه تحتفظ بها خارج معملك اللعين؟ ألم تتوقع حدوث يوم أسود مثل هذا..؟وماذا بشأن التجارب التى ننشدها حتى الوصول إلى النتيجة المرجوة أيها التعس..إننا الآن فى المربع صفروكأننا فى غابة حالكة السواد ولا ندرى من أين نبدأ.

- سيدى لتترك لى فرصة وسأستجوب نور بنفسى على الرغم من فشلى الأسبوع الماضى ولكنى أعدك...

- لا لا فلتنس أمر نور إلى الابد سنجعله يتكلم فلدينا طرقنا الخاصة.

- وماذا بشأن تلك الورقة يا سيدى.؟

- إلى الآن لا نعلم محتواها وإن كنا نعتقد أنها رسالة مشفرة إلى شخصي ما..وهو الوحيد من يدرك معناها.

- وما العمل إذا لم يتعاون نور؟

- ليس لك شأن من الآن بتلك الأبحاث..سوف نبدأ المشروع منذ بدايته.. ونصيحى لك فلتعد إلى ضيعتك الريفية فى هايدنهايم ولتنس أمر الأبحاث وكل ما يتعلق بها منذ خروجك من الجيش..إنى أريدك أن

تنهى حياتك العسكرية بسجلٍ خالٍ من العاريا هانزر..ولولا أننا حاربنا  
فى مكانٍ واحدٍ لكنت قتلتك بيدي على ما أضعته لنا من وقت.

- ولكن..

- قلت لك اغرب عن وجهى ولتغلق تلك الصفحة من حياتك للأبد ومن  
الأفضل لك أن تتناسى تلك السنوات..وأنا سأحاول أن أبرر موقفك  
الفاشل فى مقابلتى مع وزير الحربية مساء اليوم.

وخرج هانزر مطأطئ الرأس وهو لا يدرى أن تلك الصفحة لن تغلق للأبد.

\*\*\*

## الفصل الثاني

(في أوقات السلام الأبناء هم من يقومون بدفن آبائهم أما في زمن الحرب فإن الآباء يدفنون أبنائهم)

obeikan.com

## كنيسة كانتربرى ببريطانيا العظمى صيف 1933

وقف القس ألبرت هوك في بهو كنيسة صغيرة تابعة لكاتدرائية كانتربرى ليلقى عظته الأسبوعية في نهار يوم الأحد من تلك الأيام التي يكون فيها إقبال على الصلاة والإستماع إلى الدرس الدينى الذى مر عليه أكثر من عشرون دقيقة.

نظر البروفيسور دان واتسون أستاذ علم الوراثة بجامعة أوكسفورد إلى ساعته في تأفف وهو يستمع إلى زميله القديم الذى اتجه إلى الدراسة الكهنوتية وليهجر الجامعة إلى الأبد منذ أكثر من خمس عشر عامًا.. كان لا يزال صوته يتردد في جوانب اليهود الداخلى.. وبمجرد أن وقعت عيننا القس على دان واتسون حتى اندهش لوجوده في داخل الكنيسة هذا النهار.. ولم لا فقد كان دان واتسون ملحدًا حتى النخاع.. وما أن رآه تبسم وسكت عن عظته للحظات وكأنه يتذكر شيئًا ما حتى انتبه إلى درسه الدينى فنظر إلى إنجيله وزاد من حدة صوته قائلاً:

- ونكمل ما جاء في الإصحاح التاسع عشر من سفر التكوين.. وقال الرجلان للوط.. من لك أيضًا ها هنا؟ أصهارك وبنيتك وكل من لك في المدينة.. اخرج من المكان.. لأننا مهلكان هذا المكان.. إذ قد عظم صراخهم أمام الرب.. فأرسلنا الرب لهلكه.. فخرج لوط وكلم أصهاره الأخذين بناته وقال: قوموا اخرجوا من هذا المكان.. لأن الرب مهلك المدينة.. فكان كمازح في أعين أصهاره.. ولما طلع الفجر كان الملاكان يعجلان لوطًا قائلين: قم خذ امرأتك وابنتيك الموجودتين لئلا تهلك بإثم المدينة..

نظردان واتسون في ساعته للمرة العاشرة ورفع يده ليشير إلى القس لينهى درسه الديني ولكن نظرة من الأخير والذي كان يبدو أنه يراقبه هو الآخر قضت على أي محاولة من واتسون.

واستطرد القس :

- ولما تواني..أمسك الرجلان بيده وبيد امرأته وبيد ابنتيه لشفقة الرب عليه..وأخرجاه ووضعاه خارج المدينة..وكان لما أخرجاهم إلى خارج أنه قال: اهرب لحياتك..لا تنظر إلى ورائك..ولا تقف في كل الدائرة..اهرب إلى الجبل لئلا تهلك.

وفي هذه الأثناء قام دان واتسون من مقعده وسط اندهاش الكافة مستنذنا الجميع ليفسحوا له مجالاً للخروج حتى وصل إلى المرومنه إلى باب الكنيسة ليشير إلى القس أنه بجوار الباب.

لم يلتفت إليه وأكمل درسه قائلاً في حنق:

- فقالت الملائكة يا ابنائى..أسرع اهرب إلى هناك لأننا لا نستطيع أن نفعل شيئاً حتى تجيء إلى هناك..لذلك دعى اسم المدينة صوغر..وإذ أشرقت الشمس على الأرض دخل لوط إلى صوغر..فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتاً ونازاً من عند الرب من السماء..وقلب تلك المدن وكل الدائرة..وجميع سكان المدن..ونبات الأرض..ونظرت امرأته من ورائه فصارت عمود ملح..وبكّر إبراهيم في الغد إلى المكان الذى وقف فيه أمام الرب..وتطلع نحو سدوم وعمورة.

والآن اعذروني يا ابنائى فأنا متعب اليوم ولنكمل ما بدأناه الأحد القادم.

وهكذا أنهى القس ألبرت هوك عظته الأسبوعية وهو يللمم أوراقه وسط الحشد الملتف حوله ليقبل يده لينال البركة من الأب المبجل والذي كانت عيناه ترمق الشخص الموجود في آخر الممر حيث كان مستنداً إلى باب الكنيسة مشعلاً سيجارة وسط اشمئزاز الجميع.. أنهى ألبرت وقفته وتناول إنجيله ليذهب إلى دان واتسون الذى كان قد خرج إلى حديقة الكنيسة.. وما أن رأى زميله العالم القديم أتياً إليه ألقى سيجارته وتقدم إليه ماداً يده.

تناول القس يده بابتسامة مصطنعة قائلاً في بهجة زائفة:

- دان واتسون... أى رياح ألقى بك أيها الملحد داخل كنيسة؟ لماذا أراك ثانية بعد كل السنوات السابقة أرجو أن تكون قد آمنت أخيراً لتجلس بين يدي على كرسى الإعتراف.

قهقهه دان واتسون قائلاً ولا زال ممسكاً بيد القس:

- أبى العزيز وأستاذى ألبرت.. كن على ثقة انى أحرشخص فى العالم قد أجلس على كرسىك المزعوم يوماً لأعترف لك بخطاياى.. أو حتى أدخل كنيسة ما فى وقتٍ ما.. بالمناسبة أخبرنى كيف تحوّلت امرأته إلى عامود من الملح يا أستاذ علم الأنثربولوجى.

- دان.. لن نخوض فى حديث الأديان هذا.. أنت مقتنع بفكرة ما بلهاء فى رأسك فلتقتنع بها.. على الرغم من واجبى إرشادك للطريق المستقيم.. أنا مقتنع بوجود رب ورسل وكلام مقدس يخبرنا عن سير الأولين.. فإن كنت أتيت كل هذه المسافة لتخبرنى أنك لست مقتنعاً فأنا على عجلة من أمرى ولنكمل حديثنا فى وقتٍ آخر.

- مهلاً يا بروفيسور أنا فعلاً لم أقطع هذه المسافة لمجرد إخبارك بذلك ولكن هناك أمراً ما حدث بالجامعة وكنت أود إخبارك به.

- عذراً يا دان لقد هجرت اكسفورد من خمس عشر عاماً لأتفرغ لدراستي الكهنوتية وأظن أنى لست مهتمًا بأيّ حدثٍ لديكم وأود تذكيرك أن أخر لقاء بيننا قد أخبرتك أنى لا شأن لى بأى أبحاث تقوم بها ولا أتذكر أياً أبحاثٍ قمت أنا بها فى السابق..والآن على الإنصراف.
- ألبرت..لماذا كلما ترانى تخبرنى بتلك الكلمات مرة تلو الاخرى..؟أنا لست هنا لإجبارك على البوح بأىّ شىء كل ما هنالك أن الأمر يتعلق بسمنر.
- سمنر...!!
- نعم.
- البروفيسور ادوارد سمنر عالم الأثنربولوجى الحيوى وزميلك القديم يا مستر هوك..رفيقك فى البعثة إلى جامعة هارفارد منذ أكثر من عشرون عاماً.. وأستاذى فى علم الوراثة.. أيعقل أن تكون نسيته.؟
- ضاقت حدقتا ألبرت هوك بمجرد ذكر اسم العالم المختفى واستند إلى مقعد حجرى وهو يتمتم بصوتٍ خافت:
- ادوارد سمنر..كنت أعتقد أنى لن أسمع هذا الإسم مرة اخرى..يا إله السماوات..أخبرنى سريعاً أيها الشاب ما حدث فى الجامعة يتعلق بسمنر.؟ هل ظهر مرة أخرى.؟
- إلى حدٍ ما.
- ما تقصد بـ إلى حدٍ ما؟ سؤالى واضح يا دان.
- أنا لا أدرى تماماً كل ما هنالك أن هناك شخصاً ما يطلبك بالإسم.
- شخصٌ ما.؟من هو.؟ فلتحدثنى بالموضوع كاملاً..وإلا أقسم انى سانصرف لأرعى شئونى داخل الكنيسة.
- يا سيدى كل ما هنالك أن أحد العلماء وصل إلى الجامعة منذ أسبوع وقابلنى على انفراد عندما علم أنى الوحيد الذى يعلم مكانك وكان

مصممًا على رؤيتك لولا أنى أوضحت له انعزالك فى كنيسةٍ ما..ولم أذكر له أى شىءٍ آخر حتى أستأذنك..ولكنه أصرَّ بشدة على معرفة عنوانك فرفضت فأبلغنى أنه يريد رؤيتك لأمرٍ أخطر مما نتخيل..أمهلنى أسبوعًا وكنت قد تناسيت تمامًا هذا الموضوع حتى جاء لمقابلتى أول أمس ليستفسر عما إذا كنت قابلتك ولكن عندما اعتذرت بدافع انشغالى ونسيانى الأمر غضب بشدة وخاصة أنه يبدو عليه مظاهر الجنون..وعندما هممت أن أطرده خارج الغرفة قال لى فلتخبره فقط أنى قادم برسالة ورقية إليه من البروفيسور ادوارد سمنر لأنى كنت فى فريق بحثه لأكثر من خمس سنوات.

- أى فريق بحث يا دان ؟ أولم يخبرك عن تلك الرسالة أو فحواها؟  
- لم يخبرنى بحرف أكثر من ذلك ورفض تمامًا الكشف عن فحوى رسالته وقال لى إذا لم تقابله فى عطلة الأسبوع اليوم سيرحل خارج بريطانيا وأنا من سنخسر مجهود عالمين قضيًا حياتهما فى تحقيق إعجازٍ ما؟

- إعجاز.. وجهود.. لست مطمئنًا لهذا الرجل يا دان.  
- ولا أنا يا ألبرت أكون هناك بحث يودون إشراكك فيه مرة أخرى؟  
- لا يهمنى ذلك..وأنت تتذكر عندما أتيت المرة السابقة عارضًا رسالة ادوارد التى وصلت إليك منذ سنوات..فلو أنى مهتمًا بالعمل معه لكنت الآن فى هارفارد..كل ما أود معرفته هو حقيقة علاقته بادوارد سمنر..وحتى سمنر لماذا تذكرنى بعد كل هذه السنوات..وهو يعلم أنى قد قضيت نحى؟..اللعنة..لقد نجح هذا الرجل فى جذب انتباهى ولا أدرى هل أترك الكنيسة هذا المساء وأحضر هذا اللقاء أم...

- تلك النقطة التى أثارت حيرتى يا ألبرت..الرجل يعلم أنك توفيت فى إحدى الغارات على مساكن الجامعة كما أخبرته من قبل..فلماذا

يرسل إليك برسالةٍ ما بعد هذه السنوات..؟ مع شخص يصر على مقابلتك شخصياً..؟ يا أستاذي العزيز فلتترك الكنيسة إنها لن يحدث لها شيء فإليك يحرسها بالطبع ولتأت معي لمقابلة ذلك الرجل الذي يرفض الحديث لأكثر من ذلك.

- أين يقيم هذا الرجل..؟
- فندق كوينز خارج لندن.. إنه فندق أقل من المتوسط فيبدو أن الرجل مفلس تماماً يا ألبرت.
- حسناً أمهلني ثلاثون دقيقة لأتى معك.. وادعوا الله أن يكون في الأمر ما يستحق.. آه بالمناسبة ما اسم هذا الرجل؟
- نور... نور سيريك.

بعد حوالي خمسون دقيقة كان ألبرت هوك ودان واتسون يستقلان القطار من محطة أشفورد.. قاطعين المسافة بين كانتربرى ولندن التي تقارب الساعتين.. وبعد أن تبادل الرجلان الحديث في عدة مواضيع لقتل الوقت التفت كل منهما للتفكير في ما يشغله.. فأمسك دان جريدة الديلي ميرور ليبدأ قراءة ما قام به رئيس وزراء بريطانيا رامزي ماكدونالد في موضوع تسوية التعويضات مع ألمانيا بعد الحرب العالمية السابقة.. فقد حاول أن يشغل نفسه عن السبب الحقيقي الذي دفعه لقطع تلك المسافة ليقابل هذا العالم المعتزل مرة أخرى.

كانت أول مرة منذ أكثر من عشرين عاماً عندما بدأ دان أبحاثه الخاصة بعلم الانثروبولوجي.. يتذكر دان هذا التاريخ جيداً ففى عام 1911 بعد تخرجه مباشرة التحق بالعمل في جامعة أكسفورد كمساعد للبروفيسور ألبرت هوك أستاذ علم الوراثة بالجامعة وسرعان ما أثبت تفوقه حتى التحق وسط فريق بحثي من أساتذته والذين جمعهم هدف واحد.. ولم يدرى ما

هو الهدف الحقيقي من أبحاثهم المشتركة كل ما كان عليه فقط هو طاعتهم العمياء حتى ينال ثقتهم جميعاً.. وقتها كان الفريق البحثي مكون من ألبرت هوك والبروفيسور ادوارد سمنر والبروفيسور اليزابيث فورد.

ولم يمر وقت كبير حتى أصبح عضو في الفريق العلمي الذي تبنته الجامعة وأعطت لهم اعتماداً مالياً لدراسة أصول الإنسان الأول ومعرفة طريقة تعامله مع العالم المحيط به وكيفية تعايشه مع الأحوال الزمنية في ذلك الحين.. كانت الدراسة نظرية بشكلٍ ما لحين البدء في الأبحاث الميدانية والتي كان ينتظرها بفارغ الصبر.. ولكن لقلّة الإعتماد المالي للجامعة تم التأجيل لأكثر من مرة.. وباقترابه من أستاذه ألبرت علم أن هناك مشروعاً سرياً آخر في الخفاء وأن تلك المنحة ما هي إلا ستار لدراسة شيءٍ أخطر وأهم ولكن الأيام لم تمهله حتى يقترب أكثر من السر الذي كان وشيكاً على الوصول إليه.

فبعد عام من عمله مع ألبرت تبنت جامعة هارفارد الأمريكية الأبحاث بعدما راسلها ادوارد سمنر لقلته الموارد المالية للجامعة الانجليزية ولخطورة أبحاثه أعطته منحة كاملة بكافة الإعتمادات المالية لكلٍ من ألبرت هوك أستاذ علم الوراثة والأستاذ ادوارد سمنر.. وذلك بالتعاون مع جامعة اكسفورد الإنجليزية.. وعبئاً حاول العالمان اصطحاب دان معهم أو حتى زميلتهم إلا أن طلبهم قوبل بالرفض من إدارة الجامعة حيث كانت المنحة مخصصة لفردين فقط.

وقتها بدأ دان واتسون العمل وحيداً في القشور التي تركها له العالمان وعبئاً حاول قبل سفرهم أن يتنازل أياً منهم ليبوحا له بأى شيء.. وحتى العالمة

الأخرى التي حاول أن يعمل معها لكنها استقالت بمجرد انتهاء عمل الفريق العلمي ورفضت الإفصاح عن أى شىء يتعلق بالأبحاث.

ورحل العالمان إلى أمريكا وانقطعت أخبارهم تمامًا حتى بدأت الحرب العالمية الكبرى وقتها علم دان أن ألبرت قد مئى هناك بفشل ذريع وأغلقت جامعة هارفارد أى منح أو اعتمادات لنشوب الحرب فما كان من ألبرت إلا أن عاد إلى بريطانيا يجر أذيال الخيبة ليعتزل الناس جميعًا تاركًا زميله العالم ادوارد سمنر في أمريكا..وسرعان ما تعرض منزل ألبرت بالسكن الجامعى للقصف في إحدى الغارات وكان هناك العديد من الضحايا وتأكد دان من وفاة ألبرت حيث نشرت الجامعة وقتها نعيًا في الديلى ميرور تنعى أستاذ علم الوراثة بالجامعة.

لم يتأثر دان كثيرًا فحياة الرجل كانت تحتوى على العديد من الأسرار ولكن بالطبع لم يبيع بها..فلم يشعر بأى ألم لفراق أستاذه..ومرت الأعوام طويلة حتى انتهت لعنة الحرب وما خلفته من آثار ودمار في كافة الأرجاء...وبعد سنوات من انتهاء الحرب في عام 1926 وصل إلى دان واتسون بريد من العالم ادوراد سمنر والذى كان قد تناساه تمامًا وكان معنونيًا باسم ألبرت هوك ولكن بالطبع لم يستلمه أحد وعاد مرة أخرى إلى صاحبه حتى وصل أخيرًا إلى دان خطاب من الرجل يسأله مباشرة عن أحوال البروفيسور ألبرت هوك ولماذا لم تصل خطاباته إليه.؟ والآن بعد أن تحسنت الأحوال في الولايات المتحدة بعد انتصارها في الحرب وهل هناك إمكانية للعودة معه إلى أمريكا لأنه قد وجد جامعة تتبنى كافة الأبحاث.

وقتها رد عليه بوفاة ألبرت هوك في إحدى الغارات وأنه أن كان محتاجًا لأحد المساعدين فهو على أتم استعداد ليرحل إلى أمريكا ولكنه لم يرد عليه وقتها وبعد أن أرسل دان عدة خطابات إلى نفس العنوان..فوجيء بخطاب

واحد من ادوارد يأسف فيه على وفاة صديقه دون أن يشير حتى إلى إمكانية سفر دان واتسون إليه.

طوى دان الجريدة واضعاً إياها في جيبه الداخلى وهو ينظر بتحدٍ إلى ألبرت الذى كان مستغرقاً في نوم هادئ على مقعده الجلدى.

سرح مرة أخرى في تلك الحقول الخضراء والتي تفصل كانتربرى عن المدين المجاورة لها..عاد مرة أخرى إلى وجه العجوز الذى كان على يقين بموته حتى عامين فقط..عندما أخبره أحد زملائه أنه كان في مراسم تأبين والد زوجته في كنيسة كانتربرى ووجد العالم ألبرت هوك هناك وقد درس علم الكهنوت وأصبح من القساوسة في تلك الكنيسة..لم ينتظر دان سوى ليلة واحدة فقط ثم ركب القطار حتى وصل أخيراً إلى الكنيسة الصغيرة الملحقة بالكاتدرائية حيث مقر القس ألبرت هوك وكان لقاء مفتعلاً من دان..فكل ما كان يريد معرفته هو لماذا هجر العالم واستقر في تلك البقعة..وهل هناك إمكانية للعودة للعمل معه في أبحاثه لمساعدته؟

كان من الصعب عليه أن يدخل إلى الكنيسة فهو لا يؤمن بأيّ أديان ولا رسل ولا أيّ شئٍ وعندما تطرق الحوار بينهم إلى تلك النقطة حاول ألبرت معه مراتٍ ومراتٍ لإقناعه بالتدين والإعتراف ونبذ الشياطين التي تدور برأسه لكنه رفض.

ولم يقتنع دان نفسه بالحجج الواهية التي جعلت ألبرت يهجر الجامعة والعالم ليعيش هنا في أواخر أيامه يلقي عظته الأسبوعية على عدة أفراد تعيش في غيبوبة الدين وعبثاً حاول أن يستخلص منه أيّ سر كنتيجة لأبحاثه السابقة ولكن كان رد ألبرت أنه هجر الدنيا والأبحاث والجامعة و يريد أن يظل هنا تحت ظل الله إلى يوم القيامة.

لماذا خطر بباله الآن أن يلکم العجوز في أنفه بأقصى ما أوتي من قوة؟ الأنة يشعر أنه يضم شيئاً ما؟ بالطبع كان لديه ما يخفيه من نتائج لأبحاث سرية مع العالم العجوز الأخر.. كان ممكن أن يوفر عليه تلك السنوات التي قضاها دان واتسون في أبحاثه عن علم الإنسان الأول.

ولكن ما أثار اندهاشه لدرجة الجنون هي تلك الرسالة القادمة من أمريكا من العالم ادوارد سمنر عن طريق الشخص المسمى نور سيريك..لماذا؟ من المفترض أن ادوارد على تمام العلم أن ألبرت توفي في إحدى الغارات..لأنه أبلغه بنفسه مع صورة نعيه التي كانت في الجريدة وقتها.. بل ارسل إليه خطاب تعزية فلماذا الآن يرسل هذا المساعد برسالة ما إلى شخص متوفي؟ ويصر أن يقابله شخصياً؟ فكيف؟

كان في الأمر خدعة ما..لا يدرى أيهما يقول الصدق وأيهما يكذب..كان عليه فقط الإنتظار وليس أمامه سوى الإنتظار.

\*\*\*

وفي إحدى الغرف الضيقة في فندق كوينز كان يجلس ثلاثة رجال على منضدة يحتسى كل منهم مشروبه الدافئ وكل منهم ينظر إلى الآخرين برغبة..وما أن انتصفت الساعة الخامسة عصراً انتبه ألبرت هوك إلى الوقت الذي يضيع منه فنظر إلى الرجل الجالس إلى جواره ذو الملامح القاسية والآتى إليه برسالة من صديقه العالم الإنجليزي قائلاً:

- إذن فقد رحل العجوز..رحمة الله عليك يا صديقي ادوارد..والآن بعد أن اطمئننت أنى ألبرت هوك كما رأيت من أوراقى هل لك أن تدخل في

ما جئت به مباشرة بدلاً من الدقائق التي نهدرها ولنكمل حديثنا الذي بدأناه..كلنا أذانٌ مُصغية.

- سيدى فلتلتمس لى العذر فكما أخبرت مستردان لقد عانيت الكثير حتى أصل إليكم سالمًا وأعتقد أن لدى الكثير الذى لم ولن يعلمه غيركم..ولكن الأمر من الأهميه لدى لاتأكد أنك الرجل المنشود.

دان - لقد أخبرنى الرجل يا ألبرت أنه كان نزيلاً لفته في السجون الألمانية. نور- مهما أخبرته يا مستردان لن تتخيل حجم الآلام التي عانيت منها حتى أخبرهم عن سر تلك الأبحاث..لقد تذوقت أقسى أنواع الألم والجلد يوميًا ونزع الأظافر والكى ..

ألبرت - كفى أنا لا أحب سماع تلك الأحاديث..لقد أخبرتنا من قبل أنك زميل البروفيسور ادوارد سمنر وأخبرتنا أن المسكين قضى نحبه داخل تلك القلعة فما طبيعة تلك الأبحاث وما فحوى تلك الرسالة التي أراد أن يرسلها لنا.

نور -حسناً..ولكن أود أن أشير لك أنى لن أتخلى عن السير على خطا أستاذى الراحل وسواء كان لديكم القدرة على المساعدة أم لا سوف أسير في طريقي حتى أرى ما حلمنا به سوياً يتحقق أمامنا.

وقام إلى حقيبته ليخرج من أحد الكتب المكتظه بها أحد الأظرف والذى فتحه بعناية ليخرج منه ورقة مهترئة مما مر بها من أحداث ليضعها أمام ألبرت قائلاً:

- هذه الورقة كادت أن تجعلنى افقد حياتى يا مسترألبرت..هذه الورقة هى آخر ما دونها أستاذى ادوارد..قرأتها آلاف المرات ولم أفهم منها أي شيء.. قرأها رجال الجيش الألمانى ولم يفهموا منها حرف..مارسوا على

أقسى أنواع التعذيب وعقارات الحقيقة ولما تأكدوا أنى لا أعلم أنشئ  
أطلقوا سراحي..كنت متأكدًا أنى مُراقب بشكلٍ ما..لذا انتظرت شهرًا  
أمارس حياتى بالشكل الطبيعى حتى أنى عدت إلى بيتى القديم فى أحد  
المقاطعات السوفيتية واستقر بى الحال هناك..وعندما يأس  
المطاردون منى قررت أن أبدأ فى التحرك ولذلك كان على أن أفهم تلك  
الكلمات المدونة فى الورقة.

ناول نور الورقة إلى العجوز الذى ارتدى نظارته فى عجلة واقترب منه دان  
الذى كان فى أشد حالات اللهفة لمعرفة ما فحوى الرسالة وهل تتعلق  
بطبيعته الأبحاث التى كان يجريها العالمان وكم كان يأمل وقتها أن تكون لدى  
أحدهم إجابات شافية لأبحاثه هو الآخر..أو يكون بالرسالة أى كلمات قد  
تكشف غموض الموقف بأكمله.

قرأ ألبرت الورقة مثبتًا عينيه لمدة دقيقة ليبدو لناظريه أنه ذهب فى عالم  
آخر بينما لم يصبر دان فمد يده بتلقائية لأخذ الورقة من يد ألبرت الذى  
كان لا يزال فى شروده ولكن خيبة أمل دان كانت لا حدود لها عندما وجد  
أن تلك الورقة لا تحتوى إلا على كلمتان :

( هارفارد - أناتون )

- ما هذا العبث..؟ ما معنى هارفارد..؟ واناتون..؟ ربما كان يقصد جامعة  
هارفارد الأمريكية..؟ وماذا بشأن أناتون..؟ ما هذا الهراء..؟ أهذه الرسالة  
الحمقاء التى كدت أن تدفع حياتك أمامها يا رجل..؟ أى عقلٍ تحمله فى  
رأسك..؟ إن الرسالة خَيَّبَت آمالنا قبل أن تبدأ..وما يدرينا أن تلك  
الرسالة هى الحقيقية..؟ وما يدرينا..

لكن ألبرت قاطعه قائلاً وهو يزيح نظارته:

- مهلاً يا دان..مهلاً إن الرسالة حقيقية..وأن ادوارد هو من كتبها وهو يقصدنى أنا بهذه الرسالة..أما بخصوص كيف وهو يدرى أنى توفيت فهناك العشرات من الأسئلة التى تتوالد فى رأسى.

دان - هل لك أن توضح أكثر يا ألبرت؟

ألبرت - ليس الآن..أنا متعب من السفر وأريد أن أستريح.

دان - ألبرت..إننا فى عجلة من أمرنا.

نور- يا سيدى أىّ راحة الآن؟ لقد أتيتك من آلاف الأميال لأفهم فحوى هذه الرسالة وزميلك القديم أوصى بإيصالها لك فأرجو..

ألبرت (مقاطعاً)- قلت لكم أنى فى أشد الحاجة إلى الراحة..وأنت أيها الشاب لقد أتيت لى برسالة من أستاذك وليس لك أىّ شأن بعد ذلك.

نور- كيف لا شأن لى؟يا سيدى أريد أن أوضح لك شيئاً ما..أن لديك ربع الحقيقة وبداية الفكرة التى بدأتموها سويًا..أما أنا فلقد حضرت أكثر من نصفها وإذا تعاونًا معًا فسنستطيع إكمال ما بدأه أستاذى وزميلك الراحل..ولا أريد منك فقط إلا إيضاح فحوى الرسالة وسأتمكن وحدى فى المُنْصِيّ فيما قررت فعله إن لم تكن لديكم النية لمساعدتى.

دان - الرجل على صواب يا ألبرت أن كل منا لديه جزء ما من الحقيقة.. فلماذا حتى هذه اللحظة منذ سنوات ترفض الإفصاح عما يدور بخلدك..أنت فى هذه الحالة تخون تلك الثقة التى وضعها فيك مستر ادوارد سمنر.

ألبرت - أنا لم أكن ثقة أحد كل ما طلبته هو مهلة لى نفسى أولاً ومصارحتها بهل أكون على استعداد إلى شىء ما..؟فى البداية كان أملنا يتجه إلى البحث

عن نتيجة معينة ولكن بعد أكثر من عشرون عامًا..هل؟ هل بعد كل هذه السنوات يختارنى الرب لهذا العمل؟

دان- الرب.؟ لا أفهمك يا ألبرت.؟ الرسالة ليست دينية فلم تصبغ كل شيء حولك بالدين؟

ألبرت- يا ولدى إن الدين فى كل شيء وإن..

نور (مقاطعًا)- أيتها السادة من فضلكم ليس هذا مكان ولا زمان جدالكم الدينى أريد الآن أن أعرف كم تطلب من المهلة يا مستر ألبرت؟  
ألبرت - غداً..غداً مساءً يا مستر نور سوف أخبركم بكل شيء.

\*\*\*

فى صباح اليوم التالى كان ألبرت فى طريقه إلى الفندق حيث الموعد المحدد مع نور وطوال الطريق ظل يحدث نفسه بما قرره ليلاً..لم يغمض له جفن..يعلم أنها تجربته الأخيرة مع الله.فالله يريد أن يستخدمه بشكلٍ ما..ولم لا أليس هو من أرسل نور إليه برسالة من ادوارد الذى هو فى عداد الأموات الآن.؟

وبعد حوالى ثلاثون دقيقة كان الرجال الثلاثة كما الأمس تماماً مجتمعون أمام تلك المنضدة الصغيرة وبينما كان ألبرت يسترسل فى الحديث قاطعه دان قائلاً:

- إنى مندهش يا ألبرت..أبعد كل هذه السنوات من غيبوبتك داخل الكنيسة توافق على المساعدة.؟أتى مهرولاً بمجرد وصول تلك الرسالة الغامضة لتقول نعم أنا معك.؟ألا تتذكر عشرات المرات التى

طلبت مساعدتك في تلك الأبحاث اللعينة التي تركتموها خلفكم أنت وادوارد؟ وكان ردك النفي القاطع وكدت أن تطردني خارج كنيسك؟

- أنت لا تدري يا دان.. هي تجربتي الأخيرة وسأحارب حتى النهاية..
- أية تجربة وأي حرب الآن يا ألبرت؟ أعتقد أن لكل منا جزء من الأحداث التي مرت علينا ولكل منا دوره وإذا كنت تطلب المساعدة فعلاً يا نور فعليك أن تقص علينا كل ما مررت به في سبيل هذا البحث.

نور – نعم يا مستردان هناك العديد من السنوات المفقودة لدى كل منا وسوف أقص عليكم ما حدث ولكني أرى أن نعود الى بداية الأحداث فهناك العديد من الأسرار التي لم نسمعها من قبل وأعتقد يا مستر ألبرت أن لديك ما يكفى منها.

ألبرت – نعم هو كذلك وسوف أقص عليكم ما حدث وأدعو الله ألا تخونني ذاكرتي.

أسند ألبرت رأسه على كرسيه رافعاً وجهه إلى السقف ليسرد على مسامع الآخرين القصة منذ البداية..تهند تهيدة حارة وبدأ في الحديث:

في بداية عام 1911 كنت في بداية الأربعينات من العمر وقد انتقلت للعمل في جامعة اكسفورد كأستاذ في علم الأثنولوجي وقتها تعرفت على العالمان ادوارد واليزابيث فورد أساتذه علم الوراثة بالجامعة..كانا على وشك الزواج..وتوطدت صداقتي بهما وبعد عدة أسابيع علمت أن هناك بحثاً في الجامعة بقياده الاستاذ ادوارد سمنر حول معرفة أساليب تطور بعض القبائل القديمة من البشر والبحث في ماضيهم وحاضرهم لكي يفهم تطور هذه الكائنات عبر التاريخ..إلى هنا كان البحث طبيعياً جداً ومن أصول علم

الأنثروبولوجي وهو ما أقوم بتدريسه لتطور البشر.. لكن ما كان سرّيًا هو أن ادوارد كان يخاطب جامعات عدة للحصول على منحة من إحداها لدراسة أماكن القبائل القديمة كما وردت بالنصوص المقدسة سواء كان إنجيل أو توراة أو قرآن أو تعاليم شرق أوسطية.. قد تتسائلون وما علاقة ادوارد أستاذ علم الوراثة بذلك سأجيبكم بأن حلم ادوارد القديم هو اكتشاف وجود نسل لبعض تلك القبائل حتى الآن في أماكن محددة في العالم.. وقتها حضرت أنت يادان.. شابًا مُتَقَدِّ الذكاء.. كنت في بداية عملي في الجامعة وعملت كمساعد لي في التدريس.. كنت أشعر أن ورائك شغف غير طبيعي ولذلك كان عليّ أن أضمك إلى فريقنا.. لكن ذات صباح فوجئت بادوارد يكاد يطير من فرط سعادته لوصول خطاب له من جامعة هارفارد الأمريكية بعد أن صادف هواها ما يقوم به من أبحاث.. حيث جائته موافقة كاملة للبحث عن أماكن تجمع تلك القبائل إن وجدت مع تأمين شامل لمصاريف تلك الرحلة مهما كلفها الأمر على أن يسبق ذلك الدراسات اللازمة لتلك الأماكن.. لكن ما أثار خيبتنا بعد ذلك هي أن البعثة كانت لفردين فقط.. حاولنا اصطحاب اليزابيث أو اصطحابك يادان ولكن هارفارد رفضت ذلك ولم يكن لدينا سوى السفر بعد عدة أسابيع.. حتى أنه لم يتزوج لإصراره على الرحيل.. وفي بداية عام 1912 كنا قد استقرينا بالجامعة.. وقتها تفرغنا بالكامل للدراسة الأكاديمية لتقديم كل ما يخص تلك الرحلة.. درسنا عشرات الأماكن على الخريطة.. حفظنا مئات العهود المقدسة والتعاليم الدينية وتفسيراتها.. لم يكن ينقصنا سوى البدء.. استغرق الأمر منا تسع وعشرون شهرًا كاملة في أبحاث نظرية حتى قررنا أخيرًا بداية رحلة البحث عن أصول تلك الجماعات وأماكن وجودها.. لكننا أصبنا بخيبة أمل لا حدود لها وقت أن ألغت الجامعة المنحة بالكامل بحجة أن الميزانية لا تسمح بوجود هذا البند الباهظ في

هذا الوقت..كنا سنجن حينها ولم نعلم ما السبب وراء ذلك..وبعد عدة أشهر علمنا السبب بمجرد نشوب الحرب الكبرى فعلى الرغم من عدم دخول أمريكا الحرب إلا متأخرًا إلا أن الدعم المادى وقتها توجه إلى أسلحة الجيش والدعم اللوجيستى.

وقتها أظلمت الدنيا فى وجوهنا ولم يكن هناك بد سوى الرحيل إلى الديار مرة أخرى وفعلاً حزمت أمرى للرجوع إلى بريطانيا أما ادوارد فلم يستسلم مثلى وقرر المكوث فى أمريكا لحين حصوله على منحة أخرى لاستكمال بحثه..كان يهدف إلى شىء معين فى سعيه المحموم وراء تلك الجماعات..كان ينصب عمله إلى كيفية نقل تلك الصفات المتوارثة فى تلك الجماعات إلى الجيل الحالى وكيفية إعطاء الإنسان الموجود مناعة تؤهله لمقاومة الأمراض الموجودة ولو نجح فى سعيه لذلك لقضينا على عشرات الأمراض المتوطنة وخاصة فى بلاد العالم الثالث..كانت صدمة ادوارد أضعاف صدمتى الحقيقة لأن الرجل وصل فى أبحاثه إلى مرحلة متقدمة ولم يكن ينقصه سوى البحث عن تلك الجماعات..كان الأمر لا بد أن يظل فى طى الكتمان لأقصى درجة ممكنة ولذلك عندما عدت إلى الجامعة وأتيت إلى كانتربرى يا دان كى أساعدك فى أبحاثك التى كنت تسير فيها على نفس نهجنا كان لا بد أن أكتفم سر الشخص الذى ائتمنى عليه وقتها.. وأقسمت أنى لن أبوح بهذا السر أبداً.

ودخلت بريطانيا خضم الحرب..حينئذ وصل لى الخطاب الأخير من ادوارد..كان قد يأس من البحث عن مصدر تمويل لرحلته وأنه مصمم على عدم الرجوع مرة أخرى حتى ينتهى من ذلك الإكتشاف الذى سيغير الخريطة الوراثية للإنسان الحالى..وكيف سيحارب الأمراض وما إلى ذلك من أحلام وروية كانت موجودة فقط على الورق..وتفرقت بنا

الأحوال..وذات مساء من أيام الحرب الملعونة ذُكَّ سكن الجامعة أثناء غاره..ولحسن حظى كنت خارج المبنى فى هذه الألفية..كنت أأضرب بعض الدروس الدينية فى منزل أحد الطلاب..وتفتح نور الإيمان داخل قلبى لأول مرة منذ أمدٍ بعيد..حينها علمت أن الرب اختارنى لشئٍ ما..وظللت طوال هذه السنوات أظن أن الله اختارنى لإعطاء الدروس والخطب الدينية ولكنى حتى الأمس كنت على خطأ.

هجرت الجامعة..ولم أهتم بخبر وفاتى الذى نشرته الجامعة أو حتى أقوم بتكذيبه.. تطوعت فى إحدى المستشفيات القريبة من ميادين القتال.. رأيت أهوال الحرب..رأيت أجسادًا وروؤس وأطراف مبتورة..فى ذلك المشفى تعلمت الكثير والكثير مما جعلنى أهجى العالم الأدمى..تعلمت أن فى أوقات السلام الأبناء هم من يقومون بدفن آبائهم أما فى زمن الحرب فإن الآباء يدفنون الأبناء..تعلمت أن الأمهات والأطفال هم الأكثر ضررًا من الحروب فهم من يدفعون ثمنها أنهارًا من الدموع قهراً على أحببهم..

استمررت بالتطوع فى المستشفيات العسكرية طوال مدة الحرب وبعد انتهائها كان من المستحيل العودة إلى تلك الدراسة الأكاديمية البحتة فتوجهت إلى الدراسة الكهنوتية..فرحلت إلى كاتدرى واستقرى بالمقام هناك وهذا كل ما حدث لى طوال هذه المدة.

شئنا أخيراً أود إضافة وهى إجابتى عن سؤالك لماذا الآن؟ لماذا بعد رفضى طوال هذه السنوات مساعدتك ترانى متحمس لهذا الموضوع..يا ولدى إنها تلك الإشارة التى انتظرتها من الله طوال هذه السنوات ألا وهى التبشير..دورى ليس إلقاء الدروس الدينية أمام العشرات من الأشخاص الذين يأتون إلى كنيسة الصغيرة الملحقة بالكاتدرائية ليستمعوا إلى أحد الدروس الأسبوعية والتى لا تخرج عن كونها قصص من سير

الصالحين..ولكن هناك ما هو أبعد..تخيل يا ولدى إذا وجدت تلك القبائل وكانت هناك طريقة للتفاهم بيننا هل تخيلت إذا نشرت لهم تعاليم المسيحية هناك..؟ إذا قمت بالتبشير وسط هؤلاء الوثنيين..؟ أى مهمه أقدس من تلك التى أختم بها حياتى..؟ ألا تتذكر رسل يسوع..؟إنى على أتم استعداد لأنهى حياتى فى سبيل ذلك.

دان- ألبرت..ها أنت كعادتك لقد غيرت مسار هدفنا إلى مصير دينى بحت..وأعلم أن لا وقت لددى ولا لديك للحديث فى تلك الترهات..لكن ليس هذا سؤالى الوحيد..سؤالى الآخر هو أن هذا البحث كان سرىً ولم يطلع عليه أحد فلماذا تظن أن ما أتى به نور هو ما كنتم تقومون به من الأصل..؟بل غرابة الأمر تجعلنى أظن أن قد تكون هذه رسالة مزيفة..فلتلمس لى العذريا مستر نور .

نور- وما وجه استفادتى يا مستر دان..؟ كل ما هنالك هو تحقيق رغبة رجل ميت أصرَّ على وصولى إليكم بهذه الرسالة وقد كنت أظن أن لديكم ما تقدموه إلىّ بدلاً من تلك الأحاديث والذكريات لمساعدتى للسير فى نهج مستر ادوارد..والبدء من نهاية عمله ولكن عوضاً عن ذلك أرى أننا سوف نبدأ من الصفر بل من تحت الصفر.

ألبرت- يا دان أنا واثق تمام الثقة أن ما أنهاه ادوارد كنا نحن ثمرة بدايته..وأن ما كان يقوم به فى أخر عمله هو ما بدأناه سوياً.

دان- ومن اين اتيت بتلك الثقة يا ألبرت؟

ألبرت- من الرسالة ذاتها.

دان -كيف من الرسالة وأنت لم يذكر فيها اسمك أو ما يشير إليك..؟

ألبرت- قد يكون ذلك ولكن كلمة (أناتون) هي كلمة أطلقها في بداية البحث وهي تشير إلى الإنسان الذي سنبحث عن أماكن تواجده وسميته بهذا الاسم تيمناً بالملك المصري اخناتون فقد كان له دور في بحثنا ذلك..لا تستعجل الحديث كله يا دان كُلَّ سيأتي في دوره.

دان- كُلَّ سيأتي في دوره..نعم كلامك صحيح..أما عن نفسى فأنا لا أملك أى أسرارٍ فبعد رجوعك من البعثة توليت البحث في ذات الفكرة التي كنتم تقومون بها لكنى لم أدرك فكرة ادوارد وهي تعديل الصفات البشرية للجيل الحالى لجعله أكثر موائمة..نعم احتجت لكل ما كنت تخفيه..ظننتك توفيت في وقت الغارة وعندما تلقيت رسائل من ادوارد يسأل لماذا لم تقم بالرد عليه في الفترة الأخيرة أخبرته بوفاتك واستعدادى للسفر لاستكمال البحث عوضاً عنك لكنه لم يُلقِ لى بالأ هو الآخر..استمرت في البحث عن أصول الإنسان الأول..لقد تعمقت في دراسته قبائل الكويسان والهادزا الإفريقية وقبائل حقبة أومو انتيسيسر في أوروبا والعديد من آثار الهنود الحمر ولم أدرك ما دار بعقلكم يا ألبرت كأنى كنت أدور في حلقة مفرغة..

وبعد فترة علمت أنك في تلك الأسقفية الملحقة بالكنيسة فكان على أن أزورك وأحاول أن أستخلص منك أى شىء قد يفيدنى في البحث عن أصول تلك الجماعات ولكن رأسك كانت عنيدة دائماً..فقررت إلغاء البحث واكتفيت بما أجريته من خطوات واتجهت إلى الدراسة الأكاديمية..حتى أتى إلى نور في الجامعة بتلك الرسالة..ولدى الكثير من الأسئلة الغامضة التي لن يجيبها إلا أنت يا نور وأتمنى أن أعلم من أنت وما طبيعة الأبحاث الأخيرة وكيف مات ادوارد.

نور- مهلاً يا مستردان سأجيبك على كل تساؤلاتك وسأبدأ من بداية الرحلة في أمريكا تماماً كما أخبرنى ادوارد وتحديداً بعد انتهاء الحرب الكبرى

عام 1918.. وخلال هذه الفترة حتى عام 1922 كانت أسوأ أيام مستر ادوارد.. كانت الحياة صعبة في ذلك الوقت في أمريكا على الرغم من محاولة الرئيس ويلسون طوال مدة الحرب أن يبقى بلاده على الحياد إلا أن أمريكا تم جرها للحرب في نهاية عام 1917 وانتهت بانتصار الحلفاء على قوات المحور وهزيمة المانيا المنكره.

عانى مستر ادوارد الأَمْرَيْنِ حتى عام 1922 فلم يكن لديه أى عملٍ في هذا الوقت حتى أنه عمل في مكتبة عامة كبائع في الفترة المسائية وعلى الرغم من قلة دخله إلا أنه استفاد من قراءة الكتب الموجودة بالمكتبة.. وظل هذا الأمر حتى أرسلت إليه جامعة حديثة العهد في بداية عام 1925.. والتي كانت مهتمة بالمقالات التي ينشرها في النيويورك تايمز عن أحلامه وأبحاثه بعد أن تحسنت الأحوال في البلاد وتم صرف شيك له بكافة مصروفات الرحلة التي طالما حلم بالقيام بها وأعتقد وقتها أنه أرسل اليك الخطاب يا مستر ألبرت لاصطحابك في الرحلة معه.. وعندما لم يصله رد منك بدأ في رحلته إلى بلاد الشرق الأقصى واستمر خمس سنوات كاملة قضاها في التنقل من مكانٍ إلى آخر.. قضى منهم آخر عام في الصين.. إلى أن تم تعييني أنا وفريق من العلماء لمساعدة مستر ادوارد بعد أن قطع شوطاً هائلاً في رحلاته الميدانية.. والتي للأسف لم يبع بأى من أسرارها لى شخصياً حتى بعد أن بدأت في مشاركته أبحاثه وكسبت ثقته.. بعد ذلك تم إقامة البعثة في معسكرٍ خاص بأبحاث تلك الجامعة في مقاطعة شمال الصين على حسب تعليمات مستر ادوارد.. وتم فرض حراسة علينا من وقتها خوفاً على حياته.. وفي نهاية عام 1930 بدأت الأبحاث تأخذ منحىً في غاية الأهمية.. كانت لدى مستر ادوارد شكوك بأن من يمول رحلته واكتشافه هم الألمان.. وأنتم كبريطانيين تعتبرون ألمانيا الشيطان الأعظم.. لكنه لم يصارح

أحدًا باكتشافه طبيعة من يمولون أبحاثه حتى صارحنى فى العام الأخير ووقتها اتخذت الأبحاث أيضًا منحنيين آخرين..

أحدهما أن لدى مستر ادوارد الطموح لتعديل الخريطة الوراثية للإنسان الحالى عن طريق التزاوج بعملیات معينة حتى يتم خلق جيل جديد مقاوم للأمراض وهذا ما كنتم تقومون به يا مستر ألبرت ولكن فرض على فريق بحثنا نوع آخر من الأبحاث هو خلق الإنسان الكامل..وهذ هو المنحنى الأخر..الإنسان الكامل..

نعم الإنسان الكامل فبعد هزيمة ألمانيا فى الحرب بصورة مهينة وانهيار الإمبراطورية الألمانية وتوقيع ألمانيا على اتفاقیه فرسای شعر الألمان بالمهانه وقتها بدأ نجم هتلر فى اليزوغ كرئيس لأكبر حزب فى البلاد ولم يكن حتى ذلك الوقت زعيمًا أو حتى مستشارًا على الرغم من دخوله الإنتخابات الرئاسية مرتين قد فشل فىهما لكن كان قد تغلغل أنصاره فى كل مكان بألمانيا حتى قوات الدفاع الفيرماخت والتي كانت تدين له بالولاء الكامل أكثر من الرئيس هيندينبرج ذاته وكلهم يهدفون إلى شىء واحد ألا وهو عودة الجنس الأرى..أفضل الأجناس البشرية حيث كانت ولا زالت لديهم أفكار عنصرية لا أستطيع وصفها.

ألبرت - نعم لقد سمعنا عن تلك الحركة الجديدة فى ألمانيا..النازية.

نور - النازية كانت علم أحياء تطبقى كما صرح بذلك مساعد هتلر فى الحزب النازى رودلف هس.. فقد كان من أفكاره تحسين النسل كمسار لسياسة الدولة. ووصف نظام الحكم النازى كما هو مدون فى التعاليم النازية يقوم على الجنس الأرى فقط بمحاولة تحسين النسل له..لذا ستبدأ المحاولة لتفريغ ألمانيا فى قالب مجتمع قومى متماسك سوف يستبعد أى

شخص يعتبر بشكل موروث ذو قيمة أقل أو أجنبي من الناحية العرقية..وخلال فترة بسيطة ستكون مقاييس الصحة العامة للسيطرة على التناسل والتزواج تهدف إلى تقوية الجنس الأرى من خلال التخلص من الجينات ذات التهديد البيولوجى من السكان..وقد احتضن العديد من الأطباء والعلماء الألمان الذين ساندوا أفكار علم الصحة العنصرى قبل عام 1933 تأكيد النظام الجديد على علم الأحياء والوراثة..والتموليل الإضافى للأبحاث .

لذلك عندما علم الألمان بتلك الأبحاث نمت لديهم الحلم الجديد..خلق الجندى الألمانى الكامل..الذى لا يُقهر..مجرد حلم ولكن بمتابعتهم مقالات مستر ادوارد واهتمامه بهذا النوع من البحث أرسلوا عيونهم إلى الرجل والإستفادة من أبحاثه..لا يهمهم نقل الصفات الجينية إلى الإنسان الحالى لجعله ذو مقاومه أكبر كما كان يطمح البروفيسور ادوارد..كان لديهم ذاك الحلم الآخر..وبمتابعته يبدو أنهم اقتنعوا بشكلٍ ما بفكرته لذلك كان عليهم أن يجندوه ولكن بشكلٍ ما..لأنه سيرفض مهما كانت الإغراءات المقدمة له أن يتعاون مع بلد دخلت حرب مع دولته..لذا ادَّعوا أنهم إحدى الجامعات الأمريكية الوليدة وتم صرف مبالغ طائلة على المشروع ذاته ولم يشعر بذلك أبداً إلا فى الآونة الأخيرة وقتها تعمد أن تظل أبحاثه قيد الكتمان ولم يصارح كائناً من كان بما يدور فى رأسه.

وكما أخبرتكم تم نقل مكان أبحاثنا إلى مقاطعة فى شمال الصين حسب تعليمات مستر ادوارد وقد كانت الشهور الأخيرة فى منتهى الصعوبة لأننا تجولنا فى مئات الأماكن المحيطة بدائرة تقدر بحوالى ثلاثمائة كيلو متر..لا أدرى عما كان يبحث..؟هل على قبائل معينة كما أخبرنى ذات مره..كان يقرأ فى كتابه الخاص ويكتب إحداثيات وخرائط وأنا أسير خلفه أنا ومساعد

آخر أمريكي الجنسية تم اختياره مؤخرًا..حتى كاد أن يغشى علينا مراتٍ ومرات..وفي إحدى المرات فقدت أثرهم في منطقة تمتلى بالكهوف والجبال الصخرية ولا أخفى عليكم أنى أعتقد أننا لم نضل طريقنا ولكن تعمد مستر ادوارد الذهاب في مكانٍ معين كان قد علمه بنفسه..ولكنى لم أقتفى أثره لإرهاقي الشديد ولثقل الحقيبة التى كنت أحملها..وقتها اضطرت للمكوث في أحد الكهوف الجبلية تلك الليلة لحين الصباح لأبدأ السير مرة أخرى لأعبر ذلك المنحدر الجبلى الذى كان أمامى..كنت أشعر أنى في معزل عن العالم ولم لا فقد كانت الجبال والكهوف تغطى نظرى إلى ما لا نهاية..أشعلت نارًا في مخرج الكهف ودخلت لأنال قسطًا من النوم..كنت أشعر أن هناك من العيون ما يراقبنى..ربما كانت آدميه أو حتى لذئابٍ لا أدرى..أدري فقط أنها كانت تثير الرعب في أوصالى بتلك الهمهمات الغير مفهومة..لم يستغرق الأمر سوى سويعات قليلة حتى دخل على مارك مساعده الأمريكي صارخًا وهو يطلب منى الذهاب معه إلى أحد الكهوف التى في الجوار حيث ينتظرنا ادوارد..كانا قد عرفنا مكان تواجدى من إشعالي النيران في مدخل الكهف..وخلال عدة دقائق كنت قد وصلت إلى الكهف الموجود به ادوارد وفوجئت بوجود مخلوقًا ضخماً يشبه..

دان وألبرت مقاطعين - مخلوق.؟

دان- كيف.؟وما وصفه.؟ وهل هو بشرى .؟كيف يا نور.؟

نور - انتظرنا فقط حتى أكمل بقية حديثى..كان يشبه الإنسان إلى حدٍ كبير وقدمه تنزف بغزارة من اثر طلقة من مسدس مارك..بينما رأيت ادوارد في صراخ مستمر من أثر فرحته..فهل بعد كل هذه السنوات يعثر على ضالته.؟أخبرنى مارك أنهم بعد اختفائى عادة مرة أخرى إلى نقطة البداية وظلا يبحثان عنى حتى تعبوا وجلسا يستريحا لفترة من الوقت حتى جن الليل

ورأى النار التي بدأت في إشعالها وفي طريقهم إلى سمعا أنيناً يخرج من أحد الكهوف الموجودة في الجوار.. فدخلوا بمنتهى الحذر وعندما أشعلا المصباح لم يريا سوى خيال ضخم يهرب إلى الداخل ولكن ادوارد كان كمن لدغه ثعبان.. أخرج مارك مسدسه وسار في أعقابه للداخل بينما قام هو بتجهيز بندقية التخدير التي في الحقيبة وبعد عدة دقائق كان المخلوق المسكين أمامهم.. وعندما بأس من الهروب حاول أن يقفز على ادوارد ولكن مارك أطلق عياراً نارياً على قدمه وتمالك ادوارد نفسه واطلق حقنتان مخدرتان وهربوا من أمامه لأنه كان كمن جُنَّ جنونه.. حتى ذهب في غيبوبته أخيراً فَقَيِّدُوهُ بالشكل الموجود.. وقفت مذهولاً من الإكتشاف الذي وقع بين يدينا بدون أي جهد.. تناولت حقيبة الإسعافات الأولية سريعاً وحاولت مع مارك بكل الطريق إيقاف النزيف حتى توقف أخيراً.. بدأ ادوارد في تجهيز حقنة مخدرة مرة أخرى وكان علينا أن ننقل هذا المخلوق إلى المعسكر في الصباح الباكر.. اقترحت على ادوارد ذهابي مع أول تباشير الصباح لإحضار نجدة من المعسكر لحمل المخلوق لكنه رفض بشدة وأصرَّ على الذهاب بمفرده.. كانت حجته أن هناك المئات من الكهوف المتشابهة وهو يخشى أن نضل طريقنا.. وبالفعل رحل في أول ضوء للنهار.. وبعد عدة ساعات جائت النجدة من المعسكر وقمنا جميعاً بتقييد المخلوق وحمله في رحلة غاية في الصعوبة حتى وصلنا إلى المعسكر أخيراً.

تم حجة في أحد الغرف وصباح اليوم التالي شرح مستر ادوارد لمدير المعسكر كل ما يخص رحلته الأخيرة.. لكن بالطبع كان عليه أن يتصرف على طبيعته حتى لا يكشف كافة أوراقه ومنها مكان الكهف ذاته والذي تظاهر بعدم معرفته جيداً حتى عندما زرنا منطقة الكهوف لأكثر من مرة فيما بعد لم نجده.. واستمر في خداعه طوال الشهر التالية حتى يكمل ما

بدأه..بل حتى لم يُظْهر أئى فعل باكتشافه أنه فى برائن الألمان..وفى نفس الوقت استمر فى إجراء مئات التجارب على ذلك المخلوق حتى ما كان يطلب منا القيام به ومساعدته فىما كانت مجرد قشور..وكان يحتفظ هو بكل ما هو هام..إلى أتت الليلة المشئومة..كانت تصرفات مستر ادوارد غاية فى الغرابة يومها وقبل وفاته بدقائق أعطانى هذه الورقة طالبًا منى أن أستمِر فى أبحاثه..لم أعلم أئى شئ عن الورقة أو ما كان يقوم به فى الليلة الأخيرة..وبعدها دوى انفجار عنيف هزَّ أرجاء المعسكر بأكمله بالمعمل بكل ما قدمه ادوارد فى شهوره الأخيرة حتى المخلوق الذى تقطعت أوصاله مع البروفيسور ادوارد والذى يبدو أنه ظل يُتَابَعُه حتى لحظاته الأخيرة قبل وفاته مما يثير مئات من التساؤلات لكن أبرزها هو أنه من المؤكد توصله إلى شئ ما فى أيامه الأخيرة وعندما علم استحاله هروبه قرر تفجير كل شئ وانهاء حياته بدلًا من أن يقع فريسة للألمان..وبعد انفجار المعمل كنت أنا ومارك أول المشتبه بهم..لا أتذكر تلك التفاصيل عن كُتُب..لا أعلم ما حدث لمارك فلم أسمع عنه أئى خبر أما أنا فلا أتذكر سوى الوجوه الصلبة التى لم تستمع إلى توسلاتى وصراخى بتجارهم على جسدى بآلاتهم الشيطانية التى أصابت كل جزء بجسدى..حاولوا فهم ما وجدوه فى تلك الرسالة وفور تأكدهم من أنى لا أعلم أئى شئ سوى ما أخبرتكم به ألقوها بوجهى وأطلقوا سراخى كما رويت لكم..ولكن كان علىَّ أن أحقق أمل ادوارد..قرأت تلك الرسالة لم أفهم أنا الآخر ما معنى هارفارد..؟ أو أناتون..؟رَجَّحْتُ أَنَّ المقصود هو جامعة هارفارد..فقد كانت بداية ادوارد هناك وَخَمَّنْتُ أن تكون تلك إشارة للبحث عَمَّنْ كان يساعده فى الجامعة..رحلت إلى أمريكا وذهبت إلى قسم الوراثة هناك وسألت عن مستر ادوارد فأخبرنى أحد الاساتذة بتاريخه منذ قدومه هو وزميله الآخر من بريطانيا وأخبرنى عن

اسم ذلك العالم البريطاني..مستر ألبرت هوك وهكذا أيها السادة حتى جاء اليوم الذى أجلس فيه بينكم..

دان - قصتك أثارت العشرات من التساؤلات يا نور..ما وصف ذلك المخلوق يا نور هل هو بشرى؟

نور - أعتقد أنه أحد السلالات النادرة يا بروفيسور دان هو يناهز المتران طولاً..جمجته تشبه الإنسان الأُوَلَى ولكن مع اختلاف الحجم..تبرز عظام جبهته بصورة مبالغ فيها ذو أنف أفطس..يداه طويلة نوعاً ما..للأسف كان لدينا صور له ولكن احترقت مع المعمل الذى تم تفجيره.

دان - أخبرنى يا نور هل تشعر أن هناك من يتعقبك.؟

نور- لا لا لقد تيقنت من الأمر..نعم كنت مُرَاقَبَ لشهور..كنت أشعر بعيونهم تقتحم حياتى طوال الوقت..ولكنهم يأسوا لأنى تصرفت بصورة عاديه طوال تلك الفترة..لا تخشى هذه النقطة أبداً يا مستر دان..هذا بالإضافة انى دخلت البلاد بجواز سفر باسم تومى جونسون.

دان - حسناً يا نور..وأنت يا ألبرت هل أنت على استعداد أن تمضى قُدماً فى تلك الرحلة التى لا نعلم كيف ستبدأ وكيف ستنتهى وما طبيعتها.؟

ألبرت- لقد أخبرتك يا دان أنا على أتم استعداد لبذل حياتى فى سبيل تلك الخاتمة.. بالطبع أنا أسبقكم على الموافقة على الرحيل..ولكن إذا بدأنا..فهل نبدأ منذ البداية ونظل ندور فى تلك الحلقات المُفَرَّغَة؟ أم نبدأ من آخر ما قمنا به أنا وادوارد.؟ أم من هذا المكان الأخير الذى أنهى نور أبحاثه هناك.؟

نور- سيدى أود الإشارة أن هذا المكان فى الصين بحث الألمان فيه مئات المرات بعد مصرع بروفيسور ادوارد..أنت لا تعلم كم عدد الكهوف فى تلك المناطق..هناك عشرات الكيلومترات ما بين الصحراء والغابات ولا تستطيع الطائرات الإقتراب من الجبال هناك..لذا فأنا أُرَجِّحُ أن نبدأ من حيث انتهيتم أنتم بإضافة إلى تتبع خطوات ادوارد.

ألبرت- فى هذه الحالة سنبدأ من تحديد أماكن جوج وأين انتهى نسلهم وكيف بدأ.

دان- جوج؟ أبعد كل هذه السنوات تفرغ ببحثكم إلى قبائل الجوج يا ألبرت؟ لقد وصلت إلى نقطةٍ ما ولكنى فشلت فى التقدم نحو إمكانية وجودهم من الأصل.

ألبرت- هذا لأنك لم تتعمق فى الدين يا دان إن قبائل الجوج تنحدر من أصول النايندرتال وفى تفسير بعض الديانات فإن هذه القبائل لا تنتمى إلى الإنسان الأول..صدقنى سيكون بيننا أوقات هامة عندما أسرد لك كل هذه التفاصيل.

نور- النايندرتال!!

دان – الدين الدين..حسناً فاذا تركنا الدين على جانب ومضينا قُدماً نحو البحث عن أماكن جوج كما كنتم تسيرون فى بحثكم ألا تدرن كيف يمكن تديير نفقات تلك الرحلة؟ لا أعتقد أن هناك جامعةً ما سوف تتبنى ما سنقوم به.

ألبرت- إننا لن نبدأ من الصفر سنبدأ من حيث انتهينا فكما أخبرتك لقد تعلمت الكثير والكثير من التعاليم الدينية مما سيُسَيِّرُ لنا الرحلة وأعتقد

أن السير ديفيد جونسون عميد الجامعة إذا ذهبت لملاقاته قد أستطيع تدبر نفقات الرحلة فهو زميل قديم لنا أنا وادوارد.

دان – عظيم.. عليك أن تذهب في أقرب فرصة لملاقاته وأتمنى لك التوفيق.

ألبرت- في الغد سوف أعود إلى اكسفورد وسأصطحبك معي لمقابلته..

وسأذهب بعدها لإحضار كل ما أملكه من أموال..وأبحث عن تلك الخرائط القديمة التي كنا نستعين بها وأماكن بداية رحلتنا وكل المواقع التي سوف تفيدنا في البحث عن تلك الجماعات..وكل ما لدى من نصوص دينية لنستعين بها..وعن طريقك يا دان ونور قد تستطيعون إكمال ما بدأه مستر ادوارد في نقل الصفات الوراثية إلى الإنسان الحالي..باذن الرب ستكفل خطواتنا بالنجاح وأنا واثق من ذلك..ولكن هناك شخص رابع علينا أن نستعين به.

دان – شخص رابع؟ من يكون يا ألبرت؟

ألبرت- البروفيسوره اليزابيث فورد..زميلتنا القديمة وأستاذة علم الوراثة لا أعتقد أنك قد نسيتها يا دان..

دان – لم يحدث..بالعكس لقد حاولت أن أفقِّعها بمساعدتي في أبحاثي في وقتٍ ما ولكنها رفضت..ولكن لا أعتقد أبداً أنها سترفض الان..اترك لي هذه المهمة يا ألبرت سوف أذهب في القريب العاجل لمقابلتها فهي تعيش مع أسرتهما منذ خمس عشر عامًا في أحد الضيعات الإنجليزية خارج لندن.

نور- وأنا سأنتظركما وسوف أقوم باحضار تذاكر الطيران وتجهيز جدول لكل البلاد التي سنزورها لحين انتهاء مقابلتك يا مستر ألبرت.

ألبرت – وهو كذلك..اليوم هو الإثنين فلنتقابل هنا الخميس القادم لمعرفة ما الخطوات التي قمنا بها.

دان – إذن إلى الملتقى يا رفاق..وسوف أذهب إلى عملي غدًا وسأكون في الجامعة في انتظارك لمقابلة السيد ديفيد جونسون وفي اليوم الذي يليه سأذهب إلى الريف الإنجليزي.

\*\*\*

## الفصل الثالث

(ثم متى تمت الألف سنة يُحلُّ الشيطان من سجنه ويخرج ليُضِلَّ  
الأُمم الذين فى أربع زوايا الأرض يأجوج ومأجوج ليجمعهم  
للحرب)

obeikan.com

في صباح اليوم التالي كان مستر ألبرت هوك ودان يجلسان في مكتب البروفيسور ديفيد جنسون الذي كان مذهولاً من حديثهم عن تلك البعثة ولكنه قاطعهم قائلاً:

- مهلاً يا بروفيسور ألبرت أنا أتفهم دوافعك ودوافع الراحل بروفيسور ادوارد وحماسه وأنت تعلم أني كنت صديقة ولا زلت أكنُ لكما كل مشاعر الاحترام ولكن أودُ أن أُشِيرَ لك أنك في وقت ما هجرت الجامعة واتجهت إلى الكهنوتية..كنا نظنك في عداد الأموات ووقتها كان عليك أن تحضر إلى عملك وأنت تعلم أننا كنا في أشد الحاجة إليك وإلى أمثالك يا عزيزي ولكنك ذهبت إلى مكانك الجديد..فلماذا بعد كل هذه السنوات تأتي إلَيَّ بهذه القصة لتجعلني أصرف آلاف الجنيهات على رحلة تقوم بها أنت وزملائك في سبيل البشرية..أئى حُلُم جال بخاطرك يا بروفيسور ألبرت..؟أئى أسطورة تستندون عليها لإيجاد أرض هذا المخلوق..؟لو افترضنا جدلاً أنه كان حقيقة وليس ترهة من ادوارد..؟

ألبرت- حلمنا القديم يا مستر ديفيد..خلق عالم خالي من الأمراض..إعطاء مناعة للإنسان تُمَكِّنُهُ من مُقاوَمَةِ أئى عدوى قد تصيبه..انظر إليها يا ديفيد يا لها من خدمة جليلة سوف تذكرها لك كتب التاريخ..

- أئى تاريخ يا رجل..؟أوليس هناك وسيلة أخرى ليذكرك التاريخ إلا كَغَرِّ ساذج ينساق وراء الأساطير..أهناك دليل مادي على تلك القصة يا ألبرت..؟ألا يوجد حل أخر سوى أن ترحل إلى آخر بلاد العالم للبحث عن قبائلك المنقرضة لتقوم بإجبار أحدهم إلى الحجىء معك ليقوم زملائك بنقل صفاته الوراثية التي اكتسبها منذ آلاف السنين إلى إنسانك الحالى.. يا ألبرت أئى هُرَاءٍ تتفوه به..

- هناك هدف آخر.. تخيل لو قمت بالتبشير هناك؟! أتذكر الحوارين يا ديفيد.. أتذكر رسل المسيح؟! كيف..

قاطعه دان ناظرًا إليه باستهجان لكي يصمت.. وأردف قائلاً:

دان- بروفييسور ألبرت نحن هنا لمناقشة قضية علمية بحتة وهي إمكانية الدعم المادى من الجامعة على تلك الرحلة أم لا..وقد أوضحنا لك يا بروفييسور ديفيد أماكن الرحلة والهدف المتوقع وكيفية الدراسة و..

ديفيد مقاطعاً- يا بروفييسور دان القول الفصل أنى لا أستطيع أن أخصص لكما من أموال الجامعة مصروفات رحلة لا يعلم نجاحها سوى الله..أنا فى قمة الأسف وأتمنى التوفيق لكم من قلبى..اعذرانى فلدى ما يكفى من المشاكل داخل الجامعة مع قلة الاعتمادات المالىه.. وفى غاية الإنشغال الآن..

حَيَّا الرجلين ديفيد وخرجا من المكتب وهما يجران أذيال الخيبة.

\*\*\*\*

وفى المساء كان دان وألبرت يجلسان فى أحد مقاهى لندن وهما فى أقصى حالات الإحباط فبعد أن شرعا فى تحقيق حلمهما وقف المال عقبة فى طريقهم..فبعد لقاء رئيس الجامعة ذهب دان إلى المصرف ليُحصى كم من المال استطاع أن يدرخه طوال فترة عمله بالجامعة ولكن كل ما وجده مبلغًا ضئيلاً جداً لا يكفى حتى لزيارة بلد واحد من البلدان التى ينتوون زيارتها..أما ألبرت فكان يعلم مسبقاً أنه باع كل ما لديه وتبرع بهم إلى الكنيسة بمجرد استقراره بها..وكان الإثنين فى هذه اللحظة يحاولان الخروج من تلك الأزمة.

ألبرت- لماذا لا نسلك نفس الطريق الذى سلكه ادوارد ونقوم بمراسلة الجامعات الأجنبية ربما نحظى بفرصة لدعم رحلة الإستكشاف.؟ أعتقد أنه لا مفر من هذه الخطوة يا دان.

دان - وبالفرض حدث معنا كما حدث مع ادوارد وتكفلت بنا إحدى الجهات الألمانية حتى نصل إلى ما توصل إليه..هل سيكون مصيرنا كمصيره.؟ وما أدراك أن زميلك لم يقتل يا ألبرت؟

ألبرت- قتل..!! ولماذا قتل.؟ وإذا قتل لماذا يبحث الألمان عن سره الأخير الذى لم يُفْضِ به إلى أقرب المقربين إليه؟

دان- هذا ما يخبرنا به نور فقط..ربما لتكملة بحثٍ ما لم يخبره به.

ألبرت- ولماذا يحتاج مساعدتنا.؟ فلو كان كذلك لكان من الأفضل له أن يتعاون مع الألمان..ولكنك سمعت أنه عُدِّبَ حتى تأكدوا أنه لا يعلم أى شىء هذا بالإضافة إلى الخطاب المُرسَل إلى من ادوارد والذى تأكدت منه أنه مُحَرَّرَ هذه الرسالة لِيَحْتُنَّا على استكمال بحثه من تلك الكلمة والتي لا يعرفها سوانا.

دان- أصبحت فى حيرة من أمرى لقد كنت نسيت الموضوع بِرُؤْيَتِهِ ولكنى الآن قد أهجر العالم حتى أصل إلى نهاية هذا البحث.

ألبرت - وأنا كذلك..وبالها من خدمة إلهية سوف..

دان (صارخًا)- ألبرت.. لماذا تُصِرُّ فى كل مرة أن تلك المهمة لإلهك فقط.؟ لماذا عندما تخبر الجميع تُبَيِّنُ لهم أن الهدف الرئيسى من الرحلة التبشير.؟ أى تبشيرٍ وأى نشرٍ مسيحيةٍ وأى أصحاب المسيح..تلك الجمل الرنانة التى تفوهت بها صباح اليوم فى مكتب البروفيسور ديفيد ولم تكن

في مجال لسماع أحد عطاتك الدينية..لماذا لم تُكْمِل حديثك وربما أفضت فيه عن قصه امرأة العمود تلك؟. أننا في مهمة علمية ولو أصررت على تحويلها إلى مهمة من أجل نشر مسيحتك فلتجلس حيث أنت فأنا لن أضيع دقيقة من وقتي لسماعي كلماتك التي لا تمل من إخباري بها ليلاً ونهاراً..

وعَقَبَ ذلك بانصرافه من أمام ألبرت الذي كان لا يزال مُنْدَهَشًا من صُراخ دان أمام الجميع في المقهى..

\*\*\*\*

بعد يومين كان دان في طريقه إلى مُقَاطَعَة ويلتشر والتي تبعد قرابة التسعين ميلاً عن لندن كانت رحلة عسيرة إلى حَدِّ ما وبمجرد جلوسه على مقعده في القطار..بدأ يفكر في هذه الزيارة وهل هناك أيّ بادرة أمل أم استحالة موافقة البروفيسورة اليزابيث مرة أخرى على القيام بأى مساعدة؟ ولكن ربما بعد أن يخبرها بعودة ألبرت ورسالة ادوارد سوف تتغير الأمور..وإذا لم تستطع مساعدتهم فربما تساهم بأى نفقات مالية لتلك الرحلة..فهو يعلم أنها تزوجت بعد أن هجرت الجامعة من أحد الأغنياء والذي ما لبث أن مات سريعاً بسبب مرضٍ عُضَالٍ..كان يتابع أخبارها من بعيد إلى أن زارها في المرة الأولى بقصرها في قرية كاسل كومب..لم يشأ أن يصارح عقله بحقيقته أنها قد ترفض مقابلته من الأصل ولذلك راح في سُبَاتٍ عميق بمجرد تحرك القطار.

بعد ساعتين تقريبا وصل دان إلى محطة القطار ومنه توجه إلى أحد العربات لثقلُهُ خارج المُقَاطَعَة حيث يقع قصر اليزابيث في قلعة كاسل كومب الفارهة..وما أن وصلت العربة بالقرب من القصر ترجل دان سيرًا

على الأقدام قرابة العشرون دقيقة حتى وصل أخيرًا إلى باب القصر الخارجى الذى كان مفتوحًا فدخل إلى داخل الحديقة ليصل إلى باب القصر الداخلى..كانت أسوار القصر قد تمت تعليتها بطريقة أدهشته فلماذا تحيط امرأة عجوز قصرها بكل هذه الاسوار وكأنها تخشى من شىء ما..فإذا كانت تلك الأسوار لحمايتها فلماذا تترك الباب الخارجى مفتوحًا؟ وقبل أن يصل إلى باب القصر الداخلى لمح فى الجانب الشرقى غرفة بها نافذة حديدية ومن داخلها كان هناك صراخ لحيوان يتألم..لم يتمالك دان نفسه فذهب سريعًا إلى النافذة لِيُطِلَّ منها ليرى صاحب هذا العواء الذى يشبه النحيب فوجد ظل رجل أو ما يشبه ظل رجل بالداخل يرتدى معطف من اللون الأبيض ملامح وجهه غير ظاهرة له وهو يقترب من كلبٍ ما مُقَيَّدٌ من رقبتة بسلسلة مثبتة إلى الجدار.

اندهش دان من ذلك المنظر والتفَّ حتى يدخل إلى الباب الداخلى ليحاول مساعدة ذلك الكلب المسكين وقبل أن يصل إلى الباب سمع زمجرةً أخرى تأتي من خلفه وقبل أن يلتفت لم يشعر إلا بهراوة خشبية على رأسه أفقدته الوعى تمامًا.

\*\*\*\*

بعد عدة دقائق كان دان يستيقظ بصعوبة وهو يضع يده على موضع الألم ليتحسس مكان إصابته..لم يرى جيدًا فى بداية الأمر كان يجلس على كرسى مُرِنِحٌ وبدأت الغشاوة تنقشع من عينيه رويدًا فأبصر ذلك الكلب الضخم الذى يجلس كقطٍ وديع تحت أرجل فتاة فى مُقْتَبِلِ العمر وما أن بدأ فى التأوه حتى قامت من مقعدها واتجهت إلى دان قائلة فى عطف :

- بروفييسوردان..أأنت بخير؟هل أستدعى لك الإسعاف؟بالله عليك  
فلتتحدث..هذا خطأنا نحن في غاية الأسف.

اندهش دان من الفتاة ولكن ما أن غابت تلك السحابة من أمامه حتى فغر  
فاه قائلاً:

- روزى؟ما الذى تفعله هنا بحق الشيطان؟أى رِياحٍ أَلقت بك إلى  
هنا؟ يبدو انى اهذى..إننى أكاد أموت من الألم.

- لا تخف يا مستردان إن الضربة التى ستقتلك لن تشعر بألمها أبدًا..أنت  
لا تهذى أنا فعلاً أُقِيمُ هنا مع والدتى؟

- والدتك؟أنتِ ابنة البروفيسورة اليزابيث فورد؟كيف وهى قد تزوجت  
فى أعقاب الحرب الكبرى منذ حوالى خمس عشر عامًا وأنتِ لا زلتِ فى  
العشرينات من العمر.

- يا مستردان أنا ابنة أمى من قبل تلك الزيجة الثانية فقد توفى والدى  
بعد مولدى مباشرة وأنت لم تعلم ذلك لأنك لم تسألنى أو تسألها  
وكنت فى إحدى المدارس الداخلية حتى تخرجت من الجامعة بنفس  
ذات القسم التى عَمَلتِ والدتى به.

- ولماذا لم تخبرينى أنكِ ابنتها عندما أقمتى فى اكسفورد لدراستك  
التصوير الإشعاعى يا روزى؟

- لأنى أريد أن أنشئ اسمى يا دان..نعم تخصصت فى الكيمياء الحيوية  
وأعتقد أنى الوحيدة التى درست التصوير الإشعاعى ويومًا ما أنا على  
ثقة أن التاريخ سيُخَلِّد اسم روزاليندا فرانكلين.

- ولكن..ولكن لقد هجرتى الجامعة دون سببٍ يا روزى وهجرتينى أنا  
شخصيًا يا عزيزتى.

- (بتلعثم) دان إن هذا الموضوع قد مرَّ عليه أكثر من ثلاث سنوات لأنى لم أكن مؤهلة لتلك التجربة معك أو مع أى شخصٍ آخر وحاولت إخبارك بذلك لكنك لم تقتنع فكان علىَّ أن أختار طريق البحث العلمى بدلاً من الجلوس فى المنزل أنتظر زوجى وأنا أحمل أطفاله.

- أنتِ عنيدة وستظلين عنيدة دوّمًا يا روزى..والآن هل تخبرينى ما يحدث فى ذلك الكوخ الملعون..؟ومن الشخص الذى يُعَذِّبُ كلبك..؟ولماذا هو بخير الآن..؟والأهم من الذى أعطانى تلك الضربة القاتلة..؟وأين والدتك لأنى أريدها فى شىءٍ خاصٍ جدًّا.

- ما يحدث فى الكوخ هو مجرد أبحاث أجريها أنا ومساعدى على طُرُق مُقاوَمَة الأمراض الأسيوأفريقية ونقوم بعمل أبحاثنا على الحيوانات أكالات اللحوم وليس هذا الكلب الذى نستخدمه فى أبحاثنا..أما من قام بضربك فهو مستر سامبثون مُسَاعِدِى الذى رأيتَه بالداخل وعندما لمح ظلك وأنت تنسحب بهدوء إلى الممر الخلفى والذى يوجد به الباب الجانبي فخرج سريعًا فى أثرك ولكن بامبو كان ينتظرك هو الآخر وفلتحمده الله أن سامبثون هو من وجدك قبل ان ينفرد بك بامبو.. وضربك لانه كان يظنك لِيصًا وبعد أن فقدت الوعى أتيت إليك ونقلناك إلى غرفة الإستقبال تلك.

- لازال الصداع يكاد يَشُقُّ رأسى.

ودخلت فى تلك اللحظة امرأة عجوز ومن خلفها رَجُلٌ يَجُرُّ عربةً صغيرة وُضِعَتْ عليها عدة أكواب من الشاى الإنجليزى وبدأت رائحته تثير عبقًا فى المكان..تنفسه دان بعمق وقام من على كرسيه مادًا يده إلى العجوز قائلاً فى تودد:

- بروفيسوره اليزابيث دائمًا أشعر بسعادة بالغة عندما أكون بجوارك.

اليزابيث- فلتجلس يا دان ولا داعى لهذا الأطرء فأنت لم تقطع كل هذه الأميال لمجرد الجلوس إلى جوارى.

دان- ليس هذا فحسب..فلدىّ أنباء لكِ يا سيدتى..إنها اخبار تتعلق بـ..

اليزابيث- بألبرت ورسالته الغامضة الواردة من ادوارد.

دان بدهشة - وكيف علمتى يا سيدتى؟إن هذا الموضوع فى طيّ الكتمان ومن يعلمه لا يتعدى أصابع اليد الواحدة.

اليزابيث- ألبرت اتصل بى هاتفياً بالامس وأخبرنى على كل شىء.

دان- لماذا لم يخبرنى إذن ليجنبى عناء ذلك المشوار؟إذن فما كان ردك؟

اليزابيث- انظر يا دان..إن ما ستقومون به فى غاية الأهمية والخطورة معاً..إن البحث عن أصول النايندرثال أو جوج تحديداً كما كان ادوارد ينتوى فى أبحاثه هو أمر شاق..نعم سمعت كل ما صادفه من عقبات حتى وصوله بشكلٍ ما إلى هذا المخلوق الغامض وأنه سيكون اكتشاف العمر لكل أفراد البعثة ولكن.

دان- لكن؟

اليزابيث - نعم لكن..أن الأمر محفوف بالمخاطر..وأنا لا أستطيع بالطبع أن أساعدكم فى تكاليف تلك الرحلة بأكملها فربما قضيتم نحبكم أو ربما فشلتم لا أدرى ولكن..ادوارد كان شخص عزيز علىّ لأكثر مما تتخيل..وقد أستطيع مساعدتكم بشكلٍ ما.

دان- كيف يا سيدتى من فضلك؟

روزاليندا- إن أمى يا دان وخدمة منها وتخليدًا لذكر اسم البروفيسور ادوارد قد قررت أن تساهم بجزء من تكاليف الرحلة وهى زيارتكم إلى الفاتيكان.

دان - ماذا؟ أى فاتيكان؟ أتقصدين دولة الفاتيكان؟ وما علاقة ذلك ببحثنا؟ أرجوا ألا يكون ألبرت قد تحدث فى أموره الدينية مرة أخرى..هناك من البلدان ما هو أهم بكثير منها.

اليزابيث- بالعكس يا دان إذا كنت تريد البحث فعلاً عن أصول تلك القبائل عليك بالرجوع إلى الديانات السماوية والغير سماوية لتعرف ماذا قيل تحديدًا عن تلك الجماعات..ونشأتهم وأماكن وجودهم وحتى أى أثر لهم..وألبرت لم يقترح علىّ هذا الإقتراح إطلاقًا بل أنا من أكدت له أن عليه أن يبدأ رحلته من الفاتيكان حيث يستطيع مقابلة كبار الرهبان هناك ليستاق منهم الأصول الدينية لقبائل الجوج..قد تخبرنى أن ألبرت كاهن..لا يا عزيزى هناك فرق بين من درس الكهنوتية فى عمرٍ مُتأخّر ومن هو متأصل دينيًا منذ خمس أو ست عقود على الأقل.. هناك المنشأ يادان..لكى تعلم الحقيقة كاملة لابد أن تبدأ من الأديان..الفاتيكان..ولديكم فى اكسفورد البروفيسور تشارلز ايدى أستاذ علم الأديان قد يستطيع مساعدتكم فى التوراة..أما الدين الإسلامى فأعتقد أن لديكم العالم المسلم.

دان - إن الرحلة ستكون اكبر مما كنت اتوقع.

روزي- لا هناك الأكثر.. عليك أيضًا أن تفهم عقيدة التبت فيما يتعلق بجوج لأن أراضهم بالقرب الشديد منهم..كان الله فى عونك يا دان إنها المهمة عسيرة وليكن الله بعونك ولولا أنى مرتبطة بالعديد من الأبحاث لكننى فى مهمتكم تلك .

دان - أئى مهمة عسيرة يا روزى بل هى الآن مستحيلة إن لدينا الآن تكاليف زيارة لبلدٍ واحد وهناك بهذا الشكل عشر بلدان على الأقل يتوجب علينا زيارتها.

وفى أثناء الحديث دخلت أحد الخادماٲ لتقرب من اذن روزاليندا هامسة فى أذنها بكلمات حاول عبئًا دان أن يسمعها ولكن دون جدوى ولاحظت أنه يسترق السمع فتعمدت أن تهمس بصوتٍ مسموع :

- أخبريه أن الوضع على مايرام وأن مستردان بخير وسأحضر إليه خلال خمس دقائق..

دان - أهناك أمر ما يا روزى.؟

روزاليندا - لا أبداً لكن مساعدى انتابه القلق عليك بعد أن كاد يصرعك..والآن علىّ أن اعتذرلك فأنا فى طريقى للمعمل وأتمنى أن أراك مرة أخرى.

دان - انتظرى فلتأخذينى معك..أنا فى غاية الشكر يا سيدة اليزابيث على كرمك وأتمنى أن تُكَلِّلِ خطواتنا بالنجاح..لكنى لا أدرى كيف؟

اليزابيث- فليكن الرب معك ولا تيأس فربما تحسنت الأمور سريعًا.

وتهضت فقام دان من مكانه ليمد إليها يده بالتحية ويخرج مع روزاليندا وهى تقوده إلى الباب الخارجى دون أن تتكلم فألقى عليها التحية وقبل أن يخرج تناول كفها فى يده قائلاً:

- روزى هناك سؤال يُلجُّ علىّ..أوجود أىّ أمل فى أىّ وقت أن تفكرى فىّ كحبيب وليس صديق مُقَرَّب..أم أن عائق السن بيننا يحول دون ذلك؟

- سن.؟ أى عائق سن يا دان.؟ إن الحب إذا طرق بابى فلن يكون هناك  
أى عوائق بهذا الشكل..الحب إذا جاء فليس له أى مقدمات..الحب  
مثل الفيروس لا تشعر به إلا عندما يصيبك..وإذا أصابنى ستكون أول  
من يعلم.

- فيروس..!! بل أتمنى أن تنتقل إليك هذه الحُمى التى تدور بمشاعرى.  
- ابتسمت روزاليندا وهى تسحب يدها من وسط يديه لتودعه وتتركه  
يخرج من الباب الخارجى.

وبجوار أحد الأشجار فوجئت بالرجل الموجود فى المعمل يخرج فجأة وعلى  
وجهه علامات الذعر فاقتربت روزاليندا منه قائلة:

- أخبرتك ألا تقلق الأمور كلها على ما يرام..وليس هناك أى داعى  
لذعرك..هو لم يشك بشئ أبداً..والآن علينا أن نُكْمِلَ ما كنا نقوم به.

وقف دان خارج القصر بعد أن أغلقتة من الداخل..كان لديه رغبة فى  
العودة مرة أخرى ليس لروزاليندا ولكن لذلك المخبول فى المعمل..كان  
يشعر بضيق لسببٍ ما ولكنه لا يدرى كُنْهَهُ..كان يشعر أن فى الأمر شيئاً  
ما..شيئاً ما أثار ضيقه..وقف قليلاً ليتذكر ولكنه انصرف عندما  
فشل..وطوال الطريق إلى لندن لم يحاول أن يُخْرِجَ روزى من ذاكرته..تلك  
الفتاة المتقدمة صاحبة الخمس وعشرون عاما التى وقع فى حبها منذ أول  
يوم رآها فيه بأحد المحاضرات بالجامعة..اقترب منها واقتربت منه بحكم  
عمله فى أحد الأقسام..تحول حبه لها لنوع من التلذذ بتعذيب النفس..فهو  
يدرك أنه أكبر منها بعشرون عاماً على الأكثر وعلى الرغم من ذلك هو لم  
يستطع إبعادها عن مخيلته..حاول مِرَارًا أن يُصَارِحَهَا بحبه والذى كانت  
تشعر به..ولكنها كانت تبتعد عنه فى أدبٍ جَمٍّ..وفجأة اختفت تمامًا كما

جاءت.. وحتى بعد أن سألت عنها لم يصل إلى إجاباتٍ شافية فكل ما علمه أنها من إحدى المقاطعات بجوار لندن.. وابتعدت عن الجامعة بمجرد انتهاء تلك الدبلومة التي كانت تسعى للحصول عليها.. كان قلبه لا يزال ينبض بحبها ولكن ليس كل ما يشتهي المرء يدركه.. وليس أمامه سوى الصبر والإنتظار حتى يأتيها هذا الفيروس.. تذكر ألبرت وتذكر أنه لولا أنه لم يخبره باتصاله باليزابيث لكان لم يذهب اليوم ولم يجد روزي.. ربما تلك أول خدمة يقوم بها ألبرت دون قصد له.. ولكنه سرعان ما تذكر رحلة الفاتيكان الدينية فلعن ألبرت في سره عشرات المرات طوال الطريق حتى لندن.

\*\*\*

وقف البروفيسور تشارلز ايدى وسط قاعة المحاضرات في جامعة اكسفورد ليقوم بشرح محاضرتة الثانية في أصول القبائل في الديانات الشرقية ولاهيميتها كان مستر ألبرت ودان ونور في مقدمة الصفوف الأولى للإستماع إلى وجهه النظر الدينية.. لم يحضر دان على مضض كما كان ألبرت متوقعًا بل على العكس كان مواظبًا على موعد المحاضرة وكان يسجل بعض الملاحظات الهامة التي يسردها البروفيسور.. لأنه في ذلك اليوم كان يشرح أصول قبائل الجوج في الديانة اليهودية مما قد يثير شغفهم ويفسر بعض النقاط الغامضة لأصول بحثهم..

واستكمل الشرح بصوته الجهورى في القاعة:

وسأعرض لكم الموضوع من وجهه نظر التوراة بروايتين أحدهما من الناحية المادية فيما يعرف بنظرية يهود الخزر.. والأخرى من الناحية الدينية البحتة.. فاسم جوج ورد في سفر حزقيال على أنه اسمٌ ملك يحكم على أرض تدعى مأجوج أو على شعب يدعى بهذا الاسم.. وهذا الملك سوف

يقوم بغزو أرض إسرائيل قبل اليوم الأخير..ولكنه حسب النبوءات التوراتية سوف يُقتل هو وشعبه في مذبحه هائلة لما قيل في سفر حزقيال حيث جاء فيه :

وكان كلام الرب إلى قائلًا: يا ابن آدم اجعل وجهك على جوج أرض مأجوج رئيس روش وماشك وتوبال..وتنبأ عليه وقل ( هكذا قال السيد الرب) في ذلك اليوم عند سُكنى شعبي إسرائيل آمنين..تأتى من موضعك من أقاصى الشمال أنت وشعوب كثيرة معك..كلهم راكبون خيلاً..جماعة عظيمة وجيش كثير..وتصعد على شعبي إسرائيل كسحابة تغطى الأرض..وأتى بك على أرضى لكى تعرفنى الأمم حين أتقدس فيك أمام أعينهم يأجوج..ويكون فى ذلك اليوم..يوم مجيء جوج على أرض إسرائيل..يقول السيد الرب..أن غضبى يصعد فى أنفى..وفى غيرتى نار سخطى تكلمتُ أنه فى ذلك اليوم يكون رعرش عظيم فى أرض إسرائيل..فترعرش أمامى سمك البحر وطيور السماء ووحوش الحقل والدواب التى تدب على الأرض..وكل الناس الذين على وجه الأرض..وأستدعى السيف عليه فى كل جبالى..فيكون سيف كل واحد على أخيه..وأعاقبه بالبواء والدم.

وأمطر عليه وعلى جيشه وعلى كل الشعوب الذين معه مطرًا جارفًا وحجارة برد عظيمة ونارًا وكبريتًا..فأتعظم وأتقدس وأُعرف فى عيون أمم كثيرة فيعرفون أنى أنا الرب"(حزقيال 38: 1-23).

وقد تم ذكرهم فى آخر أسفار العهد الجديد بأنهم قوم مفسدين يظهرن فى آخر الزمن..فيصطدمون بجيش المؤمنين ولكن الله يقضى عليهم فقد جاء فى سفر (الرؤيا 7: 20-10):

" ثم متى تمت الألف سنة يُحَلُّ الشيطان من سجنه ويخرج لِيُضِلَّ الأمم الذين في أربع زوايا الأرض جوج ومأجوج ليجمعهم للحرب..الذين عددهم مثل رمل البحر. فصعدوا على عرض الأرض وأحاطوا بمعسكر القديسين وبالمدينة المحبوبة (أورشليم)..فنزلت نار من عند الله من السماء وأكلتهم..وابليس الذى كان يُضلهم طُرح في بحيرة النار والكبريت "

بمعنى أنهم على وشك الخروج وهذه هى الروايه التوراتيه أما الروايه الماديه والتي توارثها الاجداد فلقد خلصنا فى المحاضرة السابقه ومن الأدلة التي استعرضناها سابقًا يمكننا الإستنتاج أن الملك كورش هو نفسه ذو القرنين..فهو ذو علاقة وطيدة باليهود..ولعب دورًا هامًا فى رجوع اليهود لأورشليم بعد أسر بابل ولكن ما علاقته بقصة غروب الشمس وما ورد فى بعض النصوص الدينية للقرآن مثلًا؟ من المعروف تاريخيًا أن سيطرة دولة فارس خلال حكم الملك كورش على إمبراطوريتها كانت تبدأ من حدود ليبيا غربًا إلى حدود الهند شرقًا..كل هذه المنطقة بما فيها بلاد الشام ومصر وبابل وإيران وبلاد القوقاز والهند كانت خاضعة لملك كورش..لأنه قضى حياته كلها يفتح البلاد شرقًا وغربًا..وفى عام 550 قبل الميلاد..قام الملك كورش بفتح بلاد القوقاز بأكملها..وكان له جيشًا متواجد عند بحر أزوف والذى يقع فى شرق بلاد القوقاز.

ولكن من هم هؤلاء القوم الذين لم يجعل لهم الله ستيرًا من الشمس..هم قوم يأجوج ومأجوج..نرجع هنا للتعرف على سكان تلك المنطقة فى عام 550 قبل الميلاد..حيث يؤكد تاريخ المنطقة أنه فى بداية القرن السابع قبل الميلاد..قدم لمنطقة القوقاز قبائل همجية من شمال الكرة الأرضية تحديدًا من فنلندا ويتكلمون اللغة الفنلندية القديمة والتي صارت هى لغة شعب المجر وجورجيا فيما بعد..وعليه فهناك آيه فى القرآن تنص على أن الله لم

يجعل لهم من الشمس سترًا.. فما هذا الشيء الذى يمكن أن يستر الشمس.. لا شئ يمكن أن يستر الشمس غير حلول الليل.. وجميع سكان الأرض يتم سترهم من الشمس بحلول الليل.. باستثناء سكان فنلندا الذين يعيشون في شمال الكرة الأرضية.

حيث يستمر النهار هناك قرابة 6 أشهر في العام.. أى أنهم يقضون نصف عمرهم بلا ساتر من الشمس بتاتًا.. وتعرف هذه القبائل تاريخيًا بالمجيس وتعرف أيضًا من خلال ثقافة دول شرق أوروبا أنها قبائل الجوج.. ولقد تقابل ذو القرنين بهم عند وصوله لشرق بلاد القوقاز. وجال بخاطره شيئًا ما تجاه هذه القبائل.

أعود وأكرر أن قبائل هذه البلاد كانوا من أبسط ما يكون وليس لديهم أى دراية حياتية وذلك لاختلافهم لغويًا بأبجديتهم عن العالم الخارجى وكانوا يخشون هجوم قبائل المجيس عليهم.. وطلبوا من ذو القرنين أن يبني سد من الحديد والنحاس لمنع فساد قبائل جوج أى قبائل المجيس.. من هم هؤلاء القوم؟ الذين يستخدمون لغة ذات أبجدية غير مفهومة.. إنهم قبائل شعب الخزر.. والذين كانوا يسيطرون على التجارة القادمة من الهند والصين للدولة البيزنطية والفارسية فكانوا يسيطرون على ما يسمى تاريخيًا بطريق الحرير.. وذلك لتحكمهم بالعديد من الممرات البرية التى كانت تسير فيها التجارة من الشرق للغرب التى تقع في قلب بلاد القوقاز.. وتتكون هذه القبائل تاريخيًا من عنصر صيني.. ومن المعلوم أن لغة أهل الصين ليس لها أبجدية مثل اللغة اللاتينية أو الإنجليزية.. فصوتيات اللغة الصينية لا علاقة لها بتاتًا بصوتيات أى لغة أخرى وكانت تلك اللغة هى لغة أهل قبائل الخزر في وقت وصول ذى القرنين.. وتاريخ إيران إذا اطلعتم عليه يؤكد وجود علاقة تجارية بين

شعوب الخزر ودولة فارس القديمة.. وأن شعوب الخزر كانت تتحكم في تجارة فارس لفترة من الوقت..ولهذا فلقد عرض قبائل الخزر على كورش ملك فارس أن يدفعوا ثمن تكاليف بناء السد كجزية أو ضريبة..والمعنى التجارى التاريخى لهذا الخراج..أنهم عرضوا تخفيض قيمة الرسوم الجمركية التى كانت تفرض على التجارة من وإلى فارس..بحيث يعادل هذا التخفيض الجمركى قيمة أتعاب بناء السد..ولذلك يا أبناءى من ذلك نستنتج وجود علاقة كراهية وعداء بين قبائل الخزر الوثنية وقبائل المجيرس الهمجية فتم بناء سد ليفصل بينهم..وأن السد سينهار مع اقتراب موعد النهاية وذلك طبقاً لكل الموثيق الدينية للتوراة والإنجيل والقرآن..وبعد فترة من بناء السد فتاريخياً يؤكد تاريخ المنطقة أن السلام قد حل تماماً بين سكان مملكة الخزر وجيرانهم من قبائل جوج لأكثر من ألف عام..حتى أن بعض المؤرخون يرون أن قبائل الجوج صارت جزءاً لا يتجزأ من مملكة الخزر.

وهنا انبرى أحد الطلاب ليستاذن البروفيسور فى الإستفسار على أحد النقاط ووقف قائلاً:

- ولكن يا سيدى قرأت فى بعض التعاليم الدينية أن تلك الصورة لن تظل وردية وأن بنو إسرائيل سيكونون متحدين فى صفة الفساد فى الأرض لأن عند اقتراب وعد الأخرى سيعود بنو إسرائيل إلى أورشليم مع ابتداء انهيار سد كورش الذى تخبرنا عنه..وقتها سيعلمون فى الأرض ولكنه سيكون مصحوباً بالفساد..وقتها ستخرج قبائل الجوج للإتحاد مع اليهود للإفساد فى الأرض..؟أليست هذه النبؤات وردت أيضاً فى التعاليم المقدسة..؟سؤالى هنا ما علاقة قبائل الجوج أصحاب الأصول الفنلندية ذات العيون الزرقاء والشعر الأصفر الذهبى مع اليهود؟

- كلامك صحيح يا بني ولكنك لم تُعْطِ لى الفرصة لأُكْمِلَ بقية الشرح ولإيضاحها علينا الرجوع إلى عهد الحاكم العربى مروان بن الحكم والذى أرسل جيوش الخليفة الأموى لفتح مملكة الخزر.. وتم هزيمة جيوش الخليفة الإسلامى عدة مرات أمام حصانة وقوة شعوب الخزر فكأن لديهم قوى غير طبيعية تمنع سقوط تلك المملكة بيد المسلمين.. ودام الصراع بين دولة الخليفة المسلم ومملكة الخزر لأكثر من خمسين عامًا ولم تسقط المملكة.. بينما على الجانب الآخر الغربى كانت تنهال مطارق الدولة الرومانية بواسطة قيصر روما هرقل المسيحى المتعصب والذى لا يعرف كيف ينام قبل أن يحول مملكة الخزر للديانة المسيحية.. بحيث يعطهم الإنجيل باليد اليمين ويسيطر على طريق الحرير باليد اليسرى.. ويجعل منهم منطقة أمان تفصله عن دولة الخلافة الإسلامية.. والتي كانت أحلامها فى ذلك الوقت تريد أن تصل يداها إلى الدولة الرومانية ذاتها فماذا يفعل ملك الخزر؟ هل يسلم ويصير تابعًا للخلافة الإسلامية وتضيق مكانته وسيطرة بلاده التجارية.. هل يعتنق المسيحية ويصير تابعًا لهرقل؟ كانت المملكة بين اختيارين من أصعب ما يكون ولذلك خطرت له فكرة شيطانية اذ لم يكن هناك بديلاً له غير اعتناق اليهودية.. فالديانة اليهودية هى ديانة محترمة وسموية.. وتحترمها الديانة الإسلامية والمسيحية.. وبهذا ينقذ نفسه ومملكته من السيطرة الإسلامية والمسيحية فى أن واحد.. ويحافظ على استقلاله التجارى.. فالديانة اليهودية والتي يتعاضم فيها العنصر المادى.. يتماشى تمامًا مع الفكر التجارى لملك الخزر وشعوب المملكة وبهذا دخلت قبائل الخزر جميعًا لليهودية.. واعتناق مملكة الخزر الديانة اليهودية كان هو بداية العد التنازلى ليوم القيامة.. وانتهيار سد ذى القرنين واختلاط قبائل الخزر

بقبائل الجوج..كان أيضًا أحد دلائل اقتراب وعد الأخرة..ومشاركة يهود الخزر قبيلة الجوج الفساد في الأرض أحد دلائل اقتراب الأخرة ..وضح الآن.؟

بعد ذلك نظر البروفيسور تشارلز ايدى إلى ساعته ولملم أوراقه قائلاً :

- نكتفى بهذا القديرا أبنائى لمحاضرة اليوم وموعدنا فى الأسبوع القادم لمناقشة أصول بعض القبائل البربرية فى شمال أفريقيا.  
وخرج من القاعة ويتبعه طلابه بينما مكث نور وألبرت ينظران إلى دان الذى كان يقرأ الملحوظات التى كان يسجلها طوال المحاضرة.

\*\*\*

بعد ساعة كان الرجال الثلاثة يتناولون الغداء فى أحد المطاعم الرخيصة القريبة من الجامعة وكان دان لا يزال فى شروده بينما انبرى ألبرت ونور فى أحاديثهم الجانبية لترتيب رحلتهم إلى الفاتيكان بعد أن وصل شيك من اليزابيث إلى الحساب البنكى لدان فى المصرف لتكفلها بالرحلة..وفى الغد سوف يعود ألبرت إلى مقر الكاتدرائية للحصول على بعض الأوراق المزيفه التى تثبت عملهم كقساوسة فى الكاتدرائية وذلك حتى يمكن لهم تسهيل الأمر للدخول إلى إيطاليا ومنها إلى روما فالفاتيكان التى أصبحت أصغر دولة فى العالم بعد أن حصلت على استقلالها أخيراً منذ أربع سنوات..

كانت المشكلة التى تواجههم هى كيفية دخولهم وهم يحملون الجنسية البريطانية إلى دولة من ألد أعداء المملكة المتحدة وهى إيطاليا بقيادة الفاشى موسوليني.؟ ولذلك كان عليهم حل تلك المشكلة والتى انبرى ألبرت بحلها عن طريق أحد الكرادلة الأصدقاء المبعوثين من قبَل الفاتيكان لفترة

من الوقت قضاها بكاتدرائية كانتربرى..ولم يُضع ألبرت الوقت فقام بالإتصال بالكاردينال وأخبره عن حاجته لدخول إيطاليا ثم الفاتيكان في أقرب فرصة هو واثنين مساعدين له علماء في أصول الإنسان..وبعد أن أبلغه بموافقته بالأمس كان عليه أن يجهز أوراق دخولهم إيطاليا كقساوسه من كنيسة كانتربرى..حيث لم يخبره بالطبع أن أحدهم مسلم..والآخر ملحد.

أخرجه دان من تأملاته قائلاً:

- بالمناسبة يا ألبرت..أنت رجل دين فلماذا كان إصرارك الغريب على سفرنا للفاتيكان؟ أوليس لديك من المعلومات الدينية لشرح تلك المُعْضَلَه بدلاً من إضاعه الأموال و صرفها في مكانٍ آخر؟

ألبرت - لا يا دان أنا رجل دين منذ فترة قليلة وليست لدى خبرة كافية لفهم الموضوع من جذوره..بإلاضافة أنى منذ البداية لم يكن ذلك اقتراحى بل اليزابيث..وأما سبب رحلتنا للفاتيكان فلا تنس أن أهميتها من كونها مركز القيادة الروحية للكنيسة الكاثوليكية في العالم والتي يربو عدد أتباعها على أكثر من مليار ونصف نسمة..وكذلك من كونها تحفظ في متاحفها وأرشيفها مجموعة من أرقى المنتوجات الفنية للجنس البشرى على مر العصور..ولقد أرسلت بالأمس عدة برقيات إلى صديقى الكاردينال لاستقبالنا بعد أن يتم استخراج أوراق تثبت عملنا كقساوسة..الأمر ليست نزهة وسوف ترى بعينيك أن تلك الرحلة ستفيدنا جداً..وسوف نساقر بعد عدة أيام بمجرد أن نكمل أوراقنا..

نور- ولكن الأمر صعب يا ألبرت وكأننا سوف ندخل عرين الأسد.

البرت - ليس الأمر بهذه الصعوبة إننا سندخل على هيئة رجال دين وأعتقد أنه سيكون لديهم القليل من الإيمان والذي يكفى حتى لاحترامنا والوصول إلى الفاتيكان.

\* \* \*

## الفصل الرابع

(إن الطريق إلى الهاوية يكون في أغلب الأحيان مفروشاً بالنوايا  
الحسنة)

obeikan.com

## مدرج الكولوسيوم- روما بعد عدة أيام

- "ما دام الكولوسيوم قائماً ستبقى روما قائمة وحين تسقط روما سيسقط العالم بأسره" هكذا تقول الأسطورة الرومانية القديمة عن هيبية وعظمة مدرج الكولوسيوم..هذا المسرح الضخم يعتبر من العلامات الشاهدة على الإمبراطورية الرومانية.

هكذا قال نور وهو يهمس لنفسه عندما وقف مشدوهاً أمام مدرج الكولوسيوم قائلاً لدان وهما يسيران سوياً لِلْحَاقِ بِالْبَرْتِ وصديقه الكاردينال الجالسان في أحد الأركان بداخل المدرج:

- هذه أول زيارة لى يا دان لروما ولم اكن أعلم أنها بهذا الجمال الرائع..
- إن روما أحد أهم عواصم أوروبا يا نور وأجملها لكنى أخشى من الحكم الفاشى الذى يقوده موسيليني..قلبي يحدثنى أننا سندخل على أحداثٍ جِسامٍ فى القريب العاجل..وخاصة بوجود هذا المجنون القادم فى ألمانيا وأدعو الله أن يسقطه مرة أخرى فى الإنتخابات القادمة..
- إنك بعيد عن السياسة الألمانية الآن يادان..أن الخوف قادم لا محالة..وربما أقرب مما تتصور سترى أن هتلر قد جلس على عرش ألمانيا..سأشرح لك الأمر تفصيلاً فى القريب العاجل..فاختلاطى بالألمان أثناء عملى ومكوثى فى المعتقلات النازية فتره قد أتاح لى فهم العقلية

الألمانية..والآن دعنا نسرع الخطى حتى نلحق ذاك الدرس الدينى والذي أعلم أنه لن يسرك بالمرّة.

- حسنًا..حسنًا لنته منه ثم سأخذكم معى فى جولة لأريكّم أجمل معالم سوف ترونها فى حياتكم..أتعلم أنا لا أطيق نفسى بهذا الزى الساخر والذي أجبرنا ألبرت على ارتدائه قبل دخولنا مطار هيثرو إلى الآن..وأنت أيضًا لوقومك المسلمون رأوك فى هذه الحالة سوف تكون رأسك على اولوياتهم .

- لا تنس أن زى القساوسة هذا جعل الكثير يحترمونا فى أغلب الأماكن..انى لا زلت أتذكر تهافت أمن المطار على تقبيل يدى كلما هممت بالتحرك فى أيّ مكان..والآن يا دان ليس هذا ما يشغلنا علينا فقط أن نُنه هذه المحاضرة..هيا بنا.

\*\*\*\*

توقف الكاردينال ماركو مارديلى عن الكلام عندما توقف الرجلان بجواره ولكن ألبرت سارع بتقديمهما له:

- الأب تومى جونسون والأب دان مساعديّ الذين أخبرتك عنهما يا نيافة الكاردينال.

جلس الرجلان بجوار ألبرت فى سكون عندما استمر الكاردينال فى التحدث كمن لا يرى من القادم.

الكاردينال -إن ما تقوم به يا ألبرت شىء سوف يذكره لك التاريخ كأول باحث فى هذا الإتجاه ولكن الأمر يكتنفه الكثير من الصعاب..وتحملك مشاق الوصول إلى الفاتيكان لمقابلة كبار رجال الدين واستلهام خطواتهم المباركة ليبارك لك الرب رحلتك المقدسة فى سبيل سعيك حول إيجاد تلك

القبائل..كن على علم أنك ستنحت في الصخر للوصول إلى طرفٍ يقودك إلى أئٍ منهم..وقد يقودك هذا الطرف إلى سراب..فهناك العديد من النظريات والتي لم يثبتها العلم بعد حول قبائل الجوج والنايندرتال..

- لعلك تقصد الأرض المجوفة؟

قاطعہ نور قائلًا- أنا أعرف الكثير عن تلك النظرية الألمانية يا سيدى ..

قاطعہ الكاردينال بدوره قائلًا:

- ليست تلك النظرية فحسب أمامك نظرية الشامبالا وهذه النظرية لا بد أن تسمعها بنفسك من أهل التبت الصينية ولابد من إدراكك لها في رحلتك المقدسة يا ألبرت..أما النظرية الأخرى فهى لدى المسلمون..لا أنكر أن القرآن قد ذكر أهل جوج تفصيلاً في العديد من آياته ولذلك أنصحكم بسؤال عالم قرآنى في أقرب فرصة..أما بخصوص رحلتك هنا فقد عثرت لك على الرجل المطلوب وهو الأب بوتشلينى..وستزوره غدًا داخل أسوار الفاتيكان وقد حصلت لك على موعد منه لأنه لا يخرج إلا نادرًا من الكاتدرائية..لأن سنه لا يسمح له بذلك..

- وما أهميه الأب بوتشلينى يا نيافة الكاردينال؟

- قام منذ خمسون عامًا على الأقل بزيارة كل أماكن أصول أماكن القبائل القديمة..كما أن لديه معرفة هائلة بكل تعاليم الكتاب المقدس والتوراة ويستطيع أن يدلِكَ على الخطوط المباشرة .

- اذن فَلِلْمُضِيِّ قُدْمًا في هذا البحث علىّ زيارة الأب بوتشلينى في الكاتدرائية ثم العثور على عالم إسلامى ثم الرحيل إلى التبت الصينية

لمعرفة أصول نظرية الشامبالا..ودراسه موضوع الأرض المجوفه ثم تحديد نقاط الرحلة..يالها من مهمة شاقة .

- بخصوص العالم الإسلامى فأن الاب بوتشلىنى يستطيع أن يرشدك على أحد العلماء المسلمين فلا تَعُولُ أَى هَمِّ لِهذِه النقطه..لقد أخبرتك يا ألبرت أن الرحلة ستكون أشقى مما تتخيل ولكن انظر إلى أهميتها العلميه كما اخبرتنى.

- وهناك مشكلة أخرى يا أبْتِ أن الأمور الماديه فى غاية الصعوبه..وقد لا نستطيع أن نكمل الرحلة.

- أعلم ذلك وللأسف لا أستطيع توفير أى نفقات لك فإننا بالكاد حصلنا على استقلالنا أخيراً بعد اتفاقية لاتزان ولا زالت الأمور مضطربة داخل الفاتيكان سواء من ناحية الكرسي الرسولى ومجمع الكرادلة أو من داخل تشكيل حكومتنا ولازال اختيار رئيس الوزراء من داخل مجمع الكرادلة يشوبه الغموض وكل مواردنا لا زالت فى البدايه.

- لا لالم أقصد ذلك يا أبتي ولكنى أخبرك فقط.  
- إذن فموعدنا غدًا فى ساحة القديس بطرس فى تمام الحادية عشر ستجدونى فى الساحة الخارجيه لأصحبكم إلى الداخل..بالمناسبه أين تقيمون.؟

- فى فندق هلفتيا بريستول وسوف نقوم بزيارة معالم روما اليوم وغدًا سنكون فى الكاتدرائيه ونتمنى أن يُسَمَحَ لنا بدخول الأرشيف.

- سأحاول استخراج ثلاث تصاريح لكم ..إلى الملتقى غدًا.  
وقام الأب ماركو مارديلى من جلسته واتجه نحو باب الخروج بينما تبعته نظرات الثلاث رجال حتى توارى خارج مبنى الكولوسيوم.

بعد عدة دقائق كان الرجال الثلاثة يتجولون في العاصمة الإيطالية حيث تطوع دان ليصبح لهم مرشدًا سياحيًا..فقد سبق وأقام عدة أشهر في روما وبينما كان يسرع الخطو نحو شارع كونتدوتي قائلاً وهو يشير إليه:

- هذا الشارع من أهم الشوارع للتسوق وتجد أشهر المحلات ودور الأزياء العالمية..أمثال دار جوتشى وبولجارى وبرادا وهيرميس ولا تتوقع أن تحصل على تخفيضات من تلك المحلات..وبالقرب من الميدان سوف نذهب إلى نافورة فونتانا دى تريفى ولا تنسوا عند زيارتكم للنافورة أن تلقوا قطعة نقود معدنية..للتحقق المقولة الشهيرة وتعودوا مرة أخرى لزيارة روما.

ألبرت- دان بالله عليك لقد تعبت من السير..أنت تسير بنا منذ قرابة الساعة وأنا عجوز..فلتضعنى على أحد المقاهى وتذهب في طريقكم.

نور- وأنا أيضًا يا مستردان فلا بأس من راحتنا قليلًا لنكمل فيما بعد.

دان - حسنًا سوف نذهب للشارع المجاور لنحتسى القهوة الفاخرةالتي..... و في هذه الأثناء ارتطم رجل مسرع بنور مما أفقده توازنه ووقع على الأرض..وسارع إليه الرجل يعتذر إليه ولكن نور دفعه بشدة وكادت أن تحدث مشادة لولا أن تدخل دان واعتذر للرجل عن سوء تصرف نور..

دان- ما بك يا نور؟ أرى أنك تفقد أعصابك يومًا بعد يوم.

نور- لا أدرى ولكن هناك شيئًا ما يثير ضيقى..لا أدرى ما هو ولكن أشعر أن هناك فى الخفاء شىء يثير ريبتى.

ألبرت - نور.. لابد من احترامك للزى الذى ترتديه..هل سمعت من قبل عن رجل دين مسيحي يتشاجر مع أحدهم فى الطرقات.؟والآن دعنا من هذا

الآن..كنت تخبرنا بعلمك بنظرية الأرض المجوفة وأعلم أن الألمان فقط هم من يؤمنون بهذه الفكرة فما أخر ما وصلوا إليه يا نور.؟

جلس الرجال الثلاثة على أحد المقاهى الشهيرة فى شارع بياتزا نافونا ذلك المكان الذى يضح بالحياة طوال الوقت وبعد أن طلب كل منهم القهوة الفاخرة المميزة بدأ نور فى الشرح عن تلك النظرية :

ليس الألمان فقط يا بروفيسور ألبرت فهم أخذوا تلك النظرية من أمريكا والتي أخذتها بدورها من مفهوم ظهر فى العصور القديمة فى الأساطير والفولكلور الخاص بكل حضارة حيث آمنت الأزتك وهنود الهوبى الذين يعيشون فى أمريكا الشمالية بها.. ونجد من خلال كُتبهم الدينية ومورثاتهم الشعبية أن الأرض مجوفة ومفرغة من الداخل وأن بجوف الأرض وبداخلها مُدن وحضارات وأمم وشعوب ومخلوقات.. وكل شعوب حضارات العالم القديم مثل المصريين والبابليون والآشوريين واليونانيين والإغريق والصين القديمة آمنت بوجود ذلك العالم السفلى الخفى والمستقل بذاته.. فنجد عند الإغريق مثلاً أساطير تتحدث عن كهوف توجد تحت سطح الأرض وهى كانت بمثابة المداخل المؤدية إلى الجحيم.. وحتى فى المسيحية واليهودية تُذكر فكرة وجود العوالم الجوفية كما هو الاعتقاد فى البوذية التبتية الذين يؤمنون بوجود هذا العالم الخفى تحت الأرض مثل أقوام يأجوج ومأجوج وهى التى أشار إليها الأب ماركو فى ذكره لنظرية الشامبالا..وفى مصر الفرعونية القديمة وروما واليونان أيضًا هناك تماثيل ونقوشات عديدة لمخلوقات برؤوس كلاب وبأجساد بشرية والذين يطلق عليهم اسم أنوبيس..وأن الفراعنة وبعض الحضارات القديمة استطاعوا أن يتواصلوا معهم..وقد تحالفوا مع هذه الأمم ضد حضارات أخرى وللتعاون فى البناء الحضارى والتقدم العلمى فى ذلك الوقت..وكانت

تلك المخلوقات التي تظهر بوضوح في النقوشات الفرعونية القديمة من عالم جوف الأرض الداخلى..خلاصه الحديث أن هناك من الدلائل الكثير والكثير مما يثبت بوجود تلك النظريات..وأميركا لازالت تبحث في أصولها بل وبدأت فعلاً في اكتشاف هذا العالم..

ألبرت- وماذا فعلت أميركا لذلك ؟

نور- أخذت أميركا تلك الأفكار وترجمتها إلى ارض الواقع وأحاطت كل تلك الأبحاث بمزيد من السرية ويقود هذه الأبحاث أحد أهم الطيارين الأمريكيين خبرة ..

دان- وما علاقة الطيار الأميركي هو الآخر؟ وكيف توصلت أنت لكل هذه الأنباء؟

نور- لا تنس أنى كنت بداخل أحد أهم الأفرع للأبحاث الألمانية وكنت دائماً أسمع من مساعدين ادوارد والعاملين بالقلعة تلك الأخبار ومنهم علمت أن الطيار هو ريتشارد إيفلين أحد أهم الطيارين في الحرب الفائزة وأصبح في وقتٍ لاحق مدرب طيران للبحرية الأمريكية..فنجاحه كطيار بحرى وطيار عبر الأطلسى اهله لتلك الرحله ..فغرست الثقة فيه الحكومة الأمريكية وقامت بتمويل رحلاته الإستكشافية إلى القطب الجنوبي..وقام بيرد بعمل حملته في بداية عام 28 واستمرت حتى 30 وإلى هنا انقطعت الأخبار الأمريكية ولكن يبدو أن هناك الكثير من الأسرار التي لم تُكْتَسَفَ ولذلك قامت الجهات الألمانية بتتبع تلك النظرية واهتم بها جداً الحزب النازى بزعامه هتلر والذي أعلن في كثيرٍ من تصريحاته أنه سوف يقوم بتخصيص أموال طائلة في حاله فوزه في الإنتخابات لكافة الأبحاث العلمية التي سوف تخدم

الجنس الأرى..ومن وقتها ألف العديد من العلماء الألمان كتبًا تحتوى على تفسير تلك النظريات لكن كل ما يقوموا به هو فى طى الكتمان إلى الآن..

دان- وكأنا عشنا طوال هذه المدة لا ندرى أى شيئًا عن الأرض التى نعيش عليها..قبائل منقرضة و أراضٍ مُجَوَّفَة والكثير من الأسرار التى لم ولن نُكْتَشَف حتى الآن.

ألبرت - والآن علينا أن نتوجه إلى الفندق لننال قسطًا من الراحة لأن لدينا موعدًا غدًا صباحًا.

و بالفعل قام الثلاث رجال فى طريقهم إلى الفندق وكل منهم مشغول بمتابعة الشوارع والسائحين فى كافة الأنحاء .

\*\*\*\*

فى صباح اليوم التالى استقل الجميع القطار من روما إلى محطة قطار الفاتيكان التى تم بنائها العام الماضى..وما أن توقف القطار بعد رحلته القصيرة نزلوا منه ليروا أجمل المشاهد التى وقعت عليها عيونهم..كانت المحطة تقع خلف كاتدرائية القديس بطرس بالقرب من الحدائق البابوية..والتى أعيد تصميمها مجددًا فى عهد البابا يوليوس الثانى بداية القرن السادس عشر..وزرعت أشجار الصنوبر وأشجار الأرز القادمة من لبنان ونصب فيها عدد من الأعمال الفنية التى جعلت من طابع عصر النهضة طاغيًا فيها..توغل الثلاثة أكثر فأكثر داخل الحدائق لتقع أعينهم على أجمل أنواع الأزهار التى لا يوجد أىّ مثل لها فى أنحاء الأرض..حتى رائحتها كانت تثير بهجة فى النفس..اما دان فكان فى أشد حالات الهدوء النفسى.. اما ألبرت فكان يقف مشدوّهًا أمام مزار السيدة العذراء الحارسة

والذى بناه البابا بندكت الخامس عشر خلال الحرب الماضية محاكيًا بذلك المزار الشهير بهذا الاسم في جنوا.. اقترب دان قليلاً من العشرات الموجودين بجوار التمثال.. وقف مندهشاً من حالة الخشوع التى انتابت الجميع.. ونظر ملياً إلى تمثال مريم المقدسة وإلى المكان الذى قادته قدماه إليه توقف ملياً وبدأ فى الهمس بصوت ضعيف جداً لم يسمعه سواه..

كانت النافورات تتوسط الحدائق وكان هناك العديد من السائحين يتجولون بكاميراتهم الشخصية وبينما الجميع فى حالة من البهجة والسرور اقترب نور من دان قائلاً:-

- دان.. لا تنظر ورائك مباشرة.. أعتقد أننا مراقبون..
- ماذا؟ كيف ذلك ومن يراقبنا؟
- لا أعلم ولكنى رأيت الرجلان اللذان بجوار النافورة بالأمس ونحن بالكولوسيوم.. لمحتهم ونحن ننتزه بالأمس وها هم الآن .
- أمتأكد أنت يا نور؟ ربما كانت صدفة..
- لا.. أحفظ الوجوه جيداً.. إننا مراقبون وعلينا أن ننجز مهمتنا فى أسرع وقت.
- أنت على حق.

والتفت إلى الجهة الشرقية بجوار النافوره فوجد رجلان يرتديان ملابس فضفاضه تبدو عليهم الغلظة بشعر ذهبي فشرع على الفور بأنهم ألمان فاقترب من ألبرت الذى كان يبدو أنه يهمس لتمثال القديس بطرس وهو فى أشد حالات النشوة الدينية:

- ألبرت.. ليس هذا وقت تلاوة صلواتك أعتقد أننا تأخرنا على موعدنا لأكثر من عشر دقائق ولا بد أن زميلك الكاردينال ينتظرنا فى بنا.

سارع الثلاثة السير حتى وصلوا إلى ساحة القديس بطرس التي تقع أمام الكاتدرائية مباشرة..كانت الساحة مرصوفة ببلاط غرانيتي أسود يتوسطها مسلة مصرية على ظهر أربعة أسود برونزية..على جانبيها نافورتان كان الكاردينال ماركو يسير جيئةً وذهابًا بينهما في توتر واضح وما أن رآهم حتى هرع إليهم:

- أين كنتم؟! إن المواعيد هنا في غاية الدقة والأب بوتشيلنى ينتظركم منذ الصباح.

ألبرت- نحن في غاية الأسف يا نيافه الكاردينال فقد أُعجِننا بكثير من التماثيل التي..

قاطعهم ماركو قائلاً: ليس مهمًا الآن علينا فقط أن نسارع الخطى.

وبالفعل سار الجميع خلف ماركو بينما كان دان لا يزال يختلس النظر إلى الرجلان الذين لم يغفلا لحظة عن مراقبتهم.

سار الجميع إلى أحد جانبي الساحة حيث يوجد القصر الرسولى المكون من كتل منفصلة من البناء إلى جانب المتاحف والأرشيف والمكتبة العامة..استعد الجميع للدخول إلى القصر الرسولى ولكن لدهشتهم استمر الكاردينال في السير حتى انتهى جدار المبنى المحتوى على الأرشيف..ودخل إلى جواره وسار في ممر يقع ما بين المبنىين حتى وصل إلى صوبة تتم فيها زراعة بعض أنواع النباتات النادرة ومد يده وفتح الباب البلاستيكي ودخل الجميع إلى داخل الأرض الطينية حيث كانت تمتزج برائحة رائعة كانت تملأ المكان بأكمله عجزوا عن وصفها حتى الكاردينال ماركو تنفس بعمق وكأنه يستشقه أول مرة..وبجوار أحد النباتات كان هناك عجوز جالس بجوار نبتة صغيرة يرويها..وما أن رآهم حتى اقترب منهم مبتسمًا وظهرت ملامح

وجبه التي تعدت الثمانين من العمر ولاح عليه الشيب بوضوح حتى في شعر حاجبيه.. اقترب ببطء وهو يحمل في يده عدة أزهار بيضاء اللون تفوح منها رائحة عطرة قدمها للكاردينال ماركو الذي هبط بين يديه طابعاً قبله على أصابع الأب بوتشلييني قائلاً في خضوع:

- أبت ما هذه الرائحة الرائعة وكأنها عطر من عطور الجنة؟  
- إنها زهره البيلسان يا ماركو.. شجرة تاريخية كانت تنبت قديماً في بعض مناطق سويسرا وإيطاليا الشمالية حيث كان اليونانيون القدماء وسكان روما القديمة يستعملونها بكثرة.. وساد اعتقاد قديم مفاده أن زراعة هذه الشجرة قرب المنازل تجلب الموهبة.. ومؤخراً شاع استعمالها للزينة لرائحتها القوية كما ترى.

ألبرت- سلمت يداك يا أبت.. إن يدك المقدسة هي من روت تلك الزهرة وعندما أوليت لها اهتمامك نشأت في بيئتك الصالحة.

ابتسم الأب بوتشلييني وهو يمد يده إلى ألبرت الذي هبط وقَبَلَ أصابع يده في خشوع بينما ربت الأب بوتشلييني على كتفه قائلاً:

- لا بد أنك الأب ألبرت.. أهلاً بك في مدينة الرب لقد فاض ماركو في الإشادة بك عندما كان مبعوثاً لنا في كاتدرائية كانتربرى.

في هذه الأثناء كان عقل دان يعمل كالبرق في مسألة أخرى في غاية التفاهة ولكنها سوف تقلب الأمور رأساً على عقب فماذا لو مد الأب بوتشلييني يده إليه هو ونور ليقبلاها؟ هو بالطبع لا يريد أن ينال أى بركة بتقبيل يد شخص لا يؤمن بدينه أساساً فإن كانت الظروف اضطرته ليرتدى زى القساوسة فليس معنى ذلك المُضَيِّ في طقوسهم.. وأما نور فيعتقد أنه من المستحيل أن يرضخ مسلم ليقبل أصابع أب كَنِيَّ ليس على دينه.. اقترب

الأب من دان ونور ومد يده فعلاً إلى دان ويبدو أن نور قد أدرك ما كان يفكر فيه الآخر فتلقى يد الأب بوتشليني وَقَبَّلَ أصابعه وقبل أن يمدها إلى دان أخذ نور يده بين يديه قائلاً:

- ابْتِ إنه لشرفٌ لى أن أقابل نيافتك.. فإذا نَحَيْنَا تعاليمك الدينية والكنسية.. وخدمتك للكرسى الرسولى طوال مدة حياتك فأنا الآن أمام عالمٍ قَدِّ.. لقد أخبرنا نيافة الكاردينال ماركو بأن لديك خبرة هائلة في علم الأجناس وأصول القبائل المنقرضة وكل ما نريده هو أن نتكلم معك في أحد هذه الأصول ولن نطيل عليك..

سحب بوتشليني يده بهدوء وسار أمامهم حتى وصلوا إلى داخل أحد الغرف البسيطة وأشار إليهم بالجلوس قائلاً:

- لقد أخبرنى ماركو أنكم تبحثون عن أصول أحد قبائل الجوج.. وقبائل الجوج في تعاليمنا متأصلة في المفهوم الإنجيلي.. فقد شغلت النبؤات ضد جوج وماجوج أذهان رجال العهد الجديد منذ عصر مبكر جداً.. خاصة أن تلك القبائل وردت في سفر رؤيا يوحنا اللاهوتى بالإصحاح العشرون لكونهما يمثلان حرباً عنيفة ضد ملكوت الله في آخر الدهور على مستوى العالم كله.. والتي ستنتهى بنصرة الحق في النهاية بعد ضيق شديد.. لهذا ظهر فريقان من المفسرين أحدهما يرى جوج شخصية حقيقية حملت هذا الاسم وكان رئيساً على أرض ماجوج وقام بحرب ضد إسرائيل الراجعة من السبي.. وهؤلاء يفسرون ما جاء في هذين الإصحاحين بطريقة حرفية.. والفريق الآخر يرى أن ما ورد هنا إنما هو رمز يمثل العداوة لله ومقاومة الملكوت في كل عصر خاصة في أواخر الدهور.. أما التفسير الرمزي فمعلوم أن ماجوج كان الإبن الثانى ليافت بن نوح. ثم أطلق هذا الاسم على شعب متسلسلٍ منه ثم صار

اسمًا للبلاد التي سكنوها وكان جوج ملكًا عليها.. وقد وصفهم حزقيال بأنهم شعب ماهر في الفروسية واستعمال العصي وأدوات الحرب.. وهذا ما يتطابق مع ما ورد عنهم.. وكان جوج رئيسًا على ماشك وتوبال.. وهو يوصف بأنه سيقوم ويغزو أرض اسرائيل في آخر الأيام وسيقتل على الجبال في مذبحه هائلة.

إذًا أنت ترى يا ماركو وأنتم يا سادة أن العنف والقتل والعدوان مصطلحات تترافق مع ذكرهذين الإسمين جوج وماجوج ومن ذلك فإنهما مع الشعب الذي دعى باسميهما صاروا رمزًا للوثنية القاسية التي كانت تعاكس وتقاوم ملكوت الله مستخدمة كل أساليب الإرهاب.. وأما بالنسبة للأزمة الأخيرة فإنها رمز لكل الوثنية بكل أشكالها وأنواعها وحالاتها التي سوف يجمعها الدجال لمقاومة كنيسة المسيح. فالوثنية بالمعنى المجازي والكتابي لم تعد هي الوثنية التي كان لها تماثيل تُعبد بل هي التي تجعل الناس يسيرون بكل قواهم وملكاتهم وطاقتهم العقلية والنفسية والجسدية وراء الإهتمامات العالمية التي لا مكان لمحبة الله فيها.. ولذا فإن هؤلاء الوثنيون سوف يجدون في الدجال المُخْلِصَ لهم من كنيسة المسيح وتعاليمها وسوف يَنْقَضُونَ معه عليها بكل ما أوتوا من وسائل الإرهاب.

ألبرت- وماحال الكنيسة وقتها يا أبت.؟

بوتشليي - أما عن حال الكنيسة في ذلك الحين فقول عنه: "هكذا قال السيد الرب: ويكون في ذلك اليوم أن أمورًا تخطر ببالك فتفكر ففكرًا رديئًا، وتقول أني أصعد على أرض أعراء. آتى الهادئين الساكنين في أمنك لهم ساكنون بغير سور وليس لهم عارضة ولا مصارع" .. وكأن الحرب الشاملة في أواخر الدهور ضد الكنيسة لا تقوم على أساس إثارة الكنيسة للعدو، لكن يراها العدو هادئة آمنة فيظنها ساكنة بلا سور يحميها ولا عارضة

تعوق الأعداء عنها ولا مصاريع تغلق أبوابها.. مفتوحة وسهلة للنهب والسلب..ولم يعلم أن الرب نفسه هو سور المؤمن وهو الذى يحتضنه ويحميه فى داخله، يغلق عليه بأبواب سماوية لا يقدر إبليس وكل جنوده أن يفتحها.

دان (بتأفف) - أبت..لماذا لا تتحدثون الإنجليزية؟

بوتشيلينى..- ماذا تقصد أيها القس دان..نحن نتحدث بالإنجليزية لأنكم لا تجيدون الإيطالية ولست أفهم ماذا تقصد؟

ألبرت- لا لا يقصد شئ!! هو فقط يريد أن يعى الأمور جيدًا فهو لا زال فى بداية رهبنته ولا يعى الكثير من الآيات وكان يطمع فى الشرح يا أبت.

بوتشيلينى.-يا بنى ببساطة هناك ثلاثة آراء مختلفة فى تفسير قصة جوج فالبعض يرى أنها وصف حرفى لهجوم سيحدث على إسرائيل فى المستقبل يقوم به شعوب كثيرون بقيادة روسيا..والبعض يراه وصفًا مجازيًا لحادثة فى المستقبل للصراع الأخير بين إسرائيل وأعدائها وقتئذ..أو للصراع النهائى المُرَّوع بين الكنيسة وقوات الشرفى العالم بقيادة الشيطان.

نور- قد تصدقنى القول يا أبت فإن اليهود سيكونون هم الشيطان الأعظم.  
بوتشيلينى -فى طريقنا للأرشييف سأريكم بعض الوثائق الهامة التى قد تؤيد روايتى للأحداث بشأن ذلك الموضوع..

وبالفعل قام من مكانه واتجه نحو أحد الأبواب الجانبية وفتحها بمفتاح خاص كان يضعه فى جيبه ووقف بجوار الباب مشيرًا إليهم بالدخول نحو باب سرى يصلهم مباشرة بالأرشييف..وعندما اقترب منه نور استند بيده عليه قائلاً فى نبرة عطوفة:

- فلتسمح لي يا ولدى بالتعكز عليك فلقد أصبحت في أواخر أيامي ولولا تلك المهمة التي كلفني بها البابا شخصيًا لكنت الآن في أحد الأديرة أرمي نباتاتي وأعيش ما تبقى من أيامي.

ماركو- حفظك الله يا أبي..لقد كلف البابا بيوس الحادي عشر شخصيًا الأب بوتشليني بفهرسة الأرشيف فنحن لا زلنا دولة وليدة وهناك الآلاف من الوثائق الهامة والتي لا توجد حتى في أيّ خزانات خاصة إلى أن يتم تقسيمها.

بوتشليني- هل تعلم يا ولدى أن الكنيسة بها العديد من الوثائق الهامة والتي تعود إلى آلاف الأعوام ومنها ما يُوضّح دور اليهود في العالم..إن موضوع اليهود خطير جدًا إن كان يهيك الموضوع شخصيًا قد أقصه عليك في وقتٍ ما.

نور- ولماذا لا تقصه الآن يا أبت ؟

كان بوتشليني قد وصل أخيرًا إلى غرفة مستطيلة الشكل قد رُصّت عليها كميات كبيرة من الكتب والأوراق الهامة وبها حوالي ثمانى مناخذ بجوار الحوائط جلس عليها ثلاثة فتیان ينقلون بعض الأوراق إلى أرفف خشبية قد نُبِتت إلى الحائط..وبمجرد دخول الأب بوتشليني الغرفة هرعا إليه وقبلاً يده وأخرجهما بإشاره من يده ثم جلس إلى أحد الطاولات وهو يشير إلى أحد الكتب القديمة الممتلىء بمئات من الأوراق البالية وأمسكها بعناية قائلاً:

- هنا يرقد تاريخ اليهود..هنا ترقد الماسونية الصهيونية وما يدبرونه من أثامٍ وخطيئة..لم يكتفى اليهود بشراء يهوذا الاسخريوطى بثلاثين قطعة فضة لتسليمهم المسيح..بل يريدون الإستمرار في غيِّم الأبدى..لم

يكتفوا من عدة سنوات بإشعال فتيل الحرب وحصد ملايين الأرواح  
لتحقيق حلمهم الأبدى بنو صهيون.. وسترون أن الحرب القادمة آتية  
لا محالة وسوف يُبَادُ الْعَالَمَ فيها نتيجة لأفعالهم.

ألبرت- مهلاً يا أبتِ هل تفسر لنا نيافتك ما علاقة اليهود بالحرب الفائتة؟  
بوتشليي- تمجيد الشيطان في الوعي واللاوعي و نزوح الأرواح إلى أقطاب  
الشركان و لا يزال هدف العديد من سكان الأرض..ولا يزال يوجد في عالم  
اليوم من يوظف كل الوسائل الممكنة والغير ممكنة من أجل ترسيخ فكرة  
الشيطان الأعظم..أو السيد المخلص في أذهان البشر وأذهان من سَلَمُوا  
عقولهم لهم..إن هذه الأشياء وهذه الكتب والأوراق التي أمامكم ما هي إلا  
عبارة عن تأليف جيد لأحداث جديدة مُتَوَقَّعة في المستقبل كنتيجة  
لْمُعْطِيَاتِ موجودة مسبقاً..تمجيد الشيطان هو من الأعيب منظمة عالمية  
تُطَلِّق على نفسها مجموعة البنائين الأحرار أو ما يصطلح عليه بالماسونية  
وللأسف هناك العديد من الشخصيات البارزة في كافة أنحاء العالم  
يعملون كأعضاء سريين في هذه المنظمة..وفي الناحية الأخرى هناك العديد  
من الأشخاص المتنبهين لهذه الخطط..أشخاص ذات عقول تطرح سؤالاً  
واحدًا واضحًا يحتاج منذ قرون لإجابة فورية لم يُعْتَرَّ عليها حتى الآن؟هل  
الماسونية حقًا مؤامرة صهيونية ترفع كلمة شعب اليهود في نظر الكثيرين  
شعب مختار وتتسيد العالم من وراء الكواليس؟ إن مؤسس هذه المُنْظَمة  
غير معروف أين أو كيف يديرها..هذا التنظيم الذى يدعى أنه فقط حركة  
أخوية عالمية أهدافها المساعدة المتبادلة والصدقة وخير الناس لا يزال  
يتعرض لعداء الكنيسة الكاثوليكية لاكتشافها تلك التعاليم  
الشيطنانية..بل والتمهيد لظهور المسيح الدجال والقضاء على الأديان..

بطرق سرية وخبيثة تعتمد على التضليل والخداع بهدف السيطرة  
المزعومة على العالم.

وفي هذا الكتاب القديم عدة مخطوطات تحوى العديد من أسماء قد  
حصلت عليها الكاتدرائية من دس عملاءنا لحماية الصليب..وكذلك  
حصلنا على العديد من تلك الأفكار التى قاموا بها و تلك الخطط  
المستقبلية التى يسعون فيها إلى السيطرة على العالم..

نور- أتذكر قرأت منذ سنوات مقال أنه عندما ألقى الرئيس الأمريكى  
فرنكلين خطابًا هامًا عند وضع دستور الولايات المتحدة الأمريكية اتذكر  
بعض ما جاء فيه حرفيا:

"هنالك خطر عظيم يهدد الولايات المتحدة الأمريكية وذلك الخطر العظيم  
هو خطر اليهود...أيها السادة فى كل أرضٍ حل بها اليهود أطاحوا بالمستوى  
الخلقى وأفسدوا الذمة التجارية فيها..ولم يزالوا منعزلين لا يندمجون  
بغيرهم..إذا لم يُبَعَد هؤلاء عن الولايات المتحدة (بنص دستورها)  
سترون..ولن تمضى مائتى سنة حتى يكون مصير أحفادنا أن يعملوا فى  
الحقول لإطعام اليهود على حين يظل اليهود فى البيوتات المالية يفركون  
أيديهم مغتبطين وإننى أحذركم أيها السادة أنكم إن لم تُبَعِدُوا اليهود نهائياً  
فسوف يلعنكم أبناءكم وأحفادكم فى قبوركم..

دان- صدقت.

بوتشليتي - أتعلم .؟ فى تأملى لكل ما حدث مسبقاً يفاجئنى سؤال يطرح  
نفسه على أحاديثي كلما حاولت الحديث عن اليهودية..لماذا كل هذا  
التحامل على أتباع هذه الديانة أليس من الإجحاف القول أن كل اليهود  
يُخَطِّطُونَ لتدمير العالم؟ وفى المقابل لماذا الإطمئنان لأناس أعلنوها

صراحة..خطة مُحكَّمة للسيطرة على العالم وفق مُخطَّط نظام عالمى جديد!!

ماركو- إذا كان القانون لا يحمى المغفلين فإن الطريق إلى الهاوية يكون في أغلب الأحيان مفروشاً بالنوايا الحسنة..وفى شرفات كهف الظلمات يا أبتِ حيث اللون الأسود يلف الأفق يمكن أن تجد هنا وهناك من ينجدك بنور هو فى الواقع أشد ظلمةً من ظلمة كل الظلمات..هذه هى حقيقة الجماعة النورانية..جماعة شيطانية فى الأصل..

بوتشليي- من منكم يتذكر البروفيسور البريطانى سرجى نيلوس الذى حصل على العديد من الوثائق الأصلية للخطة الشيطانية للسيطرة على العالم سنة 1905..وأعلن عن وضع ذلك فى كتاب سيطلق عليه اسم الخطر اليهودى وحينذاك تلقى أكثر من تحذير بالقتل..لكنه مضى فى مهمته..ونشر الكتاب بالفعل تحت مسمى بروتوكولات حكماء صهيون..وبعد سنوات قليلة من نشر الكتاب توفى الصحفى الإنجليزى بالفعل فى ظروف غامضة بعد أن أحدث كتابه ضجة رهيبة تلاها اختفاء الكتاب نهائياً ولحسن الحظ فقد تم إرسال نسخة من مذكراته إلى الكنيسة وبها كافه البروتوكولات التى يعتمدون عليها فى التخطيط.

وفى المؤتمر الصهيونى السادس الذى عُقدَ فى بازل بسويسرا عام 1903قال أحد زعمائهم دعونى أخبركم الكلمات التالية..وكأنى أصعد بكم درجات السلم درجة درجة..المؤتمر الصهيونى..مشروع أوغندا البريطانية..الحرب العالمية المتوقعة..مؤتمر السلام ويتم بمساعدة بريطانيا قيام دولة يهودية حرة فى فلسطين.

لاحظوا تاريخ هذا المؤتمر. لقد عُقدَ قبل الحرب الكبرى ب 13 عام..وقد بدأوا فعليًا في إسقاط القيصرية الروسية..فالماسونية العالمية كان لابد لها أن تبسط سيطرتها على الإتحاد السوفيتي حتى تبدأ المخطّط الكامل لبسط يدها على العالم وإقامة حكومة مُوحَّدة..وهو الهدف نفسه لمؤامرة الحرب العالمية السابقة..وهو إتاحة المجال للماسونية النورانية للإطاحة بحكم القيصرية في روسيا وجعل تلك المنطقة معقل الحركة الشيوعية الإلحادية.

أشعلوا فتيل الحرب عندما لعبوا دورًا كبيرًا في ضم البوسنة والهرسك إلى الإمبراطورية النمساوية المجرية 1908 فقتل الماسونيون ولي عهد النمسا وزوجته في حادثة اغتيال في عام 1914..فاضطرت النمسا والمجر أن تعلن الحرب على صربيا.

نور - ثم كان إضعاف الإمبراطورية الألمانية وسقوط الدولة العثمانية الإسلامية أخرج معاقل القوة الإسلامية في العصر الحديث..الذي أدّى بعد ذلك إلى قيام كيان وموطن لليهود في إسرائيل عن طريق وعد بلفور من البريطانيين لليهود وعائلة روتشيلد..وبداية عصر جديد يهدف إلى تكوين نظام عالمي جديد تحت قيادة حكومية واحدة تحكم العالم.

سكت الجميع بعد تقريبًا صراخ نور بهذه الجملة مما دعى ألبرت إلى تغيير مجرى الحديث كليًا كعادته:

- أبت لا نريد أن نرهقك ويبدو أننا أخذنا الكثير من وقت نيافتك..مجرد سؤال أخير يتعلق بجوج..أليس في كل هذه المكتبة الضخمة من الأوراق ما قد يساعدنا في بحثنا القادم؟

بوتشليبي - للأسف يا ولدي كلها خرائط متهالكة ولا تشير إلى أى خطوط رحلات حتى التي ارتبطت بالأساطير القديمة لا يوجد ما يثبتها فعليًا.. مجرد أقاويل من الأجداد مدونة على أوراق متهالكة.

دان - وفي رأيك أنت يا نيافة الأب أى من الأساطير أقرب إليك.؟

بوتشليبي- أسطورة المفاتيح المقدسة..

ألبرت- أى مفاتيح مُقدَّسة يا أبتِ؟

بوتشليبي- فلتأتوا معي.

وخرجنا إلى إحدى الغرف الجانبية ليسيروا حتى نهاية الممر ليجدا غرفة تمتلئ بالعديد من الصناديق الزجاجية التي وُجِدَ بداخلها العديد من الآثار القبطية القديمة وأشار لهم إلى أحد الصناديق ليجدا فيها مفتاح كبير الحجم يشبه إلى حدٍ كبير المفتاح الذى يمسك به القديس بطرس فى تمثاله الموجود بالخارج.

دان- ما هذا يا ابتي.؟

بوتشليبي- يقولون أن هذا مفتاح كهف الشيطان أو مزلاج يُخْفى من وراءه طريق للشيطان..وأن الشيطان مُقَيَّد خلف باب بمزلاجين بمفتاحين مقدسين أحد تلك المفاتيح ذهبت لأهم كنيستين فى العالم المسيحى..وصل هذا المفتاح فى زمنٍ ما وتم أخذ المفتاحين كرمز للفاتيكان ورمز للكرسى الرسولى..وأنا أرى أن كهف الشيطان هو ذلك الطريق المؤدى إلى أراضى جوج من داخل الأرض..

ألبرت- الأرض المجوفة.؟

بوتشليبي - نعم فبداية الأرض المجوفة هى كهف الشيطان..

بعد قرابة الساعة خرج الثلاثة رجال من الأرشيف وهم يسرون خلف ماركو حتى وصلوا أخيراً إلى ساحه القديس بطرس وقتها كان نور يتلفت حوله يميناً ويساراً بحثاً عن الرجلان الغامضان لكنه فجأة اصطدمت قدمه بعباءته فوقع على الأرض مما دعا ألبرت إلى الصباح ليأخذ حذره بدلاً من وقوعه كل مرة أمام الماره..لكن بعد أن ساروا بضع خطوات قطع طريقهم الرجلان فجأه..وتقدم إليهم أحدهم قائلاً بغلظة مُوجِّهاً حديثه إلى نور بلغة انجليزية:

- البروفيسور تومي جونسون أنت رهن الإعتقال..فلتأتى معنا فى هدوء؟  
تَلَوْنَ وجه نور مصفراً وارتعش لسانه وقبل أن يتكلم قاطعه ماركو قائلاً:
- من أنت؟ وكيف تجرؤ على القبض على أحد المواطنين فى بيت الرب؟  
إن لم تنصرف حالاً قد أتى...
- ولكن الألمانى لم يُمهله حتى يجيبه بل أخرج من جيبه مسدساً وجذب زناده مُشهِراً إياه فى وجه ماركو قائلاً:
- وإن لم تنصرف أنت سوف أجعلك اليوم شهيداً فى ساحة قديسك بطرس..

وفى أقل من الثانية كان نور قد أدرك الموقف تماماً وعلم أنه سوف يتم القبض عليه فى الحال إن لم يتصرف سريعاً وبالتالى لم يشعر به أحد إلا وقد أطلق ساقيه للريح..وضع الألمانى سلاحه فى جيبه وجرى خلفه أما الآخر فانتظر وقرر فى أقل من الثانية هل ينتظر بجوارهم أم يلحق بصاحبه وفى

ثوان كان الرجلان يعدوان خلف نور الذى كان يجرى بأقصى سرعته وسط  
اندهاش الجميع من الأسقف الذى يجرى وراءه رجلان.

اندهش ماركو من التصرف ذاته وحاول أن يشير بيديه إلى أحد الحراس  
السويسريين الذى يتولون حراسة الساحة ولكن الآخر لم يهتم..مما دعا  
ماركو إلى الذهاب خلفهم.

أما ألبرت ودان فكان على رؤسهم الطير..فهما لا يدريان ما الذى حدث فى  
الدقيقة الماضية وكيف تم اكتشاف نور..؟ ومن هذان الرجلان الغامضان.؟  
وهل سيتم القبض عليه.؟ وما موقفهم الآن.؟ هل يتحركان بسرعة ليذهبا  
إلى الفندق أم ينتظرا عودة نور أو ماركو بخبر القبض عليه.

لم يتأخر الرجلان بل حزما أمرهما على الفور وذهبا فى طريقهم حتى وصلوا  
إلى محطة القطار..انتظرا حوالى عشرون دقيقة على أحرّ من الجمر حتى  
وصل القطار وما لبثا أن ركبا فيه وهما ينظران فى النافذة أملاً فى رؤية نور  
الذى ذهب بلا رجعة.

\*\*\*

فى مساء الليلة وقف أربع رجال فى ساحة القديس بطرس يرتدى أغلبهم  
الزى الرسمى للكرادلة اقترب أحدهم من أكبرهم سنًا وهمس له بعدة  
كلمات فسارا فى عجلة من أمرهم وهم يلتفتان خلفهم أملاً فى عدم رؤيتهم  
على الرغم من عدم وجود سائحين بالساحة الخارجية فى ذلك  
الوقت..سارا حتى وصلا إلى صوبة الأب بوتشلىنى وما لبث أن دخل ثلاث  
رجال وتركو الرابع خلفهم..نظر الأخير حوله ثم أخرج من بين طيات ملابسه  
سلاح نارى صغير الحجم ووضعه فى قلنسوته التى خلعتها وكأنه فى انتظار  
أمرٍ ما.

أما بالداخل فكان الثلاث رجال يسرون وسط النباتات حتى هرع إليهم الأب بوتشليبي خوفاً على زهوره من أحدىهم الغليظة لكنه فزع عندما رأى تلك الوجوه القاسية وخاصة أحدهم الذى كان يبدو مألوفاً لديه..ولكنه أدرك ما ينتوونه حين اقترب منه أحدهم قائلاً :-

- أبتِ إننا لا نريد أئى أذى لنيافتك سوف فقط نقوم بجولة صغيرة إلى داخل الأرشيف لتعطينا بعض الأشياء..وأود أن ألفت نظرك سواء جئت معنا أم لم تأت فسوف نحصل على ما نريد..

أما بوتشليبي فكانه لم يسمع ما قاله الرجل فَخَرَّ رَاكِعًا وهو يتمتم:

- لقد كنت أنا المتسبب فى ذلك لا ألومن إلا نفسى..ومنذ أن..

قاطع الرجل وهو يقترب منه ليجذب مفتاح كان يضعه الأب بوتشليبي بين يديه وقت دخولهم قائلاً وهو يقيد يدى الأب خلف ظهره قائلاً :

- يبدو أنك مُصِرٌّ على عدم التعاون معنا..هذا هو مفتاح باب الأرشيف على ما أعتقد سأجلس أنا معك عدة دقائق حتى ننهى مهمتنا.

وبالفعل أخذ أحدهم المفتاح وهرع مع الآخر إلى الأرشيف السرى عن طريق الممر المخفى بداخل المكان الذى يُقِيمُ به وفى هذه الأثناء كان الرجل يتمتم إلى بوتشليبي:

- أبتِ إننا فى خندق واحد ولا تعتقد أنى سعيد بما أفعله ولكن هناك العدو الأكبر لنا وعلينا أن نحاربه فى مهده وإلا سيحدث ما لا يُخَمَد عُقْبَاهُ..أنت تحاربه بطريقتك أما نحن فنقضى على البذور منذ نشأتها ولا نسمح لها أن تنمو وترعرع ثم نقضى عليها..وسياتى يوم سيعرف العالم كله أن ما قمنا به هو الخير للبشرية.

أما بوتشليبي فكان في وادٍ آخر وكأنه لم يسمع أى كلمة من الرجل بينما استمر في تلاوة صلواته بصوتٍ مُرتعدٍ:

- طوبى للذى يقرأ وللذين يسمعون أقوال النبوة ويحفظون ما هو مكتوب فيها لأن الوقت قريب..ومن يسوع المسيح الشاهد الأمين البكر من الأموات ورئيس ملوك الأرض الذى أحبنا وقد غسلنا من خطايانا بدمه..وجعلنا ملوكًا وكهنة والله المجد والسلطان إلى أبد الأبدين..أمين.

وفي هذه الأثناء وصلا الرجلين الذين أتيا مُهزولينَ عبر الممر السرى حتى وصلا إليهم وأشارا إليه بعلامة النصر كدليل على نجاح مهمتهم بالداخل..وأوما لهم الرجل واقترب من بوتشليبي الذى كان فى أشد حالات الذُّعر ولكنه لم يتحرك أو يصرخ بل استمر فى تلاوة صلواته حتى وضع الرجل منديلاً على وجهه واستمر دقيقة والأب بوتشليبي يُصارع الحياة مقيد اليدين..حتى لفظ أنفاسه بعد أقل من دقيقة..فك الرجل قيوده ورفعته حتى وضعه على كرسية ووضع يده على قلبه مما قد يوحي أنه أصيب بنوبة قلبية..ونظر فى شئى أنحاء المكان حتى يتأكد أن كل شئ على ما يرام..وابتعد بهدوء وهو يمد يده ليأخذ عدة زهور من البيلسان ليلحق بالرجال خارج الصوبة.

\*\*\*\*

وفي الوقت الأخير من الليل داخل فندق هلفتيا بريستول قضى ألبرت ودان ليلتهم الأخيرة..حيث كان الإثنين يجهزان متاعهم وهم فى أشد حالات القلق..القلق لأن رحلتهم فى الغد ستكون فى منتهى الصعوبة لأنهم سيرحلون إلى فرنسا برّياً وذلك لمقابلة البروفيسور المسلم فى جامعة ليون والذى رشحه لهم الاب بوتشليبي..أما الكادرينال ماركو فسوف يلاقيهم فى محطة القطار فى تمام التاسعة صباحًا ليرحلا إلى مدينة جنوة ومنها

يستقلان القطار مرة أخرى حتى يصلا إلى الحدود الفرنسية ومنها إلى مدينة نيس ومنها حتى مارسيليا و منها إلى جامعة ليون في رحلة يعلم الله كم ستستمر..

ولكن ما كان يشغلهم أكثر هو اختفاء نور وخوفهم على مصيره الغامض.

\*\*\*\*

في الصباح كان الرجلان بداخل المقهى الموجود بداخل المحطة في انتظار القطار الذى سيتحرك بعد عشرون دقيقة وبينما هم فى الإنتظار حتى دخل عليهم الكاردينال ماركو سريعاً وهو يعتذر عن التأخير:

- أرجو معذرتكم فقد كانت هناك كارثة فى الكاتدرائية.. لا بل فى الفاتيكان بأكملها.

ألبرت- ماذا يا أبتِ ؟ نرجو من الله أن يكون الأمر هين.

ماركو- أبدأ.. لقد تُوِّفَى بالأمس الأب بوتشلىنى إثر أزمة قلبية مفاجأة.

ألبرت- يا إله السماوات.. لقد كان الرجل فى أتم صحه فى لقاء الأمس.

ماركو- لا أدرى يا ألبرت.. حقاً لا أدرى الرجل لم يشكو من قلبه من قبل واخشى أن..

دان - تخشى ماذا أيها الكاردينال؟

ماركو- أخشى أن فى الأمر شيئاً ما.. لقد اختفت عدة أوراق هامة من خزينة الأرشيف وإلى الآن لا نعلم ما هى.. والأدهى أن مفتاح الرمزى للكاتدرائية الذى رايتموه بالأمس غير موجود فى علبته الزجاجية.. لقد أخبرنى الأسقف ماثيو بكل ذلك وهم الآن يحصرون المفقودات.

دان - أيعقل أن يكون هناك جريمة قتل؟

ماركو- لم يحدث إلى الآن في تاريخ الفاتيكان أى جريمة..فما بالك بجريمة قتل في بيت الرب.

ألبرت- وماذا بشأن الأب تومى؟

ماركو- لا أدرى فقد اختفى الرجلان من أمامى وهما يعدوان خلفه..ألبرت إن كانت جريمة قتل قد حدثت فإنتم السبب في ذلك..لا أدرى لماذا إقحتمت الكرسي الرسولى في تلك المواضيع..لن اغفر لك أبداً إذا اتضح أن في الأمر جريمة ذهب ضحيتها الأب بوتشلىنى المسكين.

ألبرت- أنا..لم..أقصد..أبداً..لم أقصد حدوث أى مشاكل يا أبتِ فلتغفرلى.

دان- فات الأوان على ذلك نحن الآن في خطر ويجب أن نهرب فوراً.

ماركو- هو كذلك..في هذه الجريدة ثلاث تصاريح لكم في حال مقابلتكم للأب تومى رفيقكم وذلك للخروج عبر الحدود وأعتقد أن خروجكم كبريطانيين من إيطاليا ودخولكم لأراضى حليفتم فرنسا سيكون أيسر بكثير من دخول روما..والآن فلتصحبكم السلامة.

ألبرت- لن أرحل من هنا يا أبتِ إلا بعد أن تغفرلى ولتمنحنى البركة.

وهبط على زكيته أمام الكاردينال الأمر الذى أثار دان فقام من على المنضدة ليذهب خارج المقهى حتى ينتهيا من تلاوة صلواتهم المباركة.

خرج دان لبيتاع جريدة الديلى ميرور ويترك الرجلان في أداء مشاعرهم الدينية ليجد العنوان الرئيسى :

وأصبح هتلر مستشاراً لألمانيا

هيندينبرج يُعَيِّن رئيس الحزب النازي كمستشار له خَلْفًا لفون باين  
المُسْتَقِيل

وقبل أن يَهْمَّ بقراءة الخبر الذى أثار ضيقه سمع صفارات القطار ليعلن  
قيام رحلته خلال دقائق فعاد مرة أخرى مع أحد الحَمَّالين ليأخذ الحقائق  
ليجد ألبرت الذى كان لا يزال يبكى على يد الكاردينال فوكزه فى كتفه للحاق  
بالقطار الذى يوشك على المغادرة وبالفعل قام ألبرت وهو يشير بيده إلى  
ماركو حتى استقلاه..وبعد أن تحرك القطار..لمح دان شبح نور وهو يُهْرُول  
سريعًا خارجًا من أحد دورات المياه ليلحق سريعًا بالعربة قبل الأخيرة..

\*\*\*

وبعد حوالى الثلاثون دقيقة كان الرجال الثلاثة فى كابنتهم يستمعون إلى  
أحداث الليلة الماضية من وقت هروب نور من الرجال الذين كانوا فى أثره  
بالأمس وكيف قضى ليلته فى دورة المياه فى محطة القطار التى وصلها فى  
أخر قطار قادم من الفاتيكان مُخْتَفِيًا عن الأنظار حتى الصباح لوقت قيام  
قطارهم الذى كان يعلم مواعده..ورغم رؤيته لألبرت ودان إلا أنه كان يخشى  
ظهوره خوفًا من احتمال معرفته..أما دان فقد قَصَّ عليه أحداث الليلة  
الماضية التى رواها ماركو لهم وكان فى أشد حالات التأثر من تلك الحادثة  
المُفْجِعَة.

نور- كما أخبرتكم أن الوضع أخطر مما كنا نظن وأخبرتكم يادان أننا  
مُراقِبُونَ منذ أن وطأت أقدامنا روما..كنت أشعر بالرجُلان ولكن ما رأيته  
بالأمس كان أكثر من ثلاث رجال ولولا أنى اختفيت داخل أحد الصالات  
بالكاتدرائية فى هذا الزى قبل أن أصعد على متن القطار الأخير لكنت الآن  
مع الأب بوتشلىنى فى رحلته الأخيرة..

دان - لا نعلم الوثائق التي سُرِّقَت من الأرشيف ولكن سرقتهم للمفتاح يا نور فهما بذلك قد سبقونا بخطوة والعسير أننا لا نعلم من هم.

نور- هم ألمان بلا أيِّ شَكِّ فهم يسعون إلى ذات البحث..ومن اليسير جدًّا أن يتبعا نفس الخطوات التي نسير بها.

ألبرت - ومعنى ذلك أننا نسير في الإتجاه الصحيح.

نور- نعم ولكن المعنى الآخر أننا قد نكون مُراقِبين في أغلب الأوقات فعلىنا أن نأخذ حذرنا دومًا.

دان - علينا الآن أن نقابل البروفيسور ريجان جباري ليدلنا على أصولهم وأماكنهم كما أخبره القران.

ألبرت- بالمناسبة يا نور أنت مسلم فلماذا لم نوفر تلك النفقات وتخبّرنا عن أصولهم في دينك؟

نور- ولماذا وأنت قس وكان عليك أن تخبرنا بما يقوله دينك عن أصول جوج بدلًا من وصولنا للفاتيكان ونتسبب في جريمة قتل يا نيافه الأب؟

ألبرت - ماذا ؟ أعلم أني.

قاطعه دان قائلاً- مهلاً مهلاً أنتما الإثنين..أعتقد أن تلك أخطر رحلة لنا فبعد وصولنا إلى ليون لن يتبقى لنا إلا تذاكر الرجوع إلى بريطانيا فلا داعي لصراع الأديان هذا..أعتقد يا ألبرت أن نور لديه كل الحق وإن كنت قد أجبته مسبقًا بأنك رجل دين فإنك لا تعلم الكثير والكثير عنه ولذلك حضرنا إلى هنا..وبنفس المنطق فإن نور ليس رجل دين من الأصل هو فقط مسلم ولذلك كان علينا معرفة أصول تلك القبائل في الديانة

الإسلامية..بالمناسبة هل عرفتم آخر أخبار ألمانيا؟ لقد تم تعيين هتلر مستشارًا لألمانيا للأسف.

نور- هذا ما كنت اخشاه فعلاً فبعد هزيمته للمرة الثالثة في الإنتخابات القريبة توقع الجميع أن تكون تلك نهايته ولكن المتابع للوضع العام يعلم أن ذلك لن يُثني عَزْمَهُ عن تولى الرئاسة في وقتٍ ما..على الرغم من سقوطه المدوى في الإنتخابات.فضل يحارب كما هو.

دان - ما حدث له بعد تلك الإنتخابات.؟

نور- بعد إعلان نتيجة الإنتخابات الرئاسية السابقة وإعادة انتخاب هيندينبرج ليكون رئيسًا لألمانيا مرة ثانية..بعدها كان ميعاد انتخابات البرلمان الألماني أو الرايخستاج..هتلر والحزب النازي اكتسح البرلمان متفوقًا على بقية الأحزاب فأصبح أثقل قوة سياسية في ألمانيا وكان المتوقع عندما يحصل حزب على أكثرية المقاعد أن الرئيس سيختار زعيم الحزب كرئيس وزراء ويطلب منه تشكيل حكومة..لكن الرئيس هيندينبرج خالف كافة التوقعات ورفض تعيين هتلر كمساعد له متحججًا بأنه لا يستطيع تسليم السلطة لحزب غير متسامح كحزبه..وقتها أصابت هتلر صدمة كبيرة وإحباط..لم يسعد بانتصار حزبه في الإنتخابات وعين الرئيس هيندينبرج "فون باين" مستشارًا جديدًا بدلًا من هتلر..لكنه ليضمن ولاء هتلر عرض عليه دورًا في الحكومة كوزير لكن هتلر رفض المنصب..وبرغم كل المحاولات مع هتلر..إلا أنه رفض تمامًا كل ما عرضه عليه باين..وإلى هنا انقطعت معلوماتي عن ما يجري داخل ألمانيا ويبدو أن الأمور ستسير من سىء إلى أسوأ.

ألبرت - هذا ما كان ينقصنا ..فلندع الرب أن تمر تلك السنوات على ما يرام.

وسكت الجميع وهم يحاولون أن يشغلوا وقتهم فأخرج ألبرت إنجيلاً بدأ في تلاوة آياته بينما بدأ نور يَغطُّ في نوم عميق تعويضاً لليلته التي قضاهها مختفياً داخل دورة المياه..بينما دان أخرج من جيب زية الديني تلك الجريدة التي ابتاعها..وبينما هو يُخرِجُها إذ سقطت بعض زهور البيلسان على قدم ألبرت الذي تناولها في دهشة قائلاً:

- كيف وصلت إليك تلك الزهور؟ أتسرق من داخل الكنيسة يا دان؟
- (مبتسماً ) لا أعتقد أنى ساذهب إلى الجحيم لسرقتى بعض الزهور  
خُلسَةً من الأب بوتشليتي يا ألبرت.

سكت ألبرت وعاد إلى إنجيله بينما ظلَّ دان واجماً..وشرد بنظره إلى خارج النافذة..

\*\*\*

## الفصل الخامس

(الشیطان لن یستطیع ملاحقة آلاف وآلاف من المجازر البشریة  
التي یرتكبها الإنسان یومیًا.. ولتعلم أن الإنسان لا یقل سفکًا  
للدماء عنه)

بعد عدة أيام وفي داخل جامعة ليون بفرنسا كان الرجال الثلاثة يجلسون مع البروفيسور ربحان جبارى أستاذ العلوم الاسلامية بجامعة ليون الفرنسية..قاصين عليه بحثهم عن أصول الجوج فى الديانات السماوية فَعَدَّلَ من وضع غليونه وبدأ فى الحديث :

- أطلقت التوراة على مأجوج لفظ ماجوج أما جوج فهو أطلق بدلاً من يأجوج واعتبرت أن الأخير رمز فقط لرئيس شعب جوج ونسبت شعب مأجوج إلى ماجوج بن يافث بن نوح فقالت التوراة فى هذا الشأن كما ورد فى سفر التكوين الإصحاح العاشر) وهذا مواليد بنى نوح .سام وحام. ويافث. وولدأنهم وولد لهم بنون بعد الطوفان بنو يافث جومر وماجوج وماداي وياوان و توبال و ماشك وتيراس )

وبعض مفسرى الكتاب المقدس يرون أن جوج هو رمز لقبيلة ياجوج بينما يرى بعضهم أيضًا أن جوج هو رئيس ماجوج لذلك فإن ياجوج ومأجوج أرى أنهم شعبيين وينتهى نسيم في نهاية الأمر إلى يافث بن نوح وبذلك فهم ينتسبون إلى آدم وحواء معًا.. أما في الإنجيل فقد ورد ذكر قبائل الجوج في رؤيا يوحنا اللاهوتى عندما ذكرهم ليفسدوا في الأرض ويهلكوا الحرث والنسل في نهاية العالم ولم يذكر الإنجيل شيئًا عن نسيم وباعتبار أن التوراة من مصادر التشريع المسيحى فهى من المصدر الأساسى لأى معلومات عن بدء الخليقة وبالتالي يا مسترألبرت أنتم تنسبون قبائل الجوج إلى يافث عليه السلام.. وهذا التفسير الاصلى رغم بعض التفسيرات التى قد أميل إلى تصديقها.

ألبرت- مثل ماذا يا مسترريحان ؟

ريحان - أسطورة النانيدرتال...بمعنى أن جوج ليسوا آدميين إنما من أصل النانيدرتال الذين خلقوا من قبل آدم بحوالى 15 ألف عام.. فكانت الأرض معمورة بمخلوقات أخرى قبل خلق آدم عليه السلام وما يؤكد ذلك التاريخ الطويل للأرض فقد تم استيطانها بأجناس بشرية غير آدمية مختلفة الأصول كافة عن الأصل الأدمى ومن المثير أن الإنسان الراهن عاصر إنسانًا آخر لفترة حوالى 15 ألف عام هو الإنسان المسمى النانيدرتال وحدث هذا قبل حوالى 35 ألف سنة فقط وقد كان آخر العهد بهذه المعاصرة هو وقت بعث ذى القرنين الذى كان هو البشرى الوحيد الذى آتاه الله تعالى المقدره على إحداث تغيرات كونية واسعة وذلك بما آتاه الله من كل شيء سببًا وما أقطع به من وجهه نظرى المتواضعة أن هذا الإنسان النيانيدرتالى هو المقصود فى التاريخ الإسلامى بياجوج ومأجوج..وما قيل فى انقراض هذا الإنسان هو قصور شديد فى الإحاطة والعلم فلم ينقرض..لكن الله قد قَدَّرَ

لذى القرنين أن يردم عليهم فى فراغٍ هائل تحت الأرض بقاعدة الجبل الذى أقامه بين السدين وهذه القصة وردت فى القرآن الكريم كاملة تحديداً..نعم لقد أراد الله أن يخلق نموذجاً للإنسان تكون فيه نزعات الشر متدنية وهو القادر على كل شىء هذا بعكس الإنسان النايدرتالى المنتمى إلى قبائل الجوج.

حيث قال رب العالمين (إِنِّى جَاعِلٌ فى الأَرْضِ خَلِيفَةً) ولم تعى الملائكة الحكمة الإلهية فى ذلك فأردفت قائلة فى الآية الكريمة اجتهاداً منهم (قَالُوا أَتَجْعَلُ فىمًا مِّنْ يُفْسِدُ فىمًا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّى أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) نعم فلم تر الملائكة من قبل إلا هذه النماذج السفاكة للدماء شديدة الإفساد فى الأرض كما رأت فى هذا الإنسان النايندرتالى..هذا ما أعتقده شخصياً...أما عن وصف جوج فلم يرد فى وصفهم فى شتى الديانات أو الاحاديث النبوية الشريفة ما يُجْزِمُ بأوصافهم..بينما نرى كل ما يتعلق بهم فى الإسلام بمجرد ذكر سيره الملك ذو القرنين..

ألبرت - تعددت الأقاويل فى هذا الشأن وأنا أميل بل وأجزم أنه كان الملك المصرى اخناتون.

ريحان- دعك منْ هُوَ الآن فذو القرنين كان عبداً صالحاً لله يأتية وحى من الله بدليل أن آيات القرآن العظيم أفاضت فى وصفه بأنه كان ذو مالٍ وجاهٍ وسلطانٍ وغزا الكثير من الدول فبدأ بدول مغرب الشمس وهى الدول التى تقع سواحلها على المحيط الأطلنطى..وبزيارته لهذه الدول وجد أن هناك الكثير من الأقوام الذين لا يؤمنون بالله فَبَوَّحِي من الله ترك له أن يفعل بهم ما يريد..وبعد تلك الرحلة الإيمانية التى كانت بوازع ديني بحث لنشر ديانة التوحيد فى تلك البلاد زار الجهة الأخرى بوحي من الله أيضاً إلى مطلع

الشمس وهى الدول الواقعة فى جنوب شرق آسيا فوجد هناك قومًا لم يجعل الله بينهم وبين الشمس سائرًا كوجود غابات أو جبال يستظلون بها فقد كانت منطقة صحراوية قاحلة وأنا أرى أن هذه الأوصاف لا توجد إلا فى منطقة سهول الإستبس فى شمال الصين وكذلك جنوب شرق الإتحاد السوفيتى ومنغوليا وهى تلك المنطقه التى كان يسكنها التتار والمغول..ثم جال فى هذه المنطقة حتى وصل إلى منطقة تقع بين جبلين فوجد هناك أناس لغتهم مختلفة عن بقية اللغات المعروفة فهم معزولون عن العالم قليلوا الحيلة والخبرة..فطلبوا منه أن يبني لهم سدًا يحول بينهم وبين ما يشنه بعض القبائل الغازية وهم قبائل الجوج فهم يسلبون منهم أموالهم ونساءهم وكافة خيراتهم..وعرضوا عليه الكثير والكثير من الأموال ولكنه رفض وطلب منهم أمر اواحد فقط وهو أن يجمعوا كل ما تيسر من الحديد والنحاس ليضع سدًا بينهم يَحُولُ تلك الغزوات المستمرة عنهم..وتم عمل ذلك السد فى وقت يعلمه الله وأغلق منه الفتحة التى كانوا يَنْسَلُونَ إليها وأخبرهم أنه سيمر زمن بعد ذلك حتى يدك الله السد فى نهاية العالم.

دان - وهل فسر كتابكم المقدس من هو ذو القرنين يا مستر ريجان؟

ريجان - القرآن لم يذكره صراحة بل هناك مميزات معينة لم يوصف بها ملكًا إلا هو.

ألبرت- تعددت الأقاويل فى هذا الشأن فهناك من قال أنه الإسكندر الأكبر ومن قال أنه كورث الفارسى وهناك العديد ممن قالوا أنه إختاتون ذلك الملك الفرعونى وأنا أميل لهذا الرأى.

ريجان- هناك من الشروط التى يجب أن تنطبق يا سادة على ذو القرنين..فيجب أولاً أن يكون نبى لأنه كان يُوحَى إليه من الله فقد قال الله

في كتابه العزيز (قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ أَمَا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا) فهو دليل على أنه كان يُوحَى إليه من الله تعالى وكذلك هو يعلم الغيب بوحى من الله لأنه أخبر هؤلاء القوم أن السد سينهار في نهاية العالم والثلاثة المذكورين لم يُوحَ إليهم أى شىء .

نور- وثانيًا؟

ريحان- ثانيًا أنه لا بد أن يكون ملك ذو جاه وسلطان وأن يكون له فتوحات وغزوات وصلت إلى شمال إفريقيا..وكذلك الناحية الأخرى ناحية دول غرب أوروبا المطلة على المحيط الأطلنطي وقام بنشر التوحيد في هذه المناطق وأخيرًا لا بد وأن يكون قد بنى السد.

ألبرت- نعم وأنا أعلم أن الأسكندر الأكبر لم يكن إلا كافرًا وثنيًا ككثير من الأقاويل التي تؤيد ذلك فقد كان ينشر ثقافة اليونان الوثنية وقتها على الدول التي كان يغزوها..بالإضافة أن فتوحاته كانت بغرض إما للتوسع في امبراطوريته وتحقيق طموحاته الشخصية أو لصد هجمات الفرس ولم يكن لهدف التوحيد أبدًا.

نور- وما السبب إذن في تسميته ذو القرنين ؟

ريحان- كانت تسميته بذى القرنين لسبب وهو عند فتحه مصر قام كهنتها باللباسه التاج المُقدَّس الذي يرمز إلى رمز الكباش وشعار آمون..وأما عن كورش الفارسي فهو الذى أسس الإمبراطورية الفارسية وجمع بين ملك فارس ومادى وغزا بابل وأذن لليهود بالرجوع من بابل إلى اورشليم المقدسة..بل وساعدهم في بناء الهيكل ذاته الذى دمره نبوخذ نصر وقد صدق بعض العلماء أنه من ذكر بالقرآن على أنه ذى القرنين فهم يرون أنه كان يؤمن بالتوحيد وكان عادلاً بين رعيته فجمع بين الدين والأخلاق

كما ورد في العهد القديم ( هكذا يقول الرب لمسيحه كورش ) ولكن هناك العديد من الأسباب التي تنفى..ذلك فإن كورش لم يكن مؤمناً بالتوحيد بل كان مجوسياً كافراً..ولم يكن مؤمناً ولا موحدًا فلا يوجد أى دليل على ذلك أما بالنسبة للآية المزعومة فذكر فيها اسمه لأن أفضاله على اليهود كثيرة فهو أعادهم إلى أرضهم وساعدهم كما سبق فكان لا بد من تمجيده في بعض النصوص اليهودية.

نور- اليهود مرة أخرى.؟

ريحان- نعم..وعندما اتجه كورش إلى المغرب والمشرق كان ذلك لدفع هجمات ليديا التي هي تركيا حاليًا والحرب معها للقضاء على حركات المتمردين في مملكته وليس لإقامة العدل أو الدعوة للتوحيد.

ألبرت - ولذلك فأنا أجزم بأنه كان إخناتون الفرعوني.

دان - وعلى أى دليل يا ألبرت؟

ألبرت- كانت عبادة أوثان والكواكب هي العقيدة السائدة في مصر منذ الأسرة الأولى حتى الأسرة الخامسة حيث ظهر ما يعرف بمذهب الشمس والذي أحدث تأثيرًا كبيرًا في العقيدة المصرية وكان من آثارها اعتبار الشمس إله الأعلى للدولة وكان هذا هو الوضع السائد عندما تبوأ إخناتون سدة الحكم في البلاد..وقد ثار إخناتون على هذا الوضع وقاوم كل التيارات المنحرفة وطالب الكهنة والناس بعبادة رب الشمس وليس الشمس نفسها وهذا ثابت تاريخيًا وموثق في التاريخ المصري القديم وهو أهم القرائن على فرضية أن إخناتون هو ذوالقرنين..بإضافة إلى نشأة موسى وإخناتون في بيت واحد..بحيث تؤكد المصادر التاريخية الموثقة إلى تولى إخناتون الحكم بعد وفاة والده وأن موسى عاش زمنًا بعد وفاة

فرعون..وبحكم طبيعة العلاقة التي لا بد أنها تكونت بين موسى وإخناتون في مراحل الشباب فإن من المتوقع أن يكون لموسى تأثير كبير على فكر وسلامة عقيدة إخناتون..وهناك شيئاً آخر فإن التقنية والأساليب الهندسية والتي لم تكن معروفة في تلك العصور إلا في مصر..

دان - وما شأن ذلك بمصر.؟

ألبرت- بسبب السفن المستخدمة في رحلة ذي القرنين..لو تفكرنا في صعوبة وخطورة رحلته التي أبحرت فيها سفنه لمسافات تجاوزت عشرات الألوف من الكيلومترات إلى مغرب الشمس..ثم إلى مطلع الشمس ثم إلى الصين..لو تفكرنا في هذه الحقائق فإننا سنصل إلى اقتناع بأن مثل هذه الرحلات لا يمكن القيام بها إلا باستخدام سفن معينة متينة ومنتقنة وقوية..ولم تكن تلك النوعية متاحة في ذلك العصر إلا في مصر..وقد ثبت ذلك لوجود آثار في البلاد التي زارها ومن خلال النقوش الموجودة إلى وجود صور ونقوش لسفن على الطراز المصري في بلاد مغرب الشمس ومطلعها..فبعد غرق فرعون وجنوده في اليم. كما نعرف من قصة موسى..تولى إخناتون عرش مصر..وحاول توطيد حكمه ودعوته للتوحيد ولكنه واجه مقاومة شديدة من الكهنة وبعض رموز الحكم السابق..بالإضافة إلى مشاكل أخرى تمثلت في تعرض بعض الولايات التابعة لمصر لتهديدات خارجية مثل بلاد الشام والتي تعرضت لغزو الحيثيين..الذين استغلوا ضعف مصر بعد غرق فرعون ومعظم جنوده..ولم يستطع إخناتون بعث أي قوة هناك لأن أغلب جيش مصر غرق مع فرعون..بل إنه أصبح هو وأسرته مُعَرَّضِينَ لتأمر الكهنة وأتباعهم ومن ثم اضطرر للهجرة من مدينة طيبة إلى تل العمارنة حيث بنى مدينته المقدسة هناك..وبقي في حكم مصر حوالي ٨١ عاما..اضطر بعد أن تفاقمت

قوة الكهنة وأتباعهم إلى الهجرة من مصر سرًا هو وزوجته نفرتيتي وأولادهم ومجموعة من أتباعه على سفن مصرية عبر البحر الأحمر.. حيث وصل إلى مغرب الشمس ومطلع الشمس وبلاد ما بين السدين.. الجدير بالذكر هنا أنه لم يعثر على رُفاته أو رُفات زوجته في مصر.. مالى أراك مبتسمًا هكذا يا مستر ربحان

ربحان- أستمحك عذرًا يا عزيزى البروفيسور فلديك حصيلة هائلة من علم المصريات ومصر الفرعونية وأنا كذلك.. وبالإضافة أنى درست علم التوحيد والأديان فى مصر الفرعونية ولى بعض الملاحظات البسيطة التى قد تُقنّد تلك المزاعم المصرية.. أولًا يا سيدى موسى قد عاش فى فترة جاءت بعد وفاة امنحوتب الثالث.. وامنحوتب الثالث هو من عاش فى عهد يوسف عليه السلام.. وإخناتون أو ما يسمى بأمنحوتب الرابع هو الملك الذى عيّن يوسف عزيزًا لمصر بعد ما خرج من السجن ووفاة بوتيفار وهو العزيز الذى قبله والذى اشترى يوسف وسجنه.. وبالتالي فلا يمكن أن يكونا الإثنان قد عاشوا بعضهما فى زمن واحد.. وأنت تقول أنه بعد أن غرق فرعون والكثير من جنده الذين خرجوا معه خلف موسى عليه السلام لم يبق لإخناتون من الجند بعد توليه الحكم ما يمكنه من حماية سوريا وفلسطين من غزو الحيثيين.. خاصة بعد إعلانه دعوته التوحيدية وإعلانه الحرب على الأصنام وخروج الكثير من الوثنيين عليه.. وتأمركه الكهنة وأتباعهم عليه.. فما كان من إخناتون إلا أن هاجر من مدينة طيبة عاصمة الملك.. إلى تل العمارنة حيث بنى مدينته المقدسة ثم إذا سلمنا بأن إخناتون بعد أن عانى من عداء الوثنيين.. وتأمركه الكهان عليه عزم أمره على الرحيل من مصر إلى بلاد الله الواسعة مع أهله وخاصته من رجال دولته المؤمنين.. ولربما كان قد اكتشف مؤامرة تُحاك ضدهُ فى الخفاء.. أو أنه رحل بوحى من

الله..المهم أن إختاتون جمع زوجته وبناته الخمسة وربما كبير الكهان..والمخلصين من رجال الدولة وخرج بسفينة فرعونية طريداً ليبدأ رحلته إلى المجهول..فاذا سلمت بذلك فأنا أخالف صريح الآية القرآنية المقدسة التي تقول (أنا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا فَأَتَّبَعَ سَبَبًا) كما جاء في قول الله تعالى..نقطة أخيرة أود إضافتها..قالت الكتب والتفسير أن ذى القرنين قد ملك الدنيا من مشرقها إلى مغربها..إذن هذا لا ينطبق إطلاقاً على ملوك مصر القديمة لأنه لم يرد أبداً من قريب أو بعيد أنه يوجد ملك في مصر القديمة قد ملك خارج حدود مصر والسودان..وأى حكم خارج هذه الحدود لم أسمع وإن أحد سمع فليخبرنى.. ألبرت - حسناً حسناً هي أقاويل.

دان - سؤال يا مسترريحان..بعد أن بنى ذلك الرجل ذلك السد ليمنع هولاء القوم من الخروج لماذا لم يستطع جوج أن ينقبوا الردم أو يتسلقوه؟؟  
ريحان- ما قدروا أن يعلوا عليه لارتفاعه وانملاسه..وما استطاعوا أن ينقبوه من أسفله لشدته وصلابته فتقول الآية الكريمة (فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا) لأنه أملس مستوٍ مع الجبل..

دان- ونهاية السد في نهاية العالم..؟ ولن يستطيعوا الفكك منه إلا بانهباء العالم كما أخبرتنا؟

ريحان- أن يأجوج ومأجوج يخرقون السد كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال رئيسهم ارجعوا فستخرقونه غداً..فيعيده الله كأشد ما كان حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال رئيسهم ارجعوا فستحفرونه (إن شاء الله) فيعودون إليه وهو كهينته حين تركوه فيخرقونه ويخرجون على الناس.

نور- إذن فهم محكومين حتى ينطق أحدهم بكلمة إن شاء الله.

ريحان - سبحان الله..ولكنه الشيطان يا سادة.

دان-الشيطان..دائمًا ما تظلمون الشيطان بأرائكم يا بروفيسور..الشيطان لن يستطيع ملاحقة آلاف وآلاف من المجازر البشرية التي يرتكبها الإنسان يوميًا..أعلم يا سيدي أن الإنسان لا يقل سفكًا للدماء عن جوج..أرأيت الحرب ودمارها..؟هل سيصنع جوج وقت خروجهم أسوأ مما صنع بنو البشر؟

ريحان- لديك الحق في ذلك ولكن على الرغم من فظاعة جرائمنا فإنها جميعًا من صنيع الشيطان يا ولدي.

دان (مبتسمًا )- أنت يا سيدي لا تفرق دائمًا عن رجال الدين فتتكلمون بنفس الحجة والكلمات والمنطق..إذن فأخبرني يا مسترريحان سؤال خطير جدًا يجول بخاطري منذ فترة..طالما الشيطان هو سبب كافة النكبات..الشيطان عندما عصى ربه كما تخبرونا دائمًا..فمن كان شيطانه؟

ريحان- أتعلم من هو الشيطان الحقيقي لنا؟ إن كلمة نفس هي كلمة في منتهى الخطورة..وقد ذُكرت في القرآن الكريم في آيات كثيرة يقول الله تبارك وتعالى في القرآن المعظم (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَتَعَلَّمَ مَا تُوسَّوْسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ)

يا بني نحن نؤمن بالله عز وجل..ونذكره ونصلي في المسجد أو الكنيسة ونقرأ القرآن ونتصدق..وعلى الرغم من ذلك فإننا نقع دائمًا في الذنوب والمعاصي بصورة يومية أتندرى لماذا؟السبب في ذلك هو أننا تركنا العدو الحقيقي وذهبنا إلى العدو الضعيف..يقول الله تعالى في القرآن الكريم (إن

كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا) إذن العدو الحقيقي هو (النفس).. نعم.. فالنفس هي القنبلة الموقوتة.. يقول العلماء أن الآلهة التي كانت تُعْبَد من دون الله في أيام الجاهلية هي اللات والعزى وغيرها

فكل هذه الأصنام هدمت ما عدا إله مزيف مازال يعبد من دون الله.. ففى جريمة قتل قابيل لأخيه هابيل يقول الله تبارك وتعالى (فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ) أَرَأَيْتَ؟.. طَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ وَعِنْدَمَا تَسْأَلُ إِنْسَانًا وَقَعَ فِي مَعْصِيَةِ مَا وَبَعْدَ ذَلِكَ نَدَمٌ وَتَابٌ.. مَا الَّذِي دَعَاكَ لِفَعْلِ هَذَا سَوْفَ يَقُولُ لَكَ دَفْعَى الشَّيْطَانِ.

إن السبب في المعاصى والذنوب يا مستردان إما من الشيطان.. وإما من النفس الأمارة بالسوء فالشيطان خطر ولكن النفس أخطر بكثير.

ألبرت- دان.. دعنا من ذلك الآن بالله عليك ولنكمل ما جئنا.. من أجله.. توقفنا يا مسترريحان على قيامه ببناء السد.

دان- فلتتمسوا لى العذر.. فهمت من حديثك أن بنهية العالم سوف ينهار السد فهل هناك أى علامات أو مقدمات لحدوث ذلك؟

ريحان- من علامات يوم القيامة يا مستردان.. هو هدم سد جوج وخروجهم من ورائه وغزوهم للبلدان الإسلامية التي سينتشر فيها وقتها الظلم والفساد والقتل.. فكثير من أحاديثنا النبوية تدل على ذلك فلدينا فى الإسلام علامات صغرى لحدوث يوم القيامة وعلامات كبرى.. فأما الصغرى فحدث العديد منها ونحن الآن فى انتظار العلامات الكبرى والتي يبلغ عددها عشر علامات ومنها ظهور الدجال ونزول عيسى ابن مريم والداية وانهار السد المذكور وظهور جوج وهكذا.. وورد فى بعض النبوءات أن السد قد هُدمَ وخرج جوج من ورائه ولكن نرى فى أحاديثنا النبوية التي نعتد بها أن

خروجهم سيكون بعد ظهور المسيح عليه السلام طبقاً لترتيب علامات يوم القيامة.. ألا يحتمل أن يكون جوج لا يزالون وراء سددهم في مكان ما تحت الأرض لم ولن تصل إليه التكنولوجيا الحديثة إلى الآن.؟

دان- وفي القرآن وصف لكل ذلك كما ستخبرنا أعتقد.؟

ريحان- هل تعلم أن هناك من المعتقدات الإسلامية من يتحدث عن خروج جوج مرتين.؟ مرة من وراء السد ومرة في زمان عيسى عليه السلام بعد أن يقتل الدجال أما التوراة والإنجيل فقد ذكرا خروجهم مرة واحدة هي التي بعد خروج عيسى عليه السلام في تلك المعركة التي ستكون على أرض فلسطين في نهاية الزمان والتي أطلق عليها معركة هرمجدون.. في الإسلام تعرف هذه الحرب بالملحمة الكبرى حيث تستمر المعارك بين المسلمين والدجال وأتباعه وينتهي قتالهم بنزول المسيح من السماء.. وقتله للدجال ويقضى على جميع أتباعه من اليهود أيضاً.. وقتها ينهار السد ويخرج قوم جوج.

دان - ولماذا في رأيك تم ذكرهم مرة واحدة فقط إن لم يكن هناك اختلاف في المصدر المنزل منه.؟

ريحان- ماذا تقول يا بني.؟ حاش لله بذلك.. كل ما هنالك أنى أعتقد أن الخروج الأول سيكون لغزو البلاد الإسلامية ونحن على يقين أن هناك أيدى تلاعبت في التوراه وحدث بها العديد من التحريفات.. فقد تم إلغاء كافة النصوص الدالة على محمد النبي وأمتة جميعاً بل إن النصوص اختصت اليهود فقط كشعب الله المختار في نهاية العالم.

ألبرت - لم يثبت كلامك إلى الآن يا مستريحان وأعتقد أن الكثير من علماء اللاهوت قد أنكروا حدوث تحريف متعمد.

ريحان- لقد أنبأهم الله في توراتهم المزعومة باختيار واصطفاء أمة غيرهم من أبناء إسماعيل كما يتضح لنا من سفر اشعيا..والنتيجة أن تلك النصوص قد حُرِّفَت ونسبوا تلك الأمة إلى أبناء إسحاق ويعقوب..مما استلزم من حذف النبوءات الخاصة بخروج جوج من وراء السد لغزو الدول الإسلامية والقضاء على الإسلام..حتى لا يرد أى ذكر صريح لهذه الواقعة في التوراة ولا في الإنجيل يا سيد ألبرت والدليل الأخر هو أنه عندما ذكر خروج جوج في التوراة في سفر حزقيال وفي الفقرة أثناء حديثه عن الأمم التى سَتَغَيَّرُ عليهم في نهاية العالم لم يرد أى ذكر للمسيح ذاته مما يؤكد أن اليهود حذفوا كافة النصوص الواردة في نبوءات النبي حزقيال عن عيسى عليه السلام والمسلمين..وقصروا النبوءة فقط على شعب الله المختار اليهود فقط..دون كافة العالم لذا ستجد أنت أن جميع النصوص الموجودة تتحدث عن هجوم جوج على أرض إسرائيل فقط.

أما يوحنا اللاهوتى صاحب سفر الرؤيا يا سيدى فقد تحدث عن النكبات والغضب الذى سيلحقه الله بالأرض قبل مجيء عيسى وقسمها إلى سبع سنوات..حيث اخبرنا أنه في النصف الأول منها ستحدث مجموعه من الحروب والأوبئة والأمراض وتحل لعنة الله على الأرض ثم تأتى الثلاثة والنصف الأخرى فيظهر الدجال ويتحالف مع الصهاينة الموجودون.

نور- لا تقل لى أنهم من أبناء يهود الخزر؟

ريحان- معظم النكبات ولدت وستولد على الأرض من يهود الخزر يا بنى وإذا تتبعت أى صهيونى الآن ستجد أصوله تعود إلى مئات السنوات إلى تلك القبائل التى أطلق عليها يهود الخزر من تلك الجماعات التى وجدت في شرق أوروبا.

لاتنس أن اليهود يقصرون تلك النبوءات عليهم فقط وأن الخير سيحل عليهم بعد نزول عيسى وحذفوا أنه سيعم للأرض جميعاً وذلك لصلفهم وغرورهم..المهم سيسيطر الدجال على الأرض فيأتى عيسى مُخْلِصًا للأرض ويقضى عليه مع أتباعه من اليهود..ويملك عيسى كما قال يوحنا ألف عام يسود خلالها الأمان والعدالة والخير..وبعد الألف الأخرى تخرج لنا قبائل الجوج بتحريض من الشيطان ضد عيسى وأتباعه..وأخبرنا رسولنا الكريم أن نهاية جوج ستكون عند طور سيناء بينما تم تعديلها لتكون نهايتهم عند أورشليم..العجيب يا سادة أن اليهود لا يخدعوننا بل يخدعون أنفسهم فالتوراة مليئة بالنبوءات التى تتحدث عن نهايتهم المشنومة فتتحدث عما سيحدث لليهود من دمار وخراب وأذكر على سبيل المثال مقولة أخيرة من سفر النبي حزقيال (وتعلم الأمم أن بيت إسرائيل قد اجلوا بإثمهم لأنهم خانوني فحجبت وجهى عنهم وسلمتهم ليد مضايقيتهم فسقطوا كلهم بالسيف كنجاستهم وكمعاصيهم فعلت وحجبت وجهى عنهم)

ألبرت- سيدى البروفيسور..كن منصفًا..أعتقد أن دائمًا المسلمون فى كافة أنحاء الأرض ينظرون لليهود بنظرة ازدراء و يتهمونهم بما ليس فيهم؟

نور- أئى ازدراء يا مستر ألبرت..البروفيسور جبارى أخبرنا عن تاريخهم الأسود..فكل نكبة أو مصيبة تحدث أو ستحدث بالعالم سيكون اليهود السبب بها..أنسيت ما أخبرنا به الأب بوتشيليني عن اليهود الخزر؟

ألبرت- ها هو مسلم آخر يردد نفس حديثى يا دان..

دان- بل على العكس أنا على تمام الإقتناع بحديث البروفيسور جبارى عن كل ما يتعلق بهذا الموضوع ودور اليهود فى كل نكبة..بل ربما أكثر من بوتشيليني نفسه.

نور- أنا لست منحازًا..أتذكر قول بوتشليبي..؟أتذكر وعدكم المشئوم يا مستر ألبرت ودور بريطانيا القدر في نكبة فلسطين..أتذكر تلك المقابلات السرية بين حاييم وايزمان وبلفور...كن مُنصِّفًا يا عزيزي القس.

ألبرت- لسنا هنا للحديث حول اليهود أو المصائب التي يقومون بها.

ريحان- يا سادة ليس هذا موضوعنا فنحن سنتحدث في الغد عن مكان وجود السد وعن البعثات الإسلامية التي قام بها الخليفة العباسي من إرساله لبعثة خاصة للبحث في تلك الأماكن ..إلى متى ستظلون في ليون يا مستردان.؟

دان- أعتقد أننا للأسف لابد لنا من المغادرة مساء الغد..فسوف نرحل بالقطار حتى كالية ثم إلى المرفأ لنستقل الباخرة أوليفيا لنعبر حتى ميناء دوفر الإنجليزي.

ريحان – ولماذا كل هذه المشقة.؟

ألبرت- إنها الاموال يا عزيزي فلم يتبقى لنا أى سنت من أموال الرحلة وما تبقى لنا بالكاد نستطيع حجز تذاكر بالدرجة الثانية للعودة نهائياً إلى أوطاننا.

\* \* \*

obeikan.com

## الفصل السادس

( لا تخش الأفواه فسوف نُكَمِّمُهَا وسوف ترى آلاف من الشعب  
الساذج يبرر لك كل ما تفعله حتى لو قتلت نصفهم.. ابحث فقط  
عن هدف سامي وادعى أَنَّكَ تفعله)

obeikan.com

بعد اسبوعان بمبنى الرايخستاج الألماني

هرول الجنرال فيلهلم كايتل قائد وحدة الأبحاث العسكرية في وزارة الحربية الألمانية على الدرج حتى وصل إلى الطابق الرابع ومنه دلف إلى الممر الأول حتى وصل إلى المكتب الموجود في آخر الرواق وذلك على حسب الميعاد المُبْرَم بينه وبين جوزيف جوبلز وزير الدعاية السياسية والجنرال فون جلومبرج وزير الدفاع..لم يدخله الضابط مدير المكتب مباشرة بل انتظر أن يعطيا له الإذن ليدخل وذلك لاجتماع في الداخل بينهما..وبعد انتظاره في الغرفة الجانبية قرابه الخمسون دقيقة سمح له أخيرًا بالدخول.

جلس الجنرال على يسار جوبلز بإشارة منه والذي كان وقتها يناقش وزير الدفاع في عدة نقاط كان يدونها الأخير من خلفه..بينما كان قلبه يدق بشدة رعبًا من ذلك الرجل.

ذاك القصير جوبلز صاحب مقولة أعطى إعلامًا بلا ضمير أعطك شعبًا بلا وعي..والذي يعتبره الكثيرون الشيطان الأكبر والإنسان الأكثر شرًا في الحزب النازي..ربما أكثر شرًا حتى من هتلر نفسه..كان شخص قصير ونحيل جدًّا أعرج وعانى من العيوب منذ صغره..لكنه استطاع أن يعوّض ذلك بذكاءه ومكره الشديدين..حتى قُدِّرَ له أن يكون أحد أهم أعضاء الحزب

النازى..برغم أنه لا يستوفى الشروط التى طلبها هتلر فى العرق الأرى وهى الطول..قوة البنيان..زرقة العين..الشعر الأشقر.

أفاق الجنرال فيلهم كايتل من تأملاته فى وجه ذلك النحيل الذى يراه لأول مرة ويرى وزير دفاعه وهو يرتعد فعلياً أمامه وهو يتكلم بهدوء:

جوبلز- فى المرحلة القادمة لابد أن نتكاتف جميعاً عزيزى الجنرال..سوف نبدأ عدة خطوات على المستوى المحلى..سيتم فى المرحلة المقبلة إلغاء كل الجرائد التى تعارض سياستنا الداخلىه لنبدأ فى تكميم أفواه الصحافة والتخلص من كل الأقلام المعارضة..إننا فى حرب داخلية يا جلومبرج..يجب علينا فقط الإبقاء على بعض الجرائد اللى ستمجد هتلر والحزب النازى ولنصب فى أذان الناس كل يوم جرعة من الحقائق المزيفة والأخبار المغلوطة..إنى لن أدعى ذلك كذباً..إنى أعمل على مصلحة أعلى..ولا تخش الأقواه فسوف نكممها وسوف ترى الآف من الشعب الساذج يبرر لك كل ما تفعله حتى لو قتلت نصفهم..ابحث فقط عن هدف سامى وادعى أنك تفعله..بشتى الوسائل المسموحة واللا مسموحة..ادعى أن هناك أخطاراً خارجية وداخليه..ضع فى عقول شعبك أنك المنقذ..توحدوا خلف راية زعيمكم الملهم..أريد توحد ألمانيا كلها خلف هتلر..البلاد مليئة بالخونة والعملاء ولا بد من تطهيرها..فيجب إسكات كل من يعارض بل واعتقاله فوراً..حتى لو اتهمناه بالعمالة مع الدول الخارجيه..فهو فعلاً يريد هدم ألمانيا..وبعد ذلك ستأتى مرحلة الإعلام المرئى والمسموع بما فيها السينما..أتعلم أن هتلر وقع اختياره على بعض الفنانين مثل المخرجة الشابة ليبنى ريفينشتال لإخراج بعض الأفلام اللى ستبئى عراقة وعظمة النازية..وقوة وشجاعة هتلر..وكيف سيتم بناء ألمانيا العظمى خلفه.

جلومبرج- لكن سيدى لاتنس أن هناك رئيسًا للبلاد حتى هذه اللحظة..وقد لا يوافق على بعض الإجراءات التى...

جوبلز (مقاطعًا)-أنها مسألة أسابيع يا جلومبرج ولا تنس أنى سأختارك فى ذاك المنصب بعد تولى هتلر زعامه ألمانيا إننا لا ننسى حلفائنا للأبد.

جلومبرج- إنى رهن إشارتك دائمًا يا سيدى وأنا أضمن لك ولاء الجيش بالكامل للفوهرر..وكل قوات الفيروماخت..من اين تريدنى أن أبدأ.؟

جوبلز - سنبدأ من المدارس لىتم بث الأفكار بصورة أكثر كثافة وإتقان.. فى الصباح سيقف الأطفال ليلقوا التحية إلى قائدهم العظيم هتلر يجب أن يتعلم التلاميذ كيفية فك وتركيب واستخدام السلاح..يتعلموا الرياضات القتالية..يجب أن يتم تنمية رغبات ودوافع العنف والتعصب بداخلهم..وأهم شىء يا جلومبرج..أهم شىء..هو أن يتم زرع فكرة العرق الأرى السامى فمهم بقوة..الأطفال يومًا ما سيكونوا شباب هذه الأمة فيما بعد.

جلومبرج - والخطوة التالية يا سيدى .؟

جوبلز- التسليح..ألمانيا حتى الآن لا تملك قوات مسلحة قوية تحقق طموحات هتلر..لا توجد لدينا أى قوات بحريه..سلاح الطيران فى أضعف صورة..يجب علينا فى أقرب فرصة تكوين جيش كامل قادر على الغزو واستعادة كرامتنا يا جلومبرج..ولذلك علينا بجانب المضي قُدُمًا فى التسليح الإهتمام بالأبحاث العسكرية ولذلك استدعيت الجنرال كايتل ليخبرنا عن أهم ما وصل إليه من أبحاث..ما لديك يا جنرال كايتل؟

كايتل- سيدى إنه لمن دواعى سرورى....

جوبلز - ادخل في الموضوع مباشرة ولا داعي لنفاقك..

كايتل - هناك بعض الأبحاث التي أود أن أسرك بها يا سيدي.. أولها المدفع الكهربائي الذي تم تصميمه من قِبَل علمائنا كسلاح طويل المدى.. وهذا المدفع العملاق قادر على إطلاق ٧٥٠ قذيفة بقطر ٦ بوصات في الدقيقة على أهداف على مسافة ٩٠ ميل.. القذائف الكهرومغناطيسية كانت تنطلق فتسحب الصاروخ وترسله إلى طريقه معها.

بلومبرج - وما زال في مرحلة التخطيط أيضاً يا سيدي..

كايتل- ثاني مشروع هو الدبابة جوستاف يا سيدي وستكون أكبر دبابة في تاريخ البشرية.. وبالنسبة للمواصفات الخارقة لتلك الدبابة فإن وزن الدبابة الواحدة يصل لـ 1350 طناً وطول الدبابة الواحدة يصل إلى 47 متراً وبارتفاع يقارب الـ 12 متراً وأما عن فاعليتها فسوف تكون قادرة على إطلاق ذخيرة قادرة على اختراق 7 أمتار من الخرسانة المسلحة أو متر كامل من الفولاذ المضاد للمدفعية وسيتم تصنيع ذخيرة خاصة لتلك الدبابة.

جوبلز- ونحن في أي مرحلة الآن؟

بلومبرج- نحن في مرحلة التصنيع فعلياً يا سيدي.

جوبلز - التصنيع..!! عظيم.. وماذا أيضاً يا كايتهل؟

كايتل- الكثير يا سيدي ولكن أهمهم أننا سائرون على درب خلق الإنسان الألماني الكامل.. فنحن عن طريق علمائنا سوف نفاجئ العالم ونفاجئ الفوهرر بذلك.

بلومبرج (ملتفتاً إلى كايتهل) - أهنالك جديد في موضوع ذلك العالم البريطاني يا كايتهل؟

كايتل- نعم يا سيدى فهناك العديد من الخطوات التى أخذناها جديدًا فى هذا الشأن..وفى أقرب فرصة سوف ينضم أحد أهم عملائنا فى المنطقة إلى تلك البعثة الإنجليزية إن لم يكن انضم بالفعل..وهناك شيئًا آخر فقد وصل إلينا عن طريق عملائنا العديد من الوثائق الهامة التى كانت محفوظة فى الفاتيكان ويجب عرضها على الفوهرر شخصيًا..والتى ستبين دور يهود الخزر فى المنطقة يا سيدى.

انتفض جوبلز عندما سمع تلك الكلمة ونظر إلى كايثل بعيون نارية قائلاً:

- كايثل..فلتنس كل ما لديك وتخبرنى بكل ما تعرفه عن تلك الكلمة.  
تلعثم كايثل وهو يخرج الكلام من فمه ببطء:

- كل ما وصل ليدى هو تلك الوثائق التى توضح دور يهود الخزر فى الماضى ومعتقداتهم الحالية.. وتخطيطاتهم بخصوص المستقبل.. فلتعط لى مهلة يا سيدى لدراسة كل ما يستجد من عميلنا بالبعثة وسوف أطلعك شخصيًا على كل جديد.

جوبلز- أئى بعثه يا بلومبرج؟

بلومبرج- جنرال كايثل..فلتبدأ الموضوع من بدايته ولتخبر الهمر جوبلز بكل ما لدينا..

تنفس كايثل بهدوء لأول مرة وهو يمد يده ليتجرع كوب من الماء بيد مرتعشة حتى يحاول أن يجمع شتات نفسه وهو يبدأ فى الحديث:

- بدأت القصة يا سيدى عندما بدأ أحد العلماء الإنجليز بالبحث عن أصول الإنسان الأول..

\*\*\*

أما في الشهر التالي فلم يكن للرجال الثلاث أى عمل يقومون به بعد أن نفذت كل الأموال التي كانت معهم..ألبرت حاول أن يقترض من أصدقائه في الكنيسة وعندما فشل في الحصول إلا على بضعة مئات من الباوندات يأس وعاد مرة أخرى إلى تلك الأسقفية في كانتربري ليمارس درسه الديني أيام الأحاد..

ودان بعد أن أنفق كل مدخراته في تلك الرحلة لم يتبق لديه إلا الضئيل جداً فعاد مرة أخرى إلى الجامعة ليكمل عامه الدراسي بعد أن علم بنية الجامعة بفضله لتغييره الدائم والمستمر.

أما نور نفسه فكان أتعسهم حظاً فلم يكن لديه ما يكفي لحجز تذكرة طيرانه إلى بلاده مرة أخرى ولم يجد ما يسد به رمقه حتى قبل أخيراً بوظيفة حارس أمن ليلي في أحد المتاجر حتى يدخر نفقات سفره رافضاً أى مبالغ منهم لتيسير سفره وهذا ما أخبرهم به قبل أن يختفى شهراً كاملاً.

وفي صباح تلك الأيام الممطرة في لندن عندما دلف دان إلى مكتبه تفاجئ بوجود روزاليندا في انتظاره..حاول بقدر الإمكان إسكات قلبه الذي بدأ يخفق بعنف بمجرد رؤيتها حرصاً على ما تبقى من كرامته المفقودة لكن تلك الكرامة هوت إلى الأرض بمجرد أن صافحها قائلاً بلفهة:

- عزيزتى روزى كم اشتقت إليك..أى رياحٍ طيبه ألقته بكِ إلى مكتبي المتواضع قاطعة كل تلك المسافة؟
- ( مقاطعة ) بل أين أنت يا دان..؟لقد اتصلت بكِ مرارًا ولا يعلم أحد أين كنت..كان يجب عليكِ إخبارنا بما حدث فور عودتكِ ولا تجعلنا نشعر بالقلق لهذه الدرجة.
- لا أصدق أذنى..؟ أحققاً شعرتِ بالقلق على..؟
- دان لا تغير الموضوع من فضلكِ أخبرنى بكل ما رأيته وعلمته.

- الآن؟ أنا في طريقى لإلقاء أحد المحاضرات ما رأيك لو تناولنا العشاء سأخبرك بكل ما صادفناه في رحلة الفشل تلك بمجرد سفرنا للفاتيكان.
- فشل!!..
- نعم لا تتعجلى سأخبرك بكل شىء في المساء.. أين تقيمين يا روزى؟
- غلينديل هايد بارك.
- حسناً سأوافيك هناك تمام الساعة مساء.
- حسناً لا تتأخر لأنى سأضطر إلى السفر في الصباح الباكر.
- لا أعتقد ياروزى أنك قطعيت فعلاً تلك المسافه لرؤيتى فقط والإطمئنان على.. يبدو أن ورائك شيئاً ما.
- لا تتعجل أنت يا دان.. ستعلم كل شىء في حينه.

\*\*\*

- وفي تمام الثامنة كان دان يتناول عشائه مع روزاليندا.. ويقص عليها كل ما حدث لهم.. وهى فى أشد حالات الذهول عن كل ما صادفوه.
- ولكنى أعتقد يا دان أن سفركم مرة أخرى بهذه العشوائية لن تصلوا بها إلى أى شىء.
- أنا معك بل وأقول ما الفائدة التى ستعود علينا فى حاله حتى إيجاد تلك القبائل؟ هل سنستطيع مثلاً إحضار أحدهم إلى عالمنا الحاضر.. إنها مجرد ترهات يا روزى.
- إنى اتكلم عن الطريق نفسه المفترض أن تسلكوه.
- لقد أطلعنا البروفيسور جبارى على تلك الرحلة التى قام بها أحد مبعوثى خليفة من خلفاء المسلمين بحثاً عن ارض السد.. ولكنه عاد

بِخُفَى حُنَيْنٍ..وَأَلْبِرتَ مُصِرّاً على السفرِ إلى التبتِ الصينية ويرى أن حل  
اللغز يكمن هناك تبعاً لتلك النبوءة التي أخبرنا بها بوتشلينى .

- بمناسبة بوتشلينى ألم يصلكم أىّ أخبار عن من قام بقتله أو سرقة  
المفتاح المقدس؟

- لم يحدث ولم يبلغنا أىّ أخبار..ما الوضع يا روزى؟ أعتقد أن لديك  
شيئاً ما تودين أن تخبرينى به ولكن ليس لديك الجرأة.

- لا شيء مما فى خيالك..أنا فقط أمر بالعديد من الإخفاقات فى تلك  
الأبحاث التى أقوم بها..دان اعذرنى فعلى أن أرحل الآن فأنا متعبة.

- ولكننا لم نتكلم فى أىّ موضوع سوى تلك الرحلة الحمقاء..و..

- فى المرة القادمة سوف أجلس معك لتخبرنى بكل ما تريد أن  
تقوله..وسأحاول أن أنصت إليك..ولكنى أتمنى ألا يكون قلبك كالعادة.

وقامت من كرسيها وامتدت يدها لتأخذ حقيبتها وهى تشير لدان مُودِعَةً  
دون حتى أن تنتظر ما كان يحاول أن يتلعثم به.

وجم دان من حديثها ولكنه استرد أنفاسه..بحث بأيدى مرتعشة عن  
سجائره..تذكر أنه توقف عن تناولها منذ فترة..ضاقت أنفاسه مرة أخرى  
..وأشار إلى النادل..

وانصرف..

\*\*\*

فى صباح اليوم التالى كان دان فى أشد حالات الضيق من مقابلاته مع  
روزاليندا بالأمس وبمجرد وصوله إلى الجامعة وجد أن البروفيسور ديفيد  
جونسون رئيس الجامعة يستدعيه لأمر هام..وما أن دلف إلى مكتبه حتى  
استقبله بترحابٍ مُبالَغٍ فيه وهو الرجل الذى كاد أن يطردهم من مكتبه

منذ عدة أسابيع..اندهش دان من هذا التصرف لكنه رحب به هو الآخر على حذر حتى أخبره بديفيد عن السبب:

- لن تصدق يا بروفيسور دان لقد حصلت لك أخيراً على داعم.
- داعم؟ لست أفهم يا بروفيسور جونسون.
- يا عزيزي الم تكن أنت هنا والبروفيسور ألبرت في طلب دعم مادي من الجامعة للإنفاق على الرحلة البحثية التي كنتم ستقومون بها؟
- (قفزدان من على كرسيه صائحاً بفرح ) ماذا تقول..؟ داعم؟ كيف ذلك يا سيدي؟ كيف تمكنت من ذلك ؟.
- الأمر بسيط جداً كل عدة سنوات يأتي إلي الجامعة العديد من الأغنياء طالبين تقديم معونات نقدية للطلبة ومعونات للأبحاث العلمية التي تقوم بها الجامعة..ومنذ عدة أيام وصل إلى مكتبي مدير أعمال أحدهم وعند مقابلي له أخبرته بفائدة بحثكم وأخبرته بكل ما أخبرتموني به..فطلب مني أن أمهله عدة أيام وبالأمس فقط اتصل بي السير تشارلز شاؤل وطلب مني أن يقوم بدعم بحثكم بتمويل كامل.
- سير؟ ما تلك الأقدار..سير ويقوم بتمويل بحثنا بالكامل..مهلاً هل اسمه تشارلز شاؤل؟
- هل تعلمه شخصياً أم ماذا؟
- لا يا سيدي ولكن هل هو يهودي؟
- لا أدري بالطبع..ولكن هو سير وهذا اللقب لا يُعطى بسهولة.. وبالغرض أنه يهودي ألدك مشاكل في التعامل معه يا دان؟ أعتقد أن مسألة الأديان تلك أنت آخر شخص قد يتكلم عنها.
- ليس ذلك يا سيدي ولكن هناك أحد أعضاء البعثة مسلم ويبدو أننا قطعنا شوطاً طويلاً وعلمنا منه أن هناك أيادي قادرة لليهود في ....

- دان.. ليس لى شأن بأمركم الداخلية.. وانتظر حتى أُكْمِلَ حديثي..  
الرجل طلب منى شرطان حتى يقوم بصرف كل ما ستتكلّفونه..أول  
تلك الشروط مقابلته لكم جميعًا يوم الأربعاء القادم تمام الساعة  
العاشرة صباحًا في قصره في غرب لندن.

- والأخر..؟

- لا أعلمه..قال لى ستعلمونه في حينه كل ما يريد هو السرية فقط وألا  
تخبر أى شخص خارج فريق بحثك بسفرك أو تنقلكم خارج بريطانيا..  
- إنى في منتهى السعادة يا سيدى ولا أدرى كيف أعبر لك عن شكرى.  
- ليس هناك أى داعى لذلك فكل ذلك سوف يُنسبُ في وقتٍ ما إليكم  
وإلى الجامعة..ومن الآن أنت في إجازة مفتوحة بكامل الأجر حتى تنتهى  
تمامًا من تلك المهمة كما تبغون.

- أعدك يا سيدى سوف أكون عند حسن ظنك دائمًا.

وخرج سريعًا من مكتب رئيس الجامعة وهو يندهش من تغير حاله شخصيًا  
وحال رئيس الجامعة وهو يسأل نفسه عن سبب تحقق تلك الدعوة..تلك  
الدعوة التى دعاها في نفسه أثناء وقوفه في ساحة القديس بطرس أمام  
تمثال مريم المقدسة أتكون قد تحققت.. تلك كانت أولاهم وإذا تحققت  
أيكون هناك فعلا...؟

\*\*\*\*

في اليوم التالى كان الرجال الثلاثة مجتمعين في حديثه الهاید بارك بعد أن  
أخبرهم دان تليفونيًا بمقابلة الأمس مع رئيس الجامعة..وعلى الرغم من  
دهشتهم الشديدة من تلك الطريقة التى هبط بها عليهم هذا الممول من  
السماء..إلا أنه كالعادة وكما توقع دان كان أشدهم عنْدًا هو نور فرفض

في بداية الأمر أئ تعاون معهم..ولكن دان لَمَحَ له أنه ليس له أئ فائدة في تلك الرحلة وعليه أن يرحل إن كان يريد ذلك..أما هو وألبرت سينهون ما بدأوه..حتى وإن كانوا يسعون وراء سراب..يكفى فقط أنه يخوض تجربة أخيرة لإثبات نفسه في شئٍ ما..لا أحد يدري تحديداً ما الذي كان يدور بخاطر دان بعد أن أصبح تَوَاقفاً إلى إنهاء تلك المهمة والتي بدأت منذ فترة..ولكنه بعد مقابلته لروز أول أمس شعر أنه لا يقوم بأى عمل ذو أهمية بحياته وحتى حبه لها فشل في تحقيقه ولذلك كان مُصِراً على إتمام الموضوع مع ألبرت بعد انصراف نور غاضباً من طريقة حديث دان معه..لكنه أخبرهم أنه سيكون في الموعد تمام العاشرة بعد غد في موعدهم المنتظر.

\*\*\*\*

وبالفعل لم تمض ثمانٍ وأربعون ساعة حتى كان الجميع يجلسون في حديقة القصر في الموعد المحدد..استقبلهم أحد الخدم الذي أرشدهم إلى مكان فسيح بجوار ملعب قديم للتنس..وفوجئوا بوجود شخص في أواخر الأربعينات من العمر يرتدى ملابس كلاسيكية وكأنه في انتظارهم وبيديه دفتر بسيط يدون به بعض الملاحظات.

استنتج الجميع أن الرجل ربما كان أحد المساعدين للسير تشارلز وخاصة عندما استقبلهم بترحاب هو الآخر..على الرغم من أن الكل قد انقبضت قلوبهم بمجرد رؤيته..وخاصة نور الذي كان ينظر إليه في حيرة شديدة..امتدت يديه مشيراً لهم بالجلوس مُتَعَلِّلاً بأن السير تشارلز لديه مكالمة هامة وهو في طريقه لنا الآن.

وبالفعل لم تمض عشر دقائق حتى وصل إليهم شخص عجوز قصير القامة أصلع الرأس..أجدع الأنف مما تشير هيئته بديانته على الفور.. وبالفعل قفز الشخص الغامض إليه ماذا له يده بترحابٍ مُبالغ فيه ليستند على عضده حتى أجلسه على أحد الكراسى الواسعة..وأشار لهم السير بالجلوس وتحدث بعد أن حيَّاهم مباشرة في الموضوع:

- لقد تحدثت مع البروفيسور ديفيد رئيس جامعتكم وأخبرني بأهمية البحث الذي تقومون به في.... في..

أردف الرجل الغامض مباشرة :

- في أصول الإنسان الأول ياسير تشارلز..وعلاقة الجوج بالإنسان الحديث وكيفية تناقل العوامل الوراثية لنقل إنسان مُقاومٍ للأمراض. نور) بامشئزاز-) كان ينقص البروفيسور ديفيد أن يقص عليك الأمر بِرُمَّتِهِ..يبدو أنه صديقك الخاص يا سير شارلز.

- لا..إنني لا أعلمه على المستوى الشخصي كل ما هنالك أن هناك بعض الأصدقاء المقربين لى يعلموا أنى سنويًا أتبرع بجزء من أرباحي إلى الجهات الخيرية وبخاصة دعم بعض المنح الدراسية في جامعة اكسفورد..وقد اقترحوا اسم بروفييسور دان تحديداً وبالتالي تحدثت مع عميدكم على الهاتف فأخبرني ببعض المعلومات البسيطة وعند محادثتي لهؤلاء الأصدقاء أخبروني الموضوع بأكمله.

دان- أصدقاء!!من هؤلاء الذي يقترحون دعم رحلتى كاملاً يا سير تشارلز؟

تشارلز- ليس من اتفاننا أن أبوح لك بكل الأسرار يا مستر..

دان- دان يا سيدي..ولكن هل اشتهرت إلى هذه الدرجة حتى يكون..

تشارلز (مُقاطِعًا)- لا تتحدث كثيرًا فأنا لدى العديد من الإرتباطات وإن كان الشرط الأول لتمويلي بعثتكم قد تحقق فإنليكم الشرط الآخر.

- ألبرت- تفضل يا مستر تشارلز ونرجو أن نستطيع تحقيقه.
- تشارلز- لا تقلق هو في أيديكم..يا سادة إن شرط تمويل بعثتكم الوحيد هو إلحاق المستر بن أوليفر إلى بعثتكم.(واشار إلى الرجل الغامض)
- نور - ماذا؟
- ألبرت - هل مستر أوليفر عالم يا سيدى.؟ نحن لا نرفض بالطبع ولكن قد يكون هناك بعض الصعوبات والتي..
- تشارلز- هو ليس بعالم ولكنه صحفى من أحد الجرائد التابعة لى ومهمنى شخصيًا أن يتم كتابة كل خطوة فى بعثتكم حتى وإن كانت ليست ذات أهمية..لأنه سوف يتم طرح هذه المغامرة فى الجريدة والحديث عن هذا الإكتشاف لتحقيق سبق صحفى هام جدًا سيستمر الجميع فى الحديث عنه فتره كبيرة من الزمان.

تحدث بن أوليفر يهدوء- لن أسبب لكم أى مشاكل يا سادة إننا فقط نود أن نطمئن أن السير تشارلز سوف يتقاضى أضعاف ما سيتم إنفاقه على بعثتكم..إنه أمر تجارى بحت..ولكن انظروا للفائدة أنتم ستحصلون على رحلتكم ونحن نحصل على مغامرة إلى أرض جوج.

دان- وماذا إن لم نصل إليهم.؟

بن- دعنا من هذا الحديث الآن فكل شىء سيكون فى أيدينا وسوف نجعل القارئ يتشوق إلى أحداث رحلتكم المقبلة.

نور- وما المطلوب منا حاليًا؟

بن - لا يوجد أيّ مطالب كل ما هناك أنكم ستجعلوني أطلع على كل المعلومات والبيانات والتفاصيل المُملة التي قمتم بها خلال الشهر السابق..أدق التفاصيل قد تجعل القارئ يُقبلُ على القصة ذاتها.

دان - أنت صحفى أم روائي أم قاصّ يا مستر بن؟

بن (مبتسمًا ابتسامة لم ترق لهم على الإطلاق)- أنا جندي سابق يا سيدي وصحفي ومُحرّر بجريدة السير تشارلز حاليًا وأكتب رواية عن قوم جوج وأتمنى أن نمد يدنا بالمساعدة لكي يكتب لنا النجاح جميعًا.

ألبرت- بإذن الرب سوف...

تشارلز(هَبَّ واقفًا مما دعَى بن لمد يد المساعدة اليه)- حسنًا يا سادة أعتبر تلك هي موافقتكم وأنا الآن لدى ارتباطات هامة سأترك لكم المستر أوليفر لترتيب كل خطواتكم.

وابتعد السير تشارلز شاؤل تاركًا الجميع وهم في دهشة من ذلك الأسلوب الفظّ في معاملتهم.

بن - والآن يا سادة هل لكم أن تخبروني عن كل ما صادفتموه منذ رحيلكم عن الديار الشهر الماضي.؟( وبدأ في مسك قلمه انتظارًا منهم أن يبدأ أحدهم بالحديث)

نور- قبل ذلك لي سؤال شخصي.

بن - تفضل يا سيدي.

نور- هل أنت يهودي.؟

بن- يهودى؟ لا يا سيدى أنا مسيحي كاثوليكي ولكنى أعمل عند السيرتشارلز وهو رب نعمتى..ومعنى أنى أقوم بمساعدته وخدمته أحياناً لأنى أعتبره فى مقام والدى فهو صديق قديم له ولا زال يذكر عرفانه.

نور- إذن هل والدك يهودى؟

بن - ما فائدة تلك الأسئلة يا مستر؟

ألبرت - لا أبدياً مستر بن السيد نور مسلم وأنت تعلم أن هناك حساسية بين المسلمين واليهود منذ وعد بلفور منذ خمس عشر عاماً..

نور- بل منذ آلاف السنوات يا سيدى القس..لأدرى كيف تستقى معلوماتك..سؤال أخيراً مستر أوليفر..أوافق أنت أننا لم نلتق قبل ذلك فى مكانٍ ما؟

بن- لا أعتقد ذلك..فأنا لا انسى الوجوه أبداً..ولكن قد أتشابه مع غيرى.

نور- الآن اعذرانى عن تلك المقابلة سوف أنتظركم فى الفندق بعد تلك النزهة لتخبرانى متى وأين يمكننا أن نرحل.

وودع الجميع وبينما كان ألبرت قد بدأ يقص على بن ما مر به كان الأخير يودع نور بنظرة لمحها دان ولم ترق له على الإطلاق..وقتها خاف أن يشعر بالندم فى وقتٍ ما لإشراك بن فى تلك البعثة..بينما طافت فى ذهنه عشرات التساؤلات..عمن يكون قد أخبره بكل تفاصيل الرحلة البحثية ورضها وما كان يقوم به ألبرت..؟ أتكون تلك لعبة أخرى من الحكومة الألمانية..؟ وإن كانت منهم فكيف يكون السير يهودى وهم يتعاملون مع الشيطان نفسه دون اليهود..؟ وتشارلز شاول هل يكون يهودى أيضاً أم تلك خدعة هى الأخرى..؟وبالفرض لم تكن للمخابرات الألمانية أيادٍ فى الموضوع فهل بعد

كل هذا الجهد سَيُنسَب النجاح إلى جريدة يهودية وشخص يهودى..وهذا الصحفى البغيض الذى لم يَرُقْ له أبداً ويشعر أنه يُخْفَى آلاف الأسرار وراء تلك النظارة السميقة التى يرتديها..

\*\*\*\*

ومساء اليوم كان نور ودان مجتمعان فى أحد المقاهى فى وسط لندن يناقشان ما حدث فى الأيام الأخيرة دون ألبرت الذى كان يعانى من أحد نزلات البرد الحادة.

- لست أدرى يا دان يبدو وكأنى رايته فى مكانٍ ما لكنى لا أتذكره..إن خوفي ألا يكون انجليزياً من الأصل..رغم لكنته الواضحة وبروده الإنجليزى المعروف المتَوَارَث فى أناس تلك البلاد..اووه اعذرنى يا دان.
- لا عليك أنا الآخر لست مُتَقَبِّلُهُ بتاتا..وأشعر بِغُصَبِهِ فى حلقى كلما تحدثت معه..ولكن الرجل لم ينطق ببنت شفة قد تكشفه وحديثه معنا كان يتعلق بالصحافة..فقد أخبرنا عن تاريخه واعتزاله الجيش من بعد ويلات الحرب حيث كان فى الشمال وقابل العديد من قوات الألمانية وعانى مثل غيره الكثير من ويلات الحرب.
- بمناسبة ألمانيا هل علمت ما يحدث الآن هناك؟
- لا يا نور لست متابعاً الأحداث هناك ..
- كما أخبرتكم لقد استخدم هتلر كتيبة العاصفة شبه العسكرية فى دفع الرئيس هيندينبرج نحو تقديم استقالته.
- ومن الحاكم إذن .؟
- نائبه لحين إجراء انتخابات ولكن هتلر سيستمر فى مخططه نحو عزل نائبه سياسياً.

- بمناسبة الألمان.. ألم ترى أيًا من الرجلين الذين حاولوا القبض عليك؟
- لا والحمد لله.. ولكنى إلى الآن لا أعرف من هم.. ولكنى لم يعد لدى شعور بأنى مُرَاقَب.. أخبرنى متى سنرحل إذن.. فلا يجب أن نتنظر طويلاً.
- فى مطلع الأسبوع القادم لحين ترتيب أماكن الرحلة والإتصال لتجهيز دليل سياحى صينى معنا.. وسنطلع مرة أخرى على تلك الخرائط القديمة التى حصلنا عليها من جبارى..
- تذكر أنه يجب علينا زياره مُقَاطَعَة ننيغشيا حيث كان مكان معسكرنا البحثى.. مع البحث فى الكهوف بالمنطقة حيث عثر ادوارد على المخلوق.
- عظيم جدًا لقد كدت أن أنسى ذلك..

\*\*\*

فى صباح اليوم التالى داخل بهو الإجتماعات فى وزاره الداخلية الألمانية وقف جوبلز بقامته القصيرة داخل المقر الصحفى للوزارة لإلقاء بعض التصريحات الهامة التى اجتمع فيها مع العديد من الصحفيين وأبرز أعضاء الحزب النازى والكثير من رجال الجيش والشرطة.. كان الجميع يصفقون لكلماته الرنانة التى دامت قرابة العشرون دقيقة وفى النهاية بدأ العرق يسيل على جبهته وهو ينهى خطبته قائلاً:

- رفاق الحزب.. الحكومة الجيدة لا يمكن أن تستمر بدون دعاية جيدة والدعاية الجيدة لا يمكن أن تكون دون حكومة جيدة.. كل منا يحتاج دعمًا من الآخر.. حتى لو الصحف اليومية اليهودية ما زالوا يعتقدون أنهم يمكنهم تخويف الحركة الوطنية مع تلك التهديدات المستترة.. حتى لو يعتقدون أن لديهم إذن للتحايل على مرسوم الطوارئ لدينا..

(وبدأ في رفع نبرة صوته مما أثار الجميع وبدأوا في التصفيق الحاد) وأردف صارخًا بتلك النبرة:

- إن ظننت الصحف اليهودية أنها تُخيفُنَا بتلك التهديدات الخفية فمن الأفضل أن يحترسوا.. إذ أن لصبرنا حدود.. وذات يوم سنغلق تلك الأفواه اليهودية الكاذبة والقدرة.. يا أعضاء الحزب لا تقلقوا فنهاية الرعب الأحمر أقرب ما تتصورون.. أيها الشيوعيون توقعوا أن تلقوا أسوأ هزيمة أُحِقَّت بكم يومًا ما.

وظل قُرَابَةَ العشر دقائق في صراخه حتى أنهى خطبته أخيرًا وسط هتاف العشرات بالنشيد الوطني ألمانيا فوق كل شيء.. فوق كل شيء في العالم.

كانت الوزارة كلها في ذلك الصباح يملأها التوتر وذلك لزيارة جوبلز غير المتوقعه للإجتماع مع الهر فيلهم فيريك وزير الداخلية والجنرال ارنست روم قائد قوات العاصفة المُؤَلِّيَّة لهتلر والعديد من القيادات الأمنية وأبرز أعضاء الحزب النازي.. وذلك بعد إلقائه للخطاب وفقًا لما تم التخطيط له داخل أروقة الحزب النازي من ضرورة الوقوف وراء هتلر وتصعيده لمنصب رئيس الجمهورية الألمانية.. وعلى ذلك كان الإجتماع داخل مكتب وزير الداخلية متوترًا فكان جوبلز يتحدث قرابة الخمس عشر دقيقة وفيريك يسجل ما يقوله على ورق أمامه.

جوبلز- وعلينا في الفترة القادمة تكريس العمل أكثر داخل أروقة الحزب. سوف نتقدم للرايخستاج (البرلمان الالماني) بمشروع قانون التمكين.. والذي سيعطى لرئيس الوزراء هتلر السلطة الكاملة في إدارة البلاد وإصدار قرارات بدون الرجوع للرايخستاج لمدة أربع سنوات قادمة.. مهما كانت خطورتها وذلك خوفًا على مصلحة البلاد..

فريك- ولكن ذلك سيكون مُخَالِفًا للدستور يا هر جوبلز وقد نجد مشقة في موافقة البرلمان وحصد الأصوات على ذلك..

جوبلز- يا عزيزي فريك أود تذكرك أن الحزب النازي لم يحصل على الأصوات المتوقعة في الإنتخابات الأخيرة والتي دعونا إليها بعد حريق الرايختساج.

فريك- وكيف ستحصل على أصوات بالموافقة من بقية الأحزاب يا سيدى وخاصة الوسط.؟

جوبلز- لنا طرقنا يا فريك لا تقلق..وبعد ذلك سوف نقوم بعدة إجراءات يجب أولاً أن تعى ذلك يا جنرال ارنست روم بصفتك قائد قوات كتيبة العاصفة فسوف يكون لكم دورًا في التصعيد سوف أخبرك به لاحقًا.

كان الجنرال العملاق مُحمَلًا في السقف غير عابئ بحديث جوبلز وعندما سمع اسمه نظر لجوبلز بكل احتقار قائلاً :

- كلنا فداء ألمانيا يا جوبلز وأنت تعلم مدى ولائنا..ولا داعى لعرض كل ما نقوم به على هتلر ففى النهاية ينصب العمل لدولتنا العظيمة.

قاوم جوبلز غضبًا هائلًا وحاول أن يتمالك نفسه من الرد على الجنرال المتكابر المثلى ولكنه تغاضى عن حديثه تنفيذًا لأوامر هتلر لاحتياجهم الشديد له فى المرحلة المقبلة ونظر ناحية وزير الداخلية قائلاً :

- أما الأهم حاليًا فسوف ألقى بعبء تنفيذ بعض التعليمات عليك يا فريك وعلى قائد قوات الجيش .

فريك- ما طبيعة تلك الأوامر يا سيدى.؟

جوبلز-يا سادة فى خلال عدة شهور قادمة سوف نعلن بداية عصر جديد..سوف نصدر العديد من القوانين ضد الأنجاس اليهود..وستكون هى

المرجع الرئيسي في ترحيلهم أو اعتقالهم وتعذيبهم وإعدامهم في الكثير من الأحيان.

ارنست روم- لا أنت على خطأ..أنت تعلم يا جوبلز مدى كراهيتنا لليهود ولكن ألم يكن من الأجدر الإهتمام بتسليح الجيش وتكوين الأسطول البحري ثم نقضى على تلك الفئة الضالة فيما بعد.

جوبلز- بل أنت الذى لا تعلم ذلك الدور القذر الذى يقومون به منذ آلاف السنين ودورهم الخسيس في الحرب الفاتحة..ودورهم في كل نكبة تحل بالعالم..لقد أخبرنى الزعيم شخصيًا بأنه تَحَصَّلَ على أوراق هامه تدل على دنائة هؤلاء القوم..وتدل على خستهم وأثارنى بالعديد من المواقف التى حدثت في العالم وكان اليهود ورائها وخاصة تلك الفئة التى تنتمى إلى يهود الخزر..وقيام حركتهم الماسونية التى تهدف إلى القضاء على كل ما يخالفهم والتحكم في العالم بعد عشرات السنين..وإظهار أنهم شعب الله المختار في أرضه..فبعد قرانته تلك الوثائق وتأكده من كل حرف جاء فيها كان علينا أن نُخْلِصَ ألمانيا منهم أولاً..القضاء عليهم كفتران وإن استطعنا أن نعدمهم من على وجه الكرة الأرضية لفعلناها يا ارنست..وغير كل ذلك أنسىت دورهم القذر في الحرب الماضية..لذلك قبل كل شىء علينا القضاء على تلك الحشرات إلى تنخر في عظام ألمانيا حتى نستطيع العلاج من الصفر.

ارنست- لا زلت مُصِرًّا أنك وهتلى على خطأ.

جوبلز- أهم القوانين التى سَيُقَرُّهَا الزعيم بمجرد تولى زعامة ألمانيا هو قانون الجنسية وَسَنُلغِي حق المواطنة من اليهود وإسقاط جنسياتهم الألمانية..وكذلك قانون حماية الدم والشرف الألمانى الذى سَيُلغِي أَى علاقة بين اليهود وغيرهم من الألمان..بمنع الزواج وحتى العلاقات الجنسية بين اليهود..ومنع عمل الخادماات اليهوديات في منازل الألمان والعكس..

فرانز هيرمان ( عضو الحزب النازى) - وما الهدف من تلك القوانين يا سيدى.؟

جوبلز -الهدف من القوانين هى إقامة خلفية تشريعية وسياسية لكره اليهود واضطهادهم والفصل التام اجتماعيًا وقانونيًا بين اليهود وباقي الشعب الألماني..

فرانز- هناك ما هو أهم من ذلك..يجب التحديد فى تلك القوانين من هو اليهودى كفرد وليس كْمُسَمَى..

جوبلز- عظيم يا فرانزها قد بدأت تؤتى ثمار أفكارك..نعم فلنقل مثلاً أن اليهودى هو أى شخص يكون الجد الثالث أو الرابع من أصله يهودى فهو يهودى أيضاً..حتى لو كان هذا الشخص لم يمارس العقائد اليهودية منذ سنين أو حتى لو كان هذا الشخص قد تحوّل للمسيحية أو أى ديانة أخرى.

فيريك - سوف تعمل القيادة الألمانية يا سيدى كل جَهْدِهَا للتخلص من اليهود بكل الطرق الممكنة سواء بترحيلهم إلى الخارج وطردهم أو بإنشاء العديد من المعتقلات لإلقاءهم فيها.

جوبلز- ما فى رأسى هو أسوأ من ذاك ولكن فى وقته يا فيريك عندما أعطى لك الإشارة..سنبدأ فقط من الآن فى مصادرة أموالهم وتحويلها لفقراء الشعب الألماني وحرمان هؤلاء الهمج من كافة الحقوق السياسية والاجتماعية.

\*\*\*\*

obeikan.com

## الفصل السابع

( كل منا لدية نقطة ضعف.. لكن شروخنا وضعفنا معًا هي من  
تصنع حياتنا بطريقة عجيبة ومثيرة .. يجب علينا جميعًا أن نتقبل  
بعضنا البعض على ما نحن به وننظر لما هو حسن لدينا )

obeikan.com

بعد الإجماع في قصر السير تشارلز شاول بإسبوعان كان الأربعة رجال في طريقهم من بكين إلى أحد القلاع الموجودة في سور الصين العظيم بعد أن وصلوا أول أمس بعد رحلة طيران مُضْنِيَّة توقفوا فيها في ثلاث بلدان مما جعلهم يستقرون في أسرَّتْهم لم يفارقوها إلا بعد عشرون ساعة كاملة.. كان إقامة ألبرت وبن أوليفر في غرفة ضيقة بينما احتل دان ونور الغرفة المقابلة لهم في أحد فنادق بكين الرخيصة الأمر الذي اثار استياء نور لكون منفق الرحلة يهودى.. وبذلك سيكونوا في أسوأ وأرخص الأماكن ولكن ألبرت أقنعه بأن ذلك هو المتاح وإلا لظلوا في بريطانيا يندبون حظهم للآن.

كانت الرحلة تستغرق قرابة الساعتين في طريق الصعود ناحية تلك القلعة للإتجاه سيراً إلى سور الصين العظيم.. لياخذهم مرشدهم السياحي إلى أحد زعماء المقاطعة للحديث حول السد لأن لديهم من الأسئلة ما عَجَزَ هو عن إجابته.. وطوال الطريق كان ألبرت يقرأ في الإنجيل كالمعتاد.. بينما استغرق بن أوليفر في كتابة بعض الملاحظات لرحلتهم وتدوينها.. أما دان فكان يتطلع إلى الخرائط التي معهم.. ونور يتطلع من بعيد إلى ذلك السور الذي يعتبر من أعظم ما صنع الإنسان.. نظربن أوليفر تجاه نور وحاول أن يتودد إليه قائلاً:

- هل تعلم أنك تنظر إلى اعظم ما صنع الإنسان على وجه الأرض؟ إننا بعد دقائق سنقف أمام أعظم بناء في العصر القديم هذا السور اشترك في تشييده مليون ونصف المليون جندي ومدنى..وليس هناك مواد بعينها تم تشييد السور منها..ففى المناطق الصحراوية مثلاً تم تشييد السور من مواد مكونة من الصفصاف نظرًا لقلّة الصخور والطوب الأصفر..أما فى مناطق هضبة التراب فُبئى بالتراب المدكوك أو الطوب غير المحروق لكنه لا يقل متانة عن السور غربى الصين وتوجد قنوات لتصريف المياه والأمطار بشكل تلقائى على قمته..والتي تتيح للزائر رؤية أجمل المناظر الطبيعية معطية فرصة للتأمل والصفاء الذهني..لقد كنت هنا منذ سنوات ووقفت مشدوهاً أمام تلك العظمة.

- أُدرِكُ بعضًا من ذلك ولكنى لم أتوقع أنه بهذا الطول..

- من بكين يمكنك أن تراه..ولكن رحلتنا إلى تلك المقاطعة والاستراحة التي هناك سوف تجعلنا نصعد فوقه..أتعلم هناك مَثَلٌ فى الصين يقول أنت لست رجلاً حقيقياً إذا لم تذهب إلى السور العظيم وهذا السور يمر بتضاريس جغرافية مختلفة ومعقدة حيث يعبر الجبال ويخترق الصحراء ويجتاز المروج ويقطع الأنهار..وللسور نفسه قصة تحكى ذكاء الصينيين القدماء وعظمتهم فهو أطول بناء فى التاريخ على الإطلاق شُيّد كله يدوياً..تخيل!!

- إن الجبال وتلك الوديان التي تغطيها الخضرة والتي تمتد إلى ما لا نهاية تثير فى النفس الكثير من الهدوء الذى طالما نقصنا فى الفترة الماضية.

دان ( بعد أن تدخل فى الحوار) - تلك هى الصين..إنها أكثر البلاد روحانية فى العالم..أنت لم تر شيئاً مقارنه بالتبت الصينية والتي فى جدول نهاية رحلتنا..هناك سترى السلام النفسى الحقيقى..

ابتسم لهم لى ماو يونج المرشد الخاص بهم وأشار لهم بإنجليزية واضحة نحو طريق ملء بالتماثيل:

- هنا يا سادة مرقد أباطرة أسرة مينغ..وسوف نزور ذلك الممشى المقدس بمجرد انتهائنا من رحلة السور وذلك لأن الرجل المطلوب هو الحكيم شونج يان حارس تلك الأضرحة المقدسة..وأعتقد أن لديه الإجابة على تساؤلاتكم فيما يتعلق بالموضوع الذى أثرته يا مستر ألبرت..وبعد حوالى نصف الساعة سوف نكون فى أحد القلاع بجوار السور وأود أن ألفت انتباهكم أنه إلى الآن لم يتم فتح الموقع كأثر سياحى..إنما يقتصر الأمر على بعض الرحلات الترفيهية.

ألبرت- أخبرنى يا مسترلى لماذا فى طريقنا وجدت أن هناك الكثير من أجزاء السور مُهدّمة؟

لى- هذه حقيقة يا سيدى فإن ما يقرب من ثلث سور الصين العظيم قد اختفى بشكل كامل بسبب عوامل عدة أهمها التآكل الطبيعى والتخريب البشرى المُتعمّد.

نور- مُتعمّد؟ ومن يقدر على هدم هذا الأثر النادر؟

لى- السور يتعرض للسرقة من قبل بعض القرويين..بهدف استخدامها فى بناء بيوت جديدة..وفى بعض الأحيان يتم بيع أحجار للسياح بأسعار زهيدة بصورة غير قانونية..وأتمنى أن يأتى يوماً ما يعاقب القانون الصينى كل من يقوم بسرقة أحد أحجاره.

سكت الجميع وتطلعوا من النافذة إلى تلك المساحات من الأراضى الصينية الخضراء والى تمتد فى بعض الاحيان إلى مالا نهاية حتى وصلوا بعد فترة بسيطة إلى المكان المفترض نزولهم فيه..كان هناك العديد من الشباب

الصيني من مختلف الأعمار في القلعة القديمة نفسها..أخرج بن أوليفر الكاميرا التي بجودته وبدوا جميعًا رحلة الصعود إلى السور..كانوا وقتها في منتصفه تقريبًا..فهو يمتد من خلفهم عشرات الكيلومترات ويرتقى أسفل أقدامهم ثم يصعد لأعلى الجبال ويتلوى معها.

ألبرت - لقد جاء هذا السور بالفعل تعبيرًا عن اسم الصين وشعبها..إنه مثل تين خرافي قادم من قلب أساطير هذا البلد.. ترتفع الجبال فيرتفع معها..تنبسط الأرض فينخفض معها بلا تردد..جزء منه من الصخور وجزء آخر من الخشب..فهو جاء خير معبر عن البيئة التي يسير فيها.

لى - بالفعل يا سيدى كل ما تقوله حقيقة فهو في حد ذاته شيء عبقري..عبقرية السور لم تأت أبدًا من مجرد عملية التشييد التي تحدث عوامل الزمن والطبيعة فقط..ولم تأت من أن الصينيين تفتقت عبقريتهم غير العادية في ابتكار وسائل وآليات لتقوية وتثبيت أحجار السور عن طريق استخدام حياء الأرز في بعض الأماكن مما جعله صلبًا ومنيعًا..بل جاءت من كون بناء هذا السور جاء تعبيرًا عن أخطر مشروع دفاعى ونظام قيادى عسكرى متكامل لم ينتبه له الكثير.

استكمل الجميع الصعود إلى استراحة في وسط السور..وهناك وجدوا غرفة واسعة من غرف الحراسة حيث جلس الجميع على تلك الكراسى الصخرية الموجودة بالداخل وهم لا يزالون مشدوهين من عظمة البناء.

أشار لى إلى الناحية الأخرى من السور قائلاً:

- السور نفسه ليس مجرد سور واحد فقط بل هو سورين المسافة بينهما حوالى عشرة أمتار وفي الوسط درجات من أحجار الجرانيت الصخرية وعرض كل سور منهما حوالى متر كامل..كل سور يمتد من

أرضية الجبال الواقف فوقها لحوالى سبعة أمتار تقريباً بينما هو من الداخل غير مرتفع بسبب وجود درجات الجرانيت المرتفعة..وكل عدة أمتار يوجد برج مراقبة..البرج شاهق فى الهواء أعلى من السور..وبه فتحات للمراقبة والدفاع..ها ما رأيكم..أنستمر فى رحلة الصعود إلى الجبل حتى نقطة الحراسة القادمة؟

بن - السور الذى سنصل له لن يختلف عن السور الموجود فى أى منطقة يتلوى فيها..سيكون بنفس الشكل ونفس الهندسة المعمارية والمقاسات ولن يختلف شئ عن بقية السور الممتدة عبر الأميال الأخرى سوى نوع مواد البناء التى تتفق وطبيعة البيئة التى يمتد فيها السور..أليس كذلك يا مستر لى؟

نور - ما قصة بناء السور يا مستر لى إنك لم تخبرنا حتى الآن بذلك.؟

لى - هذا ما كنت سأخبركم به هناك تاركاً لكم المجال حتى تتخيلوا عظمة الصانع ولكن بما أننا لن نذهب إلى هناك فدعوني أخبركم بعظمة الأجداد. وقام من على كرسية الحجرى واقفاً فى منتصف غرفة الحراسة وكأنه ممثل على خشبة المسرح وبدأ فى الإشارة بذراعيه قائلاً:

- كانت بلدان الصين وما جاورها فى قديم الزمن ممالك متحاربة فيما بينها..لكل مملكة حدودها التى لو غفل عنها حكامها يوماً فقط لأغار عليها حكام الممالك المجاورة لها وضموها إلى أراضيهم فى غارات مستمرة..أو حتى تلك القبائل المتوحشة التى تعيش على السلب والنهب..وكان هناك الكثير من تلك القبائل التى تعيش على السرقة والإستيلاء على القرى المجاورة وترتكب بأهلها أشنع الافعال..ولهذا لجأت كل مملكة إلى بناء الأسوار الفاصلة بينها وبين الممالك الأخرى..أحياناً كانت أسوار جيدة وكثير منها بدائى..ولبعض تلك الأسوار

أبراج مراقبة وحراسة لحمايتها وإنذارها بهجوم أعدائها..ويقال أن هذه الأحداث وُجِدَتْ في القرن السابع قبل الميلاد وعندما وحد تلك الممالك الإمبراطور الأول من أسرة تشين في سنة 221 قبل الميلاد..ربطت تلك الأسوار والقلاع ومدت حتى بلغ طولها ألفى كيلو متر..وقد استخدم في ربطها وتمديدها قرابة مليون شخص هلك منهم أعداد كثيرة..وفي عهد أسرة (هان) أضافت إلى السور خمسمائة كيلو متر أخرى من جهة الغرب حتى وصل إلى مقاطعة قانصو..وكان مبنياً من الحجارة والطين..ثم اندفع المغول الذين كانوا من ألد الأعداء والذين شيد السور لصددهم عن الهجوم على الصين..فتخطوا السور وقلاعه..واحتلوا الصين وحكمتها أسرة (يوان) حيث سقطت هذه الأسرة أخيراً واستولت على الحكم أسرة (مينغ) التي شيدت بناء السور في مناطق أخرى من جهة الشمال..لتوسع بذلك حدود الصين شمالاً حتى تجاوزت بعض مناطق السور القديم..وهذا هو السور الموجود أمامكم اليوم.

بن - إذن تم تشييده من الأصل لصد هجوم القبائل المغيّرة؟ لماذا لا يكون هذا هو سد ذو القرنين يا لى وتكون القبائل المغيره هي قبائل جوج؟

نور - بالطبع لا يجوز ذلك.

لى- ليس لى علم ببعض المعتقدات الدينية يا سيدى وأعتقد أن عند الحكيم شونج القصة سيكون لها طعم آخر.

نور- وبالنسبة لأسرة مينغ هل هي ذات الأسرة التي سنمر على مقابرهم في طريقنا إلى الحكيم شونج؟

لى - نعم سنمر في طريق مقابر أسرة مينغ المقدسة..وهي مكان من أروع ما يكون.

دان - أعتقد أن أى مقابر هي مكان ليس بهذه الروعة يا مستر لى.

لى - سترى يا سيدى..إن الروعة في شعورك بالقدسية والمهابة بمجرد سيرك على الطريق المقدس وهم على جانبيه.

دان - إذن هل نتحرك الآن؟

لى- بالفعل سنتحرك وعلينا البدء في النزول حتى لا نتأخر على الحكيم شونج يانج.. لأنه يبدأ في سباته عند حلول الظلام.

ألبرت - إذن هيا بنا وأعتقد أن النزول لن يكون سهلاً كصعوده..ويبدو أن الإرهاق سيبدأ من بعده.

لى - لا تقلق.. فقد رتبت أمراحتكم الليلة بعد هذه الرحلة المتعبة.

وبالفعل بدأ الجميع في النزول الغريب في الأمر أن الهبوط كان قاسياً للغاية وهو أمر بالفعل أثار دهشتهم لأنهم لم يشعروا بهذا التعب أثناء صعودهم أما السبب الذي أخبرهم به لى أن درجات السور الموجودة بين السورين الممتدين في الهواء عالية وليست منبسطة بما يسمح للشخص بالنزول مستريحاً..ولكى تمهبط لابد أن تمسك بشيء يسند جسدك حتى لا تسقط..ولذلك أحيطت جوانب السور بالحديد..

وبعد فترة كان الجميع بالسيارة التي بدأت طريقها إلى مقابر أباطرة أسرة مينغ المقدسة..وبعد فتره من الوقت توقفت السيارة على مسافة بسيطة عنها وقال لى أن عليهم النزول والسير على الأقدام نظراً لمنع السيارات من السير في تلك المنطقة لقدسية المقابر..انفرد لى بالسائق وأفهمه أن ياتي في صباح الغد ليقلمهم من ذات المكان.

سار ألبرت بهدوء وهو يتأفف مما يحدث له فقد أصبح يجد مشقة في السير رغم أن لى أخذ حقيبته ليحملها بدلاً منه.. واستند في طريقه إلى المقابر على يد لى والذي كان يسير في هدوء وخشوع وكان يتمم بصلواتٍ ما في رأسه.. وبعد قُرابة الخمس عشر دقيقة وصل الجميع إلى بوابات المقبرة المفتوحة.. كان المنظر العام فعلاً يوحي بالروعة والقدسية.. فهناك بعد البوابة الفرعية للدخول وجدوا العشرات من التماثيل على مرمى البصر.. وبالقرب منهم توجد عدة تماثيل للنتين الصبني مصطفة على الجانبين في ممشى يصل إلى عشرات من الأمتار.. سار الجميع بالفعل مشدوهين من روعة المكان بينما كان بن يقوم بالتصوير في كافة الإتجاهات أما أكثرهم خشوعاً فكان لى.. والذي بدأ يتكلم في خفوت وهم يسرون بجوار تلك التماثيل الحجرية بعد أن طلب منهم الهدوء والسكينة التامة.

- هنا يا سادة تقع مقابر أسرة مينغ.. عند سفح جبال تيان شوه حيث دُفن ثلاثة عشر من أباطرة مينغ.. ولذلك فإن تلك المقابر معروفة في اللغة الصينية بالقبور الثلاثة عشر.. وهي شئ مقدس في تراثنا الصبني وتنتشر المقابر على مساحة يبلغ محيطها أكثر من 40 كيلومتراً.. وبالقرب من هنا سوف نمر على المقبرة الأولى لاسرة مينغ والتي بناها الإمبراطور الأول لاسرة مينغ تشو يوان تشانغ لأجداده في بلده سى تشو القديمة.. وحسب السجلات التاريخية فإن مقبرة أجداد الإمبراطور الأول لاسرة مينغ كانت مُحاطة بثلاثة حوائط وثلاثة جسور بها وآلاف من القصور والمكاتب الضخمة و..

دان (مقاطعاً)- دائماً يختلط الأمر علىّ يا مستر لى كلما سمعت أسمائكم.. فاعذرني أشعر أنكم جميعاً متشابهون في الحجم والإسم وحتى الوجه..

لى - ما علاقة ذلك بما أقوله يا سيدى؟

دان - لا عليك..لا عليك ولكن فى المرة القادمة حاول أن تتحدث ولا تذكر لى أى أسماء حتى لا أفقد التركيز.

وبالفعل ما هى إلا دقائق حتى وصلوا إلى مكان فسيح تراصت فيه عدة تماثيل عملاقة منحوتة من الصخر للعديد من الأشخاص.

لى - هنا أيضاً تقع آثار مقبرة سىاو لأسرة مينغ وبسبب أضرار الأمطار والرياح والحروب التى استمرت ستمائة عام دمرت كافة القصور ذات الهياكل الخشبية.

كانت الساعة تشير إلى الرابعة عصرًا..وعلى الرغم من ثقل ما يلبسونه إلا أن شعورهم بالبرد كان طاغيًا..وبعد عدة دقائق من السير وسط تلك التماثيل لاح فى الأفق معبد صغير على شكل كوخ..وما هى إلا لحظات حتى وصل إليه الجميع ليدخلوا ساحته..كان هناك العديد من الفلاحين فى مدخله يرتدون زيًا موحدًا أخبرهم لى أنهم خُدام المعبد...سألهم عن الحكيم شونج فأخبره أحدهم أنه جالس فى الناحية الخلفية للمعبد.

سار الجميع خلف لى حتى وصلوا إلى الفناء الخلفى الذى تراصت به العديد من الكراسى الخشبية بجوار السور أما فى وسطه فقد شيدت برجولة خشبية وفُرِشت الأرضية ببعض السجاجيد المصنعة يدويًا وبألوان وزخارف مبدعة ويجلس عليها رجل مسن وبجواره عدة أطفال..وما أن رآه أحدهم حتى اقترب من العجوز ليخبره بوجود زوار فأشار إليهم بالإنصراف عندما رأى لى الذى اقترب منه وحياه وجلس إلى جواره وقدم له الجميع.

شونج يانج- وصل لى رسولك بالأمس يا لى وأخبرنى أن هناك بعض السادة لديهم استفسارات عن تاريخنا القديم..وها أنا ذا أمامكم فأخبرونى بكل ما لديكم .

لى - ها هم سيدى لكن اعذرنى فسوف أقوم الآن لأشرف على طعام الغذاء لنا جميعاً حتى أنال شرف مشاركتك للوليمة..أستاذك الآن.

وبالفعل خرج لى من الفناء بينما اقترب أحد الخدم بصينية كبيرة عليها بعض الأكواب المليئة بالماء وفوقه عدة أنواع من النعناع الاخضر الجبلى..كان ألبرت هو من يتولى زمام المبادرة مع الحكيم شونج فأخبره باقتضاب أنهم يقومون بالبحث عن بعض أصول الجوج وهل هناك علاقة بين السد العظيم وقبائل الجوج؟

بن - بالفعل يا مستر شونج يتبادر إلى ذهنى تساؤل منذ رأيت السور..وهو لماذا لا يكون هذا هو السور المنشود وأن جوج فى مكانٍ ما خلفه أو أسفله أو أيًا كان.؟

شونج - إن فى عائلتى العديد من المسلمين يا سيدى وإذا كنت تعلم بعض تعاليمهم فسوف تنكر تمامًا أنه السور المنشود.

ألبرت - إن أحدنا هنا مسلم يا سيدى وهو السيد نور وهو يُجزم تمامًا أنه ليس السور المنشود.

شونج - عظيم فلتخبرنا برأيك يا سيد نور عن استحالة كونه المقصود.

نور- يا مستر شونج نحن هنا فى الصين لتخبرنا أنت ولتَقصَّ علينا أنت بمفهومك الصينى عن ما نريد أن نعلمه.

شونج - نعم لديك الحق..قطعاً أن سور الصين العظيم ليس هو سد جوج للعديد من الأسباب وأولهما هو اختلاف تاريخ بناء كل من السور والسد..والآخر أن من بنى السد شخصية معروفة..وهو ذو القرنين الذى يذكر المؤرخون أن اسمه كورش الذى ذكرت قصته فى قرآنكم الكريم..يا سيد نور

نور- ولكن ليس كورش هو من قام ببناء السد لعدة أسباب فيجب أن.. ألبرت (مقاطعاً) - دعك من ذلك الآن يا نور فلتكمل يا سيد شونج.

شونج - أما بناء سور الصين العظيم..فهم أباطرة الصين الذين تتابعوا على مر العصور..وقد ذكر أجدادنا الأسر الحاكمة التى بدأ بناء السور فى عهدها والأسر التى انتهت بناء السور فى عهدها أيضاً..لذلك فإن تاريخنا محدد ومعلوم.

ومن الأسباب كذلك أن سد جوج لم يقم ببنائه أهل البلد الذين تضرروا من هجوم عدوهم وهم قبائل الجوج..بل كانوا عاجزين عن القيام بذلك..ولهذا استعانوا بنى القرنين فى بنائه.

أما سورنا العظيم..فقد بناه أباطرة الصين أنفسهم لحماية ممالكهم.

دان- ومن الأسباب أيضاً اختلاف مواد بناء كل من السد والسور..فمواد السد كانت من قطع الحديد والنحاس..أما مواد سوركم فهى مختلفة. شونج- نعم فقد كانت أولاً من الحجارة واللبن..ثم أصبحت كما هى موجودة الآن.

نور- ونقطة أخيرة أخرى أن السور به العديد من المناطق المُهدَّمة والغير مبنية بعكس سد ذو القرنين الذى لن يُهدم إلا في آخر الزمان..وهذا لا شك في أن سور الصين العظيم لا صلة له بسد جوج.

شونج- نعم هو لا علاقة له بالفعل..والآن علينا أن نتناول طعام الغداء ثم سيكون لنا حديث آخر..

(ومد يده بجواره لياخذ جرسًا ما صغير الحجم ورجَّه يمينًا ويسارًا )  
وما هي إلا عدة دقائق حتى حضر العديد من الخدم يحملون الصواني التى تراصت عليها الأطباق الممتلئة بالوجبات الصينية الشهية..ولكن كان من العسير أن يتذوق بعضهم هذا الطعام المجهول بالنسبة لهم إلا بعد أن أخبرهم لى بمكونات كل طبق من الأطباق الكثيرة التى لم يتناولوا منها إلا الأرز المقلى وكور الدجاج والخضار وطبق الفيتوتشيى الذى أعجب نور ودان جدا..بينما جلس شونج فى وسطهم لا يتناول إلا طبق وحيد به حساء أخضر اللون خاص به.

بعد الغداء غسل الجميع أيديهم فى صوانى أتى بها الخدم مع بعض القوارير من ماء الورد..وما هي إلا دقائق أخرى حتى كان الجميع يتناولون الشاي الصينى بطعمه المُمَيِّز وهم يستندون على بعض الوسائد القطنية..وقتها شعر الجميع بالوخم بعد أن سرى الطعام الدسم فى أوصالهم.

كانت الساعة تقترب من السادسة مساءً وبعدها يحل الظلام خلال الأربعون دقيقة المتبقية ولعدم وجود أى تيار كهربائى بالمعبد فسوف يذهب شونج ورفاقه إلى النوم لذلك كان عليهم أخذ كافة التفصيلات التى كانوا يريدونها من الحكيم قبل نومه..بدأ شونج فى تناول الشاي بمنتهى الهدوء ولم يقاطعه أحد وكأنهم أثروا على أنفسهم التمتع بتلك الطبيعة الساحرة

والهدوء النفسى..كان المشهد العام يوحى بالخمول وخاصة عندما بدأ تصاعد البخور فى المعبد وتلاوة بعض الخدم ترانيمهم بصورة خافتة..ساد السكون مع بداية دخول الليل..وما هى إلا دقائق حتى راح الجميع فى سُبَاتٍ عميق.

لم تمض سوى ساعة أو يزيد حتى أفاق دان مذهولاً مما حدث..

دان - ما هذا البرد؟ أين أنا..؟ بل أين الحكيم شونج..؟ وكيف نمنا طوال هذه المدة..؟

أفاق الجميع على صوت دان فتمطأ ألبرت ونظر نور إلى ساعته فوجدها تشير إلى الساعة والنصف..بينما جذبت أصواتهم أحد الأشباح البعيدة عنهم بمسافة وهو يدخن سيجارته فما لبث أن أطفأها واقترب منهم بهدوء حتى تبين لهم أنه لى:

- إنه الهدوء يا مستر دان الذى جعلك تنام هذه الساعة..هيا علينا الصعود إلى غرفكم فى المعبد حتى لا تشعرون بالبرد..فهنا الصقيع قارص وبداخل أسرتكم سوف تشعرون بالدفء تفضلاً معى.

وبالفعل سار الجميع خلفه بهدوء وكأنه يحفظ المكان عن ظهر قلب فدخل من أحد الأبواب الجانبية ولم يضطر إلى الإلتفاف حول المعبد وما لبثوا أن تبين لهم وجودهم فى المطبخ وبعد عدة أمتار دلف إلى اليمين وهم خلفه..صعدوا سلم من خمس درجات ثم اقتربوا من عدة غرف على الجانبين..وهنا فتح لى أحد الغرف وأشعل أحد المصابيح القديمة وأشار إليهم قائلاً:

- مستر ألبرت ومستر بن هنا أسرتكم..أما فى الغرفة المقابلة ستكون أسرتكم يا مستر دان ومستر نور.

دخل الجميع إلى الغرف وأشعل دان المصباح القديم واخفت ضوءه وهو يقول لنور:

- إنها الثامنة فأخبرني كيف سنقضى ليلتنا الطويلة هذه حتى الصباح؟
- لا أدري أنا عن نفسي سوف أغمض عيناى وأنا واثق أنها مجرد دقائق حتى أذهب فى سبات عميق.
- ستنام؟ أبعد كل هذه الأحداث يا نور؟
- أئى أحداثٍ يا دان؟ أشعر أن هذا الموضوع أقرب لنا كرحلة ساحلية منها إلى بعثة اسكتشاف.
- هذا ليس من شأننا..فها أنت ترى أن الوصول إلى تلك القبائل يكاد يكون مستحيلاً.
- إن كان مستحيلاً فكيف وصل مسترادوارد؟
- انتم تقولون أنكم بحثتم يا نور فى مئات الكهوف المحيطة بالمكان ولم تجدوا أى أثر أليس كذلك؟
- نعم لكن ربما حالفنا الحظ وعثرنا نحن يا دان..ولا تنس أننا اقتربنا كثيراً من الأسرار التى لم تكن معلومة لنا من قبل.
- أعتقد أنها ليست أسرار بقدر ما أنها موجودة فى الكتب الدينية وأئى متابع أو شخص دينى سوف يكون على دراية بكل ذلك..هى نقاط فقط أنت تجمعها وتضعها على الكلمات.
- ماذا تقول؟ شخص دينى؟ وكتب دينية؟ ارى أن من داخلك تميل أحياناً إلى التعقل والتفكر بالله الكون يا دان..أنت طيب يا صديقى ولكن هناك بعض المكابرة بداخلك.
- أتدرى يا نور..لا أقول أنى أشعر بشيءٍ ما مختلف..وأكد أتحوّل إلى شخص آخر لا أدري ما هو..وكل ذلك نتيجة موقف ما..أتذكر عندما كنا فى كنيسة القديس بطرس وقفت أمام تمثال السيدة العذراء..حين كان هناك العشرات من الأشخاص يبتهلون ويتضرعون..تسائلت

أ يكون كل هؤلاء على خطأ وأنت يا دان على صواب..توقفت أمام  
نفسى ودعوت أنا الأخر ثلاث دعوات..منها أننا كدنا أن نياس..كنا  
مفلسين..تائبين..ليس معنا ولا بنس ومع ذلك مستمرين فى  
طريقنا..ودعوت أن نستطيع استكمال ما بدأناه..وفجأة تحققت  
الدعوة بأن وجدنا ممول لرحلتنا.

- وما الدعوتان الأخرتان؟

- ستجدهما فى حينهما يا نور لا تقلق..

قهقهه نور وأردف - أنا عن نفسى أعلم واحدة منهم..

- صدقنى ليست كما تبدو يا صديقى..ليست كما تبدو..سأهبط إلى  
الفناء الخلفى فالليل هنا طويل جدًا ولن أستطيع النوم قبل خمس  
ساعات على الأقل..أتهبط معى؟

- لا سأخلد إلى النوم..لقد تعودت فى الجيش النوم بمجرد حلول  
الظلام..

- كنت أظن أنك لم تختلط بالجيش وعملها يا نور..أنا لم ألتحق به  
أبدًا

ولم يُجب نور فقد ذهب بعدها فى سبات عميق.

هبط دان إلى الاسفل مستخدمًا قداحته حتى وصل إلى الفناء الخلفى عن  
طريق المطبخ..أشعل سيجاره كان قد اقترضها من لى وتنفسها بعمق ورغبة  
شديدة..كان الجو شديد البرودة فذهب إلى البرجولة ليجلس ويحتمى تحتها  
حتى ينتهى من سيجارته ولكن فزع عندما وجد شخصًا عجوزًا جالسًا  
القرفصاء على أحد الوسائد شارد النظرات ومحددًا فى المجهول..اعتذر  
دان على اقتحام خلوة الرجل لكن لدهشته الشديدة رد عليه الرجل  
بانجليزية واضحة.

- لا عليك يا مستردان أنا في جلسته سكون مع الرب الاعظم وإن كنت تسمح لى سأجلس فى هدوء ولن يصدر منى صوتاً.
- أنا الذى يجب أن أعتذر لك يا سيدى لاقتحامى تلك الخلوة..ولكن كيف لك أن تعرف اسمى؟
- لقد كنت معكم فى جلسة الحكيم شونج..لكنك لم ترانى وحضرت كافة مناقشتكم.
- تهمد دان - أتمنى أن تمر تلك الأيام على خيرفأنا فى أشد حالات الحيرة يا...ما اسمك يا سيدى؟

- تشيو تشونغ نى..يا ولدى..لكن قلبك هو ما يتعبك وليس عقلك؟
- قلبى .؟ كيف لك أن تشعر بذلك؟
- قلبك يا ولدى هو من يتعبك وليس عقلك..
- نعم سمعت.. فهو من يجعلنى أشعر دائماً وكأنى شخص مُشوّه..شخص ليس له أى فائدة من الدنيا..ليس له أهمية لدى أحد..لا يقدر حتى على إنشاء علاقة عاطفية..أحاول جاهداً أن أتواصل مع كل من حولى لكن الفشل هو ما أُحصِلُهُ فى النهاية..حاولت كثيراً أن أقوم بعدة أشياء ذات أهمية لكن دون فائدة..لذلك سأقاتل فى سبيل إنجاح تلك المهمة.

لم يلتفت إلية العجوز وهو يتحدث ولكنه نظر إلى الأفق وأردف:

- كان عند امرأة صينية مُسنَّة إنائين كبيرين تنقل بهما الماء..وتحملهما مربوطين بعمود خشبى على كتفها..وكان أحد الإنائين به شرخ والإناء الأخر بحالة تامة ولا ينقص منه شىء من الماء..وفى كل مرة كان الإناء المشروخ يصل إلى نهاية المطاف من النهروبه نصف كمية الماء فقط ولدة عامين كاملين ظلت السيدة على هذا المنوال حتى تصل إلى منزلها

بإناء واحد مملوء ونصف الآخر فقط..وبالطبع كان الإناء السليم مزهواً بعمله الكامل والإناء المشروخ محتقراً لنفسه لعجزه عن إتمام ماهو متوقع منه..وفى يوم من الأيام بعد عامين من المرارة والإحساس بالفشل تكلم الإناء المشروخ مع السيدة الصينية:

- أنا خَجَلٌ جدًّا من نفسى لأنى عاجزولدى شرخ يُسَرِّبُ الماء على الطريق إلى المنزل .

فابتسمت السيدة الصينية وقالت له:

- ألم تلاحظ الزهور التى على جانب الطريق من جهتك وليست على الجهة الأخرى ؟ كنت أعلم تمامًا بالماء الذى يُفقد منك ولذلك غرست البذور على طول الطريق بجانبك حتى تروىها فى طريق عودتك للمنزل ولمدة سنتين متواصلتين قطفتم من هذه الزهور الجميلة لأزين بها منزلى..مالم تكن أنت بما فيك ما كان لى أن أجد هذا الجمال من حولي..

يا ولدى كل منا لديه نقطة ضعف..لكن شروخنا وضعفنا معًا هى من تصنع حياتنا بطريقة عجيبة ومثيرة..يجب علينا جميعاً أن نتقبل بعضنا البعض على مانحن به وننظر لما هو حسن لدينا.. ونتنفس عبق الزهور التى بجانب الطريق.

- ولكنى مُتَعَبٌ يا سيدى..ولا أجد أىّ طريق للخلاص.

وقف العجوز مقتربًا منه ووضع يده على قلب دان قائلاً:

- هنا الحل..دع قلبك يسطع بنور الحقيقة وقتها سينير الطريق لخلاصك.

\*\*\*\*

- دان..دان هل جنتت ؟ هيا استيقظ.؟ (قالها نور وهو يرح يدان الذي وجده نائمًا أسفل البرجولة الخشبية)

أفاق دان فاتحًا عينيه في غشاوة..فوجد نور الشمس يكاد يسطع على الفناء الخلفى للمعبد فوضع يده على عينية قائلاً لنور :

- نور؟ كيف غفوت هنا.؟ وكيف جئت إلى هنا ليلاً.؟
- أتسألنى أنا يا دان.؟ كل ما أذكره دخولنا غرفتنا وحديثك عن شعورك بالأرق وما هي إلا دقائق حتى ذهبت أنا في نوم عميق لم أستيقظ إلا على يد أحد الخدم يوقظنى لمقابلة الحكيم شونج..وعندما لم أجدك إلى جوارى أخبرنى أحدهم أنه وجدك نائمًا في الفناء الخلفى.
- نعم لقد تذكرت..كانت ليلة عجيبة يا نور وقابلت شخصية في منتهى الغرابة ولكن كلامه قد مس قلبى بالفعل.
- من الذى قابلته بالأمس..الحكيم شونج؟
- لا لا شخص آخر..عزافًا كان أو ساحرًا لا أدرى..لكن في وجوده شعرت بتجيل ومهابة لا حدود لها..أخبرنى أين ألبرت وبن.؟
- ألبرت ذهب لتلاوة صلواته في الغالب..والأخر لتصوير بعض التماثيل..
- يبدو كذلك يا نور فيها هم أتيا من خلفك وبن يحمل كاميرته كالعادة..
- يا ربى يا دان ..كم أمقت ها الرجل المسمى بن..

وما هي إلا عشر دقائق حتى وصل إليهم الحكيم شونج بعد أن أدّى صلواته الصباحية وجلس حيث الأمس..نظر دان إلى حاشيته فلم يجد العجوز وكاد أن يسأل عليه لكنه توقع أن يكون مازال نائمًا في هذه الساعة..بدأ ألبرت حديثه عن مكان جوج الحال..وعن تلك النظريات الصينية الموجودة منذ القدم.

شونج - أى نظريات تقصد يا سيد ألبرت ؟

ألبرت - نظرية الأرض المجوفة وما يهمننا أكثر هي نظرية الشامبالا تحديداً.  
شونج - برزت نظرية الشامبالا عند احتكاك الحضارة الشرقية بحضارتكم  
يا سيدى..فتلك النظرية تعتبر من أدق الأسرار في الثقافة البوذية ولم ولن  
يطلعك عليها أحد..لأنها تعتبر من المقدسات في التبت..وتعنى كلمة شامبالا  
أرض السلام والسكينة..وهى فكرة أتت من أرض التبت..وتتناول مخلوقات  
مثالية تعيش لتبخر الدرب لتطور البشرية..وتحكي الأساطير أنه لا يعيش في  
شامبالا إلا من كان له قلب صاف..ومن يعيش فيها يستمتع بالسعادة  
والراحة ولا يعرف أى معنى للشقاء..فالحب والحكمة يحكمان  
السلوك..والعدل شىء غير معروف..لأن كل من هناك يتميز بكافة الصفات  
المحمودة..أما القاطنين في شامبالا أعمارهم مديدة وأجسادهم جميلة  
ومثالية ويملكون قدرات خارقة..معارفهم الروحانية عميقة وتقنياتهم  
متقدمة جداً..قوانينهم معتدلة ودراساتهم للفنون والعلوم تتقدم بأشواط  
عديدة على ما وصل إليه العالم الخارجى..ويقال أن شامبالا مملكة لها  
شكل زهرة اللوتس بتيجانها الثمانية وهى محاطة بجبال تغطى قممها  
الثلوج..وسكانها يتمتعون بصحة ممتازة وقصورهم لها شكل قباب تشبه  
النمط العمرانى للمعابد البوذية المكسوة بالذهب.

نور- إذن فقد رأيتموها ومكانها معلوم لديك؟

شونج - لا بالطبع..إن أراضى شامبالا مخفية عن الأنظار حيث بانث  
محاولات العديد من المستكشفين والساعين إلى الحكمة الروحانية  
بالفشل لمعرفة مكانها الجغرافى على الخريطة..نعم فهناك الكثير من الناس  
يعتقدون بأنها تقع فى المناطق الجبلية التى تضم قارتى آسيا وأوروبا وتحيط  
بها جبال تغطى قممها الثلوج فتخفيها عن الأنظار..لكن عدداً آخر من

الناس الذين عادوا من رحلات الإستكشاف يعتقدون أن ليس لها وجود من الأصل إلا في كتب الأساطير والحكايات الخيالية..

أخبرني أحد الدالاي لاما منذ سنوات عديدة أن هناك غموضًا مقصودًا في النصوص القديمة التي تتحدث عن مكان شامبالا والغاية من ذلك هي إبقاء تلك الأراضي مخفية عن أعين الهمج والذين يرغبون بالإستيلاء على العالم.

ألبرت- ولكن ما علاقة ذلك بجوج يا سيد شونج؟ وهل هناك علاقة ما بين سكان مملكة شامبالا وقوم جوج من خلال ما ذكرناه؟ خاصة أن جوج مختلفون عن الأنظار ولهم مملكتهم وبلاشك هم أعداد هائلة وبالتأكيد أن لهم ملك ونظام حاكم.. وربما هم لديهم الفكرة العدائية أن البشر حاقدين عليهم وسوف يهجمون عليهم في يوم ما.. ولا ننسى ما فعل ذو القرنين وجيوشه بهم ومنعهم من الخروج.. لذلك هم حاقدين على كل البشر وهذا يفسر كل أفعالهم الوحشية حين يخرجون.. ونحن نعتقد أن جوج هم في جوف الأرض مما يؤيد فكره نظرية الأرض المجوفة.. وبحسب ما نعتقد أن ذلك السد وما جاء في وصفه أنه سد عالي ما بين جبلين.. فهم ليسوا خلف هذا.. لأنهم لو كانوا خلفه سوف يجدون مخرجًا بالتأكيد سواء من أعلاه أو من جانبه أو أي مكان آخر ما داموا على سطح الأرض.. ولكن هذا السد كان فوقهم بحيث أنه تحتم مطبقًا عليهم ولا يستطيعون الخروج.. أعتقد أنه إذا كانت مملكة شامبالا حقيقة فهي تحت الأرض أيضًا . فما علاقة تلك الأراضي بقوم جوج؟

شونج- تتحدث الأسطورة حسب مزاعم الدالاي لاما عن أن الإنهيار التدريجي للجنس البشرى مرده إلى إتباع المنهج المادى والذى ينتشر في أنحاء الأرض.. وحينما يأتى وقت يتبع فيه الهمج هذا التصرف وتتوحد صفوفهم

تحت قيادة ملك شرير ويظنون أنه لم يعد هناك شيء آخر يمكنهم الإستيلاء عليه عندها ستزول الغشاوة والغموض عن جبال شامبالا فتظهر قممها الثلجية فيحاول الهمج الهجوم عليها بجيش ضخّم مجهز بأسلحة رهيبة ولكن ملك شامبالا الثانى والثلاثون سيقود حشده الضخم ضد الغزاة.. وفى تلك المعركة النهائية العظيمة سيخسر الملك الشرير وأتباعه ويُدمَرُونَ نهائياً.

نور- وبعد ذلك؟

شونج – التنبؤات فى البوذية واضحة..ففيها مخلص قادم من شامبالا أو بلاد البركة حيث يهزم البربر وينهى الظلم ويقود إلى عصر ذهبى جديد..وكما فى كل الأديان هناك حرب نهاية زمان ومخلص أو مسيح كما تدعون فى كتبكم المقدسة.. فلدَى البوذيين تنبؤات بحرب نهاية العالم التى ستهزم فيها قوات شامبالا عدوهمجى..وهم يشجعون جميع البوذيين على وضع خلافاتهم الطائفية جانباً والإنضمام إليهم ليكونوا جهة واحدة..إذاً بعد هذا البحث والتحليل عن أسطورة شامبالا ومن خلال كل ما يتعلق عن جوج فأعتقد بأن هناك علاقةً ما بينهما..ل أن ليست كل أسطورة خرافة.. فلكل أسطورة أساس لليهودى مخلص..وللمسيحيين مخلص.. وللمسلمين مخلص أيضاً واليوم عرفتم أن للبوذيين كذلك مخلص..وكلهم سيأتون فى نهاية الزمان..والأديان السماوية ذكرت أسطورة الكائنات الوحشية القادمة المتمثلة فى جوج..والبوذيين يعتقدون أن هنالك شعب فى مكان ما سوف ينتصر فى نهاية الزمن على من سماهم الهمج والغزاة..والجميع مؤمن بمعتقداته وما ذكر فى آياته المقدسة..ويبدو أن الأرض على موعد مع هذا السيناريو الدرامى .

قطع هذا الحديث وصول لى ليخبرهم أن السائق قد وصل وينتظرهم فى الخارج وعليهم أن يجهزوا خلال دقائق..جمع كل منهم حاجياته ولكن نور تذكر أمراً ما فالتفت ناحية شونج متسائلاً:

نور - سيدى هل لديك أى علم عن ما يسمى نظرية المفاتيح المقدسة؟

شونج- إنها نظرية قديمة يا ولدى ولست متذكرها تحديداً..عليكم أن تتجهوا للتبت لمعرفة بقية القصة هناك..وأتمنى لكم التوفيق.

ألبرت - سيدى أشعر أن هناك من الأمر ما تخفيه.

ابتسم شونج وقام من مكانه ولم ينبت ببنت شفة..أما دان الذى كان لا يزال متسائلاً عن العجوز الذى قابله بالأمس فاتجه إلى شونج قائلاً:

- أود قبل أن أرحل أن ألقى التحية على الحكيم الأخر الموجود هنا.

- شونج- أى حكيمة يا ولدى؟

- بالأمس بعد سباتكم نزلت إلى هنا ووجدته وظللت لأكثر من نصف ساعة أتحدث معه.

شونج (مُنَادِيًا على أحد الخدم وسأله بلغته الصينية فنظر الخادم إلى دان وهز رأسه نفيًا).

شونج- لم يكن هنا أى أحد بعد نوم الجميع يبدو فقط أنها أضغاث أحلام من تأثير العشاء الذى لم تعتادوا على طعمه بعد.

- لا لقد كنت فى منتهى اليقظة ولم أنم أو أُخدِّر أو أُهلوس..كان يجلس أمام هذا الكرسي الرخامى وكان ينظر من بعيد إلى سوركم العظيم.

تنبه شونج فجأة واقترب منه متسائلاً:

- هل أخبرك باسمه يا ولدى أو هل لك أن توصفه؟

- كان ممتلىء الجسم يرتدى العديد من العباءات الصينية ويده عصى  
ربما أطول من عصاك قليلاً وهو بنفس طولك وبنفسك سنك تقريباً.  
انتبه الجميع على كلام دان واقترب بقية الخدم منه بينما انبرى أحدهم  
للتترجمه للباقي وهو يردف:

- أعتقد أنه اسمه أخبرنى..امم أنه..على ما أتذكر اسم صعب تذكر أو  
نطقه حتى إنه ..تشيين..أو تشيو..شانغ.

قاطعه شونج وقد بدأت عيناه فى اللمعان - هل اسمه تشيو تشونغ نى؟

- نعم يا سيدى ..هو تشيو تشونغ لى وقد...

وقتها حدث ما لم يتوقعه أحد فقد ركع الجميع أمام دان حتى الحكيم  
نفسه جثا على ركبتيه وقد بدأ بالبكاء مما أثار دهشة الجميع.

جثا دان إلى جواره مساعداً إياه على النهوض متسائلاً عن السبب الذى  
دعا الجميع إلى الإتيان بهذه الحركة القدسية.

شونج- إنك لا تدري يا سيدى..لقد تحدثت بالأمس مع نبينا وملهمنا  
كونفشيوس..

ألبرت- ماذا؟ الحكيم كونفشيوس..؟ ولكنه مات منذ آلاف السنوات يا  
سيد شونج.

شونج- نعم ولكن روحه لا تزال تزور كل المناطق التى زارها أو كان يقيم  
فيها..يا ولدى لقد انتظرت أنا عشرات وعشرات السنوات لكى أراه ولو  
دقيقة واحدة هنا فى الفناء الخلفى..قيل لى أنه أتى هنا قديماً جداً وأقام  
عدة ليالٍ وبعدها ظهر لأحد أجدادى وقام بالحديث معه تمامًا كما فعل  
معك..هل لك أن تقص لنا تحديداً ما حدث؟

وبالفعل جلس الجميع وكأن على رؤوسهم الطير أمام دان الذى قص عليهم كل ما حدث ليلة أمس..فهو لم يكن يحلم بل يبدو أن روح كونفشيوس لا زالت تحوم حول المكان..أخبرهم بقصة الإنائين مما أجهش الجميع بالبكاء..وبدا المعبد وكأنه قد تحول إلى صالة جنائزية اشترك الجميع بها فى النحيب والعويل..اقترب نور من دان قائلاً بهمس:

- إن تلك فرصتنا يا دان انفرد بالرجل واسأله ما بدا لك من أسئلة وأنا على ثقة أنه سيكون فى منتهى الصدق.
- يبدو كذلك.. معك كل الحق.

وبالفعل اقترب دان من شونج هامساً فى أذنه ببعض الكلمات فهمض شونج وأخبره أن يأتى خلفه وحده..سارا حتى دخلا إلى الغرف الداخلية حتى وصلا إلى غرفة كبيرة دخلها شونج ومن خلفه دان..الذى اقترب منه قائلاً:

- أخبرنى يا سيدى كيف أصل إلى هؤلاء القوم.
- صدقتى لا أعلم..هى مجرد أضغاث أقاويل ولكن خذ هذا الخاتم.

ومد يده إلى أحد الأرفف الخشبية ومد يده وتناول خاتم فضى به حجر كريم أخضر اللون رسمت عليه نقوش صغيرة وكأنها زهرة اللوتس فأخذ دان الخاتم منه وأخفاه فى جيبه الداخلى.

- هذا الخاتم يا ولدى يخص أحد كبار مساعدين كونفشيوس إن لم يكن له شخصياً وهو شىء مقدس فى تراثنا الصينى..وهو سيسهل لك الأمور فى الأراضى الصينية الخاضعة لسيطرة التبت هناك وليكن معلوماً لك أن جميع شعب التبت ورهبانه يؤمنوا بالشامبالا وبالأرض المجوفة وأن بجوف أرضنا مدن وممالك وحضارات وأمم بشرية ونور وغابات وأنهار وبحيرات..وهناك معلومات ترجح بأن عاصمة التبت لها معبد مُنَّصَل بنفق سرى بشكلٍ ما يُوصَلُ إلى الأرض

المجوفة.والذى يمتد من عاصمة التبت إلى مملكة شامبالا التى فى العالم الداخلى..ومدخل هذا النفق محروس من قبل الرهبان.

- وكيف أصل إلى تلك المعلومات؟

- عن طريق هذا الخاتم سوف أرسلك إلى أحد الرهبان الذين أثق بهم وهو تسانغ غيانج..تذكر هذا الاسم جيداً هو راهب من رهبان الدالاي لاما وبمجرد دخولك إلى أراضى التبت فلتسأل عنه ولتعطه هذا الخاتم ولكن سرّاً..أفهمت!! سرّاً يا ولدى..وسوف يُسَهِّلُ لك كل الأمور على الرغم من أن صعب الأشياء هو البوح بأسرار المعابد البوذية..ولكنه سر خاتم كونفشيوس يا ولدى.

- بالمناسبة يا سيدى هل لديك أى علم بالمفاتيح المقدسة؟

- أى مفاتيح يا ولدى؟

- عندما كنا فى كنيسة القديس بطرس جلسنا مع أحد رجال الدين هناك وبدأ يشرح لنا أن هناك سرّاً ما فى مفتاح كنيسة القديس بطرس بشكلٍ ما هو ومفتاح أخريشبهه وتم وصوله إلى الكاتدرائية.

- ياه يا ولدى إن ذلك من مئات السنوات..ويعتبر سرّاً هو الآخر لدى رهبان التبت وما حدث أنه كان هناك أسطورة عن راهباً ما فى الأزمان الغابرة استطاع أن يحبس الشيطان داخل كهف ما من تلك الأماكن المتصلة بالأنفاق التى تحت الأرض والتى تشتهر بها أراضى التبت..وهذا الشيطان ما هو فى اعتقادى إلا أنه أحد المخلوقات الغريبة وربما كان أحد نسل قبائل جوج الذين تحثون عنها..وهذا الراهب أغلق هذه الفتحة بباب له مزلاجين حديدين وتم إغلاقه للأبد ولكن سرق المفتاحان من الراهب وتقول الأسطورة أن هذه المفاتيح سُلِّمَت لأقدم كنيسيتين فى العالم وذلك لحماية الباب من فتحه مطلقاً.

- لا أدري كيف أشكرك يا سيدى وأتمنى أن تسمح الظروف أن نتقابل مرة أخرى.

- سيحدث يا ولدى..إن لم يكن فى هذه الحياة فسوف نتقابل فى الحياة الأخرى وكن على ثقة أننا سنتحدث كثيرًا..وكثيرًا جدًا.

وقام من كرسيه ومد يده إلى دان الذى استقبلها واستند عليه حتى وصلا إلى الفناء الخلفى حيث ترك بقية رفاقه.

وَدَعَّ الجميع الحكيم شونج وما هى إلا لحظات حتى كانوا يسرون جميعاً فى طريق الذهاب إلى العربة الخاصة بهم بينما كان نور يسال دان عن سر مقابلة الغرفة ولكنه لم يتحدث..بل أخبرهم أن عليهم الصمت الآن..سار الجميع فى طريق العودة المُقَدَّس وسط تلك التماثيل التى شعر دان لأول مرة أنها تنظر لإليه..لا يدري لماذا فى هذه اللحظة بالذات نظر إلى المعبد من بعيد وَخُيِّلَ إليه..بل رأى كونفشيوس وهو ينظر إليهم من على بُعْد عشرات الأمتار.

\*\*\*\*

بعد ساعتين عاد الجميع إلى الفندق فى قلب العاصمة بكين حيث الضجيج والصراخ المتواصل والزحام طوال الوقت مما كان يثير دوماً استيائهم..وعند اجتماعهم فى بهو الفندق قَصَّ عليهم دان ما حدث بداخل الغرفة وتوصيته له بالذهاب إلى أحد الرهبان..وأراهم الخاتم الذى وضعه فى علبة زرقاء اللون ولكنه لم يَقْصَّ على أحد أسطورة المفاتيح المقدسة لسبب لا يعلمه ولكنه فَضَّلَ أن يحتفظ بهذا السر.

نور- ولكن بعد غد سوف نذهب إلى نينغشيا حيث عاد ادوارد بأحد تلك المخلوقات؟ فهل نلغى رحلتنا ونذهب إلى التبت أولاً أم نستمر على ما تم ترتيبه ؟

دان- فلنذهب أولاً إلى نينغشيا على حسب ما تم تخطيطه لرحلتنا ثم نغوص بعد ذلك في أعماق التبت.

ألبرت- ولكن كيف سنتوصل إلى التبت من الأصل؟ أو أحد هذه المعابد؟  
بن- التبت يا مستر ألبرت..تقع في الشمال من أعلى جبال الهيمالايا وأعتقد أنه سيكون من العسير جداً الوصول إليها لأن هضبة التبت هي الأعلى في العالم وعلى ارتفاع 5 كم فوق مستوى سطح البحر..ولذلك سوف يكون هناك مشقة بالنسبة لكلينا فأنا الآخر غير قادر على الصعود إلى تلك الأماكن المرتفعة..ويوجد في جبال التبت الأديرة البوذية الشهيرة. وسوف نجد هناك راهبك المنشود يا مستردان لأن رهبان التبت لا يخرجون عن تلك الأديرة .

ألبرت- يا إله السماوات خمسة كيلو مترات فوق سطح الارض؟كيف سنصعد إذن إذا قَدِرْلى الصعود معكم في هذه الرحلة؟ وكيف سنصل الى تلك الأراضي أولاً؟

بن - بالسيارة يا مستر ألبرت للأسف فالمسافة بين التبت وبكين يقارب من 3500 كيلو متر.

نور- يا ربى؟ أى سيارة وأى جَهْد لنقطع تلك المسافة لمقابلة راهب بوذى قد يرشدنا إلى أحد الأساطير وقد لا نستطيع مقابله من الأصل.

دان- سأسير في طريقى لأخره..وإذا لم يقدر أحد على القدوم معى فلن أضغط عليكم..

نور- لم يقصد أحد أننا لن نأتى معك فنحن لن نترك المشكلة فقط في ترتيب الرحلة فمن أين نبدأ..؟من نغشيا ثم هل نعود هنا مرة أخرى لنذهب إلى التبت؟

دان- سنرحل في القريب إلى نغتشيا بمجرد عودة لى معنا ثم نرتب الأمر معه لنرحل إلى التبت وأعتقد أنه لا بد من وجود وسيلة أسرع للانتقال من هناك..أما أنت يا ألبرت فأنا أيضاً أعتقد أنه من الخطورة الصعود كل تلك المسافة وأخاف أن يُدَاهِمُكَ أَىْ أزمة قلبية ونحن لا نعلم أَىْ مشفى طى هنا.

ألبرت - دعونا نهتم برحلة نغتشيا فقط ولننتظر ما تخبأه لنا الأيام.

بن - أما أنا فاعذرونى سأذهب إلى القنصلية لإرسال العديد من الصور وبعض المقالات إلى جريدتى.

دان- لا أظنك تنشر ما نقوم بعمله في الوقت الراهن يا مستر بن؟

بن - لا بالطبع أنا أدرك أن الأمر كله لا بد وأن يكون في غاية السريّة..كل ما هنالك أنى أرسل الصور أولاً بأول حتى لا تتعرض للفقء أو الضياع فيبدو أن اللصوص في كل مكان.

نور( وقد وضع يده على رأسه) - أسرقُ منك شيئاً يا مستر بن.؟

بن- لا فليس لدى شيئاً ما يسرق.. لكن عند عودتي للغرفة صباحاً وجدت العديد من أشياء مبعثرة وعلى الرغم من وجود ساعتى الثمينة والكاميرا وبعض النقود فإن السارق لم يمد يده إليهم..بل كان يبحث عن شيء معين لا أعلمه.

نور- الأدهى أنه لو سرق شيء منك فلن تستطيع إفهام هؤلاء من الأصل..

دان- ما بك يا نور أشعر أنك تتألم من شيء ما؟

نور- هذه حقيقة فأنا أشعر بالبرد رغم حرارتي العالية فيبدو أنى قد أصبْتُ بالحمى من أحد هؤلاء الصينيين.

ألبرت- فلتصعد إلى غرفتك إذن وحاول أن تأخذ قدرًا من الراحة وسأوافيك في الحال بعدة أقراص ستجعلك تشعر بتحسن..

وبالفعل قام نور إلى غرفته بينما استمر الباقي في حديثهم..

\* \* \*

obeikan.com

## الفصل الثامن

(عندما تكون غارقاً في الحب حتى أذنيك فإنه من المستحيل أن  
ترى عيوب نصفك الآخر.. فوقتها تغشى عينيك سحابة سوداء  
تُخَيِّمُ على حواسك)

obeikan.com

في مساء هذه الليلة كان ألبرت ودان في المهو الرئيسي بعد تناولهم طعام العشاء بينما كان نور في غرفته لا زال مريضاً بإحدى نزلات البرد مما جعله يلبث محموماً في فراشه.. أما بن فكان مختلفياً منذ الصباح لإرساله التقارير اليومية التي كان مُلزماً أن يبعثها إلى جريدته.. وأثناء انتظارهم دخل عليهم وهو يمسك جريدة المساء.

بن- رأيتم آخر أخبار ألمانيا لقد توفي الرئيس هيندبرج.

دان- وماذا في ذلك يا مستر بن؟ أعتقد أن هتلر دفع الرجل إلى الإستقالة قريباً وقام بتهميش نائبه وبالتالي موته أو حياته لن تؤثر.

بن- هتلر لم يتولّ رسمياً وبعد وفاة الرئيس لا شك أنه سيتم إجراء انتخابات رئاسية في القريب العاجل وحتماً سيفوز هتلر بمنصب الرئيس.. ومعنى ذلك أننا سوف ندخل في عصر ديكتاتوري بغيض.. ويعلم الله هذا المجنون هل سيقود العالم إلى حرب أخرى؟

ألبرت - لعنة الله على الحروب وعلى كل من يشعلها.. الحروب يشعلها السياسة ولا يدفع ثمنها إلا الشعوب.

بن- بالمناسبة سوف نؤجل رحلتنا إلى نينغشيا إلى بعد ثلاثة ايام لتكون رحلتنا الجمعة القادمة بدلاً من الخميس ولقد اتصلت بمرشدنا وأخبرته بذلك..

دان - وما الداعي لذلك يا مستربن.؟ هل كان هناك أى سبب يستدعى التأجيل؟

بن- نعم فهناك فرد ما سوف ينضم إلى البعثة.

دان ( غاضباً)- ماذا تقول.؟ ومن سيكون هذا الشخص.؟ وهل أنتم من تقررون من ينضم إلينا دون حتى الرجوع وأخذ رأينا فى هذا الأمر.؟ أنا أعترض ولو وصل الأمر إلى رجوعى لندن فسأعود.

بن- مهلاً يا مستردان إن هذا الشخص ليس بغريباً عنك..بل أقرب إليك أكثر مما تظن.

ألبرت- من ذلك الشخص إذن يا مستربن؟

بن - على الرغم من أن الشخص طلب منى إلا أوضح شخصيته حتى يخبرك بنفسه إلا أن غضبك الآن يدفعنى للإفصاح عنه إنها البروفيسورة روزاليندا..

دان (مندهشاً) - وما علاقة روزى بذلك وكيف وصلت إليها أو كيف علمت أنها سوف تأتى؟

بن - مهلاً يا مستردان..إن الآنسة روزى ووالدتها البروفيسورة اليزابيث هم من توسطوا إلى السير شارلز شاول لتدعيم بعثتكم..وأود أن أشير لك أننا إذا لم نجد جدية من بعثتك ما كنا مَوْلِنَاهَا من البداية..ولو كان الملك جورج بنفسه هو من توسط لتمويل بعثتكم..أما كيف عرفت ذلك فالمسألة بسيطة وصلتنى برفية منذ ساعة تخبرنى فيها بوصولها إلى بكين صباح الخميس القادم..ولذلك أَجَلْتُ رحلتنا لأنها تنوى مشاركة الرحلة معنا.

ألبرت- ولكن ما العلاقة التي تربط بينكم وبينهم لتكون لهم تلك الكلمة المسموعة للسير شارلز؟

بن- أرجو أن تعفيني من الإجابة يا مستر ألبرت.

دان - أستاذنكم سوف أتريض قليلاً بالخارج..الجوهنا أصبح لا يطاق.

وخرج إلى زحام البشر..وعلى الرغم من اندهاشه من الأمر ككل إلا أن ذلك لم يمنع قلبه من الخفقان بشدة عندما تخيل أن روزي ستكون أمامه خلال يومان..لا يدري ما السبب الذي جعلها تتوسط لدى السير شارلز وظلها الوصول إلى بكين قاطعة كل مئات الكيلومترات للوصول إلى بكين..هل يكون ذلك لمجرد رؤيته ومشاركته تلك الرحلة التي يود أن يثبت فيها نفسه فقط؟ أم أن الأمر يتعلق فعلاً بجديتها في الإنضمام لهذا البحث العلمى؟ هو يرى أنهم لازالوا حتى هذا اليوم يدورون في حلقة مفرغة لم يصلوا فيها إلى أى شىء.

جلس على أحد الكراسى الرخامية الموجودة في الشارع الفسيح الذي يقع فيه الفندق بإلاضافة إلى عدة فنادق تحمل نفس الطراز الصينى..ومن حوله ظهر الكثير من صور الرئيس الصينى كعادة أغلب الدول الشيوعية..أفكار كثيرة كانت تدور في رأسه..تمنى من قلبه أن يخبره الراهب البوذى عند مقابله أغلب الأسرار التي يود الوصول إليها؟ ولماذا لم يخبر رفاقه بموضوع المفاتيح المقدسة..أيتمنى أن يصل إلى الموضوع أولاً؟ نور لا يهيمه سوى السير على خطا أستاذه ادوارد..أما ألبرت يقلب الأمور من ناحية دينية بحثه ويتزهر وليس في ذهنه سوى التبشير فقط..أما بن فهو الأخر يريد نسب مجد لنفسه ولجريدة السير شارلز..وبالتالى لن يكون هناك إلا هو وروزى..ابتسم عندما شعر أنها ستشاركه أخيراً حلم ما.

أفاق من تأملاته على يد تلمسه برفق التفت ففوجئ بنور يجلس بجواره  
ضاحكًا:

- ما بك يا صديقي تبدو مذهولاً كمن وجدت شبحًا؟
- بل ما بك أنت يا نور؟ من المفترض أنك في غرفتك طريح الفراش من  
نزلة البرد التي ألمت بك.
- نعم هذا ما حدث ولكني عندما أفقت وجدت نفسي بصحة جيدة ربما  
كان ذلك بسبب الحساء المخصوص الذى أعده لى أحد الطهاه  
الصينين فى الفندق وطلب منى احتسائه والنوم بعد أن وضع لى القليل  
من الأعشاب..إن له مفعول السحريا دان.
- ولماذا خرجت؟
- لم أجد أحدًا منكم فخرجت قليلاً أتزّه فى أحد المقاهى هنا..هيا بنا  
سأجعلك تشرب مشروبهم الوطنى..لتنسى أى شىء يزعجك.
- فى وقتٍ أخريا نور فأنا لست مستعد لسماع أى ضجيج وأنت ترى  
بمجرد دخولنا مكان صينى ستجد أن هناك آلاف وآلاف من البشر  
الذين لا يَكْفُون عن الثرثرة.
- ما بك يا دان؟ أشعر أنك لديك ما تُخْفِيهِ..
- نعم يا نور هناك الكثير والكثير..رحلتنا إلى نينغشيا تأجلت إلى صباح  
الجمعة وذلك لوصول روزاليندا للإنضمام إلى رحلتنا وعلمت ذلك من  
بن التى أرسلت له برقية تخبره بوصولها صباح الخميس بعد غد  
واتضح أنها ووالدتها هما من توسطتا لمستر تشارلز لتمويل رحلتنا.
- أه تذكرت تلك تفسير جملته حينئذ هم بعض الأصدقاء المشتركين  
الذى كان يخبرنا عنهم.
- يبدو كذلك.

- وهل هذا ما يضايقك ؟ كنا نشعر بالضيق لوجود بن وعلى الرغم من ثَقَلِ ظِلِّهِ إلا أننا اعتدنا عليه.. ما حقيقة الأمر يا دان؟

وَقَصَّ عليه دان كل ما يتعلق بعلاقته بروزي منذ أن وقعت عيناه عليها من عدة سنوات وكيف أنها تهرب منه كل مره..وربما تجرحه في كثير من الأوقات دون قصد منها أو بقصد لا يعلم..كل ما يعلمه أن قلبه لا زال يدق بعنف كلما رآها..وظل يتحدث معه حتى اقتربت الساعة من منتصف الليل فعادا إلى الفندق.

\*\*\*\*

صباح يوم الخميس كان الجميع في انتظار وصول روزاليندا إلى الفندق وفي تمام الحادية عشر تماما دخلت عليهم أخيرا..كان وقع المفاجأة واضحا على ملامح دان الذي هرب إليها مادًا يده إليها وكذلك بن الذي أخذ حقيبتها وصاح على أحد الخدم ليحملها إلى الغرفة التي قام بحجزها لها صباحًا..وقام ألبرت بتحتيتها هو الآخر أما نور فقد حياها واستأذن في الإنصراف قائلاً لروز:

- أنا في قمة الخجل فلا بد من انصرافي..اعذروني فيبدو أن المرض عاودني فجأة..نحمد الله على سلامتكم يا مس سميث.  
- فلتناديني روزى كما يدعوني أصدقائي فأنا أكره الرسميات..أليس كذلك يا دان.

دان- نعم بالطبع..عليك أن تستريحى فقد كانت الرحلة بالطبع مُجْهِدَةً.  
روزى- ليس بالشكل الذى تتوقعه فأنا الآن في قمة الراحة..كنت أود أن يكون قدومى مُفَاجِئَةً ولكن يبدو أن مستر بن قد أفسدها.

بن- إنه دان يا مس روزى..كاد أن يرحل إلى لندن بمجرد إخبارى له أن أحدهم سينضم إلى الرحلة معنا.

روذى- لديه كل الحق بالطبع..فليس بعد أن وصل إلى كل هذه الخطوات يأتى أحدهم ليشاركه نجاحه..لا تدرى يا دان أنك يوماً ما ستجعل بريطانيا تفخر بك.

دان- أنا فى منتهى السعادة يا روزى أننا سنتشارك أخيراً شيئاً ما.

روذى- ومن يعلم يا دان ربما تكون مشاركتى القادمة أكبر مما تتوقع والآن هل لك أن تخبرنى بكل شىء يا عزيزى.؟

دان - يجب أن تستريحى بعضاً من الوقت ونبدأ ليلاً فى إخبارك كل شىء؟

روذى- لا لا أنا على أحر من الجمر..لا أُطيقُ الجلوس هكذا..فتلخبرنى.

نور- إذن سأذهب إلى غرفتى لأستريح قليلاً.

بن - فلتأخذنى معك يا مستر نور ونظر إلى ألبرت نظرة فهمها فأردف قائلاً:

ألبرت- ها.. نعم نعم..أنا لم أتناول فطورى بعد..سألاقيكم بعد الغداء.

وذهب الجميع مُفسحين المجال لدان الذى أخذ روزى ليجلسا على أحد المناضد البعيدة عن الضوضاء وبدأ يَقصُّ عليها كل شىء..أخبرها بكل التفاصيل التى كان يحتفظ بها لنفسه طالباً منها عدم إخبار الجميع بما أفاض لها من أسرار.

- وبذلك يا دان يكون هناك مفتاحان مقدسان..أحدهما سُرِقَ من

كنيسة القديس بطرس والأخر مجهول الهوية.

- تمامًا يا روزى.. فنحن الآن تواجهنا مشكلتان.. إحداهما فى أى مكان يوجد المفتاح المُقدَّس الأخر.. والمشكلة الأخرى أين يوجد هذا المُسمَّى كهف الشيطان؟
- لن يخبرك أحدًا إلا الراهب الموجود فى المعبد.. وبالطبع لن يخبرك إلا بالخاتم المقدس الذى لديك.
- لن تصدق ما رد فعل الحكيم تشونج عندما أخبرته بتلك القصة ياروزى.. أياكون كونفوشيوس هذا بكل هذا التبجيل والإحترام؟
- أنت بالتأكيد تهنئى.. كونفوشيوس هو أول فيلسوف صينى يفلح فى إقامة مذهب يتضمن كل التقاليد الصينية عن السلوك الإجتماعى والأخلاقى ففلسفته قائمة على القِيم الأخلاقية الشخصية وعلى أن تكون هناك حكومة تخدم الشعب تطبيقًا لمثل أخلاقى أعلى.. وقد ظلت هذه الأفكار تتحكم فى سلوك الناس أكثر من ألف عام.. ولقب بنى الصين.. وكثيرًا ما وصف كونفوشيوس بأنه أحد مؤسسى الديانات.. وهذا تعبير غير دقيق إن لم يكن خاطئًا فمذهبه ليس دينًا.. فهو لا يتحدث عن إله أو السماوات.. إنما مذهبه هو طريقة فى الحياة الخاصة والسلوك الإجتماعى والسلوك السياسى ومذهبه يقوم على الحب.. حب الناس وحسن معاملتهم والرِّقَّة فى الحديث والأدب فى الخطاب.. ونظافة اليد واللسان.. احترام الأكبر سنًا والأكبر مقامًا.. تقديس الأسرة وعلى طاعة الصغير للكبير وطاعة المرأة لزوجها.. ولكنه فى نفس الوقت يكره الطفيان والإستبداد ويؤمن بأن الحكومات إنما أنشئت لخدمة الشعب وليس العكس.. وأن الحاكم يجب أن يكون عنده قِيم أخلاقية ومُثلٌ عُلْيَا.. وما لبثت تعاليم كونفوشيوس يا دان أن ترسخت فى كل مكان وانتشر تلاميذه وكهنته فى كافة أنحاء الصين.. واستمرت فلسفة كونفوشيوس تتحكم فى الحياة الصينية قُرابة عشرين قرنًا.

- عشرون قرناً وما زال الناس هنا يقدسونه إلى هذه الدرجة؟ ما سبب تعلقهم بهذه الصورة؟
- إيمان أهل الصين بفلسفة كونفوشيوس فيعود إلى سببين..أولاً أنه كان صادقاً مخلصاً..ولأنه شخص معقول ومعتدل وعملي..وهذا يتفق تمامًا مع المزاج الصيني..بل هذا هو السبب الأكبر في انتشار فلسفته في الصين..لم يطلب إليهم أن يغيروا حياتهم أو يثوروا عليها..وإنما أكد لهم كل ما يؤمنون به فوجدوا أنفسهم في تعاليمه..ولذلك ظلت فلسفة كونفوشيوس صينية..ولم تتجاوزها إلا إلى اليابان و كوريا..ولكن هذه الفلسفة قد انحسرت تمامًا عن الصين..بعد أن تحولت إلى الشيوعية واتجهت الصين إلى المستقبل وانتزعت نفسها من هذه الديانة.
- وذلك بالطبع للمد الشيوعي والتطور العالمى فى المفاهيم القدسية.
- بالطبع يادان.
- لقد أهرنى الرجل حقاً..بيدوأنى لم أُقدِرُهُ عندما رأيته..فى المرة القادمة سوف أركع أمامه ( ضاحكاً ).
- لا تستخف بمبادئه وقيمه يا دان..
- لا لا على العكس كل ما أقصده أنى سأتعلم مبادئه وأقرب أكثر من التعاليم المقدسة.
- عندما ننتهى فيما جئنا من أجله..سترى فى المعابد البوذية ما هو أكثر من التعاليم.
- إذن كل ما علينا الآن هو الإنتظار إلى ما بعد عودتنا من نينغشيا.
- أنا لا ارى أىّ فائدة من تلك الرحلة عبر الكهوف هناك يا دان..لقد أخبرتني سابقاً أن الألمان بحثوا فى كل هذه المناطق فكيف لم يصلوا إلى شىء ونحن سنصل؟

- أخبرت نور بذلك وكل ما قاله أنه ربما نكون أوفر حظًا لأننا نسير على  
الدرب الصحيح.

- أنا لا أتق في أيّ شخص في البعثة يا دان؟

- بالمناسبة أود أن أشكرك على ترشيحك لنا لمستشارلزلتمويل بعثتنا..

- لا داعي للشكر المهم فقط النجاح..والآن أستمحيك عذرًا سوف أذهب  
إلى غرفتي لأنى بدأت فعلاً أشعر بالتعب.

- بالطبع سأوصلك حتى باب الغرفة يا روزى.

وقاما من مكأتهما باليهو الرئيسى للفندق حتى وصلا إلى غرفتهما..ألقي عليها  
التحية وانصرف وهو في أشد حالات الفرح والسعادة..ولكن على الرغم من  
ذلك..كان يشعر بشيءٍ مُهم يدور بخاطره..شيئًا ما لا يدري ما هو ولكنه  
كان كفيلاً بأن يقلب الأيام القادمة رأسًا على عَقِب.

\*\*\*\*

في المساء اجتمع الجميع على العشاء وسط الإبتسامات والمُجَامَلَات  
المُصْطَنَعَة وكان واضحًا جدًّا من تصرفات دان أنه يهيم عشقًا بروزى التى  
كانت أيضًا تهتم به لكن ليس بالشكل الذى يتمناه..الوحيد الذى كان يشعر  
بإبتساماتها المُصْطَنَعَة هو نور..وحاول العديد من المرات أن يتحدث إلى  
دان فى أمرها لكن دون فائدة..استأذن الجميع فى الإنصراف بعد أن أخبرهم  
بن موعدهم لى غدًا فى السابعة صباحًا للسفر إلى جبال نينغشيا حيث  
كهوفها فى منطقتها الصحراوية حيث سيقيمون فى أحد أكبر كهوفها تشعبًا  
كما خطط لهم المرشد السياحى فى رحلة عبر الأنفاق بداخله فربما حالفهم  
الحظ فعليًا.

كانت الساعة تشير إلى التاسعة مساءً عندما صعد الجميع إلى غرفهم لتجهيز حقائبهم وما هي إلا دقائق حتى فزع نور بدقات سريعة متتالية على باب غرفته ودان وهو يصرخ خارجها.

- ما بك يا دان؟ ما الذى حدث؟
- لقد سُرقَ يا نور..لقد سُرقَ الخاتم؟
- يا إلهي؟!سُرقَ!!كيف سُرقَ ومتى؟
- لا أدري؟. أحرمة رايته عندما كنت معك بالخارج ورجعت إلى غرفتي فوجدت العلبة الزرقاء الموجود بها ولكنى لم أفتح العلبة..الآن فقط عند تجهيزي للحقائب لم أجده بل كانت العلبة فارغة.

خرج ألبرت وبن على صوت دان في الممرين الغرف..دخل الجميع إلى غرفة دان..ووجدوا أن الغرفة لم يظهر عليها أى آثار للسرقة.

بن - أخبرتك يا مستردان..أخبرتكَ أن هناك من يعبث بغرفنا وأنت لم تهتم؟.أخبرتكَ أن أحدهم يبحث عن شيء ما بالغرف وأنت تحتفظ بهذا الخاتم في تلك العلبة الزرقاء دون أن تُخْفِيَهُ حتى؟. فلتخبرني إذن كيف سنتصرف؟ وكيف سنقوم برحلتنا إلى التبت دون الخاتم؟

ألبرت- مهلاً يا بن الرجل لم يقصد تعريضه للخطر ولكن لم يعي أن الخاتم مطمع للكثيرون.

دان- أصبحتم جميعاً تُسُدُّونَ النصائح الآن..لو كان الخاتم في حوزة أحدكم لتمت سرقة أيضاً..أما كيف سنكمل رحلتنا للتبت فلا أعلم.

بن - سأذهب لِأُبْلِغَ الشُّرْطَةَ ربما يكون هناك أحد الموجودين بالفندق له سجل إجرامى في سرقة الغرف.

وبالفعل ذهب بن إلى أمن الفندق ليقوما بإبلاغ الشرطه..وما هي إلا دقائق حتى لحقت بهم روزى..بعد أن أخبرها بن بسرقة الخاتم المُقدَّس.

روزى- يالك من شخص مهمل..كيف تحتفظ بهذا الخاتم في خزانة ملابسك ظاهراً للعيان؟ أى عامل تنظيف يدخل الغرفة ويجده سوف يأخذه.

نور - لا يا مس روزى إن الخاتم ليس مُهمًا..الخاتم تكمن قيمته من الناحية الدينية فقط..وأعتقد أن أحدهم درس جيداً الغرفة وعرف مواعيد دان ومتى يخرج منها ومتى يدخل حتى دخل وسرق الخاتم.

روزى- متى أيها التَّعِيس سُرِقَ منك هذا الخاتم؟

دان- روزى من فضلك أنا لا أسمح لك أنتِ الأخرى بتوبيخى هكذا..قلت لكم أنا لا أدرى متى سُرِقَ كل ما أعلمه أنى أرى هذه اللعبة يوميًا ولكنى لم أفتحها لأرى الخاتم إلا الآن أثناء تجهيز حقائبي فلم أجده..هل شعرتى بالراحة الآن؟

حَاوَلْتُ أن ترد روزى بعد أن تَخَضَّبَ وجهها بالإحمرار ولكن طرقات مُتتَابِعَةً على باب غرفة دان الجمتها..فتح دان باب غرفته ليجد شرطيان صينيان ومعهم شخص من أمن الفندق يتولى الترجمة بالإضافة إلى بن..خرج الجميع تاركين دان مع الشرطة للتحقيق فى الأمر ليدخل الجميع إلى غرفة بن المُقَابِلَةَ لهم.

وفى داخل الغرفة تراصت العديد من الأوراق التى تحتوى على خرائط وعدة صور لمناطق جبلية معلقة على حبل أُعِدَّ خِصِيصِي لوضع الصور عليه..بدأ نور يتطلع إلى الصور الموجودة على الحبل..وجوه أطفال..صينيين فى الشوارع..مزارعين..صور لألبرت ودان وحتى لنور شخصيًا..كان بن مولى ظهره إلى نور وكان يتحدث مع ألبرت وروزى..استمر فى مشاهدة الصور حتى فوجئ بصوره اندهش من رؤيتها..كيف؟ بل متى تم أخذها؟ هذه الصورة

كانت تؤكد شكوكه ومخاوفه..نظر حوله لم ير أحد ناظرًا إليه..مد يده بعفوية وأخذ الصورة المعلقة دون أن يشعر به بن ووضعها في جيبه.. وتظاهر بأن شيئًا لم يحدث.

\*\*\*

صباح اليوم التالي كان الجميع في الطريق إلى نينغشيا تلك المقاطعة التي تقع في شمال الصين.

لى - تلك المقاطعة تُعْتَبَر من أكبر المقاطعات الموجودة في الصين وبها أكبر عدد من الأقلية المسلمة يا مستر نور ويتدفق عبرها النهر الأصفر..يمتد على طول حدودها الشمالية الشرقية سور الصين العظيم..تبلغ المسافة بينها وبين بكين حوالى خمسمائة كيلو متر سنقطعها في ثمانى ساعات وسوف نقف في عدة استراحات وهى...

قاطعها دان بفضاظة :

- لى من فضلك لا نريد أىّ شرح لأىّ شىء..كلنا لدينا ما يكفيننا من ضجر..فاعذرنا وألزم الصمت وإذا وددنا الإستفسار عن أىّ شىء سنخبرك فلا تقلق.

لى- أعتذريا مستردان..أعتذر لكم جميعًا أنا في خدمتكم دائمًا (وغاص في كرسيه والتزم الصمت).

كان كلاً منهم لديه فعلاً ما يكفيه من الضجر..أما أكثرهم فكان دان..فكيف فشل في الإحتفاظ بهذا الخاتم الذى كان سيكشف الكثير من الأسرار..والآن هو لا يعلم فى حوزة من؟ هل أحد من أصدقائه؟ هل أحد عمال الفندق؟ هل أحد كان يتبعهم وعرف أهمية هذا الخاتم؟أيكون أحدهم

راه وسرقه دون أن يدرك أهميته؟ عشرات وعشرات من التساؤلات والتي لن يجيبه عليها أحد؟

ولكن فعلاً ما يؤلمه هو طريقة مُخاطبة روزى له أمام الجميع.

أما هي فلم يكن يشغلها سر الخاتم المسروق بل كانت تفكر إلى ما هو أبعد من ذلك.. في تلك المفاتيح المقدسة.. فإذا كان هناك كما يقول دان أسطورة تتحدث عن ذاك الراهب البوذي الذى حبس الشيطان أو كائن من جوج وأغلق الباب بمفتاحين إلى الأبد وتمت سرقتهم.. فإذا كانت أحد تلك المفاتيح في الفاتيكان في كنيسة القديس بطرس فأين المفتاح الأخر؟ أى كنيسة لا تقل أهمية عن الفاتيكان؟ ألبرت ذاته لا يعلم وقد سألته عن أهم الكنائس الموجودة في العالم حالياً.. فلم يجب.

أما ألبرت فكان يغط في نوم عميق لا يقطعه سوى ارتجاج السيارة لعودها أحد المرتفعات الصخرية.. فما يلبث أن يفيق حتى يغلبه النعاس مرة أخرى.

ونور لم يطرف عينه قط عن روزى.. كان يريد أن يفهم تلك الشخصية التي أمامه كيف تتظاهر بهذه الرقة بينما من داخلها هي من أشرس ما يكون؟ كان لا يريد الإصطدام بها في أى وقت من الرحلة.. ولكنه يعلم أن الصدام قادم لا محالة.. وعليه أن يضع ذلك في حسابه.

وبعد حوالى ساعة راح الجميع في سبات عميق إلا أحدهم.. وإن تظاهر بالسبات.. ينظر في ساعته كل فترة.. ويراقب الطريق من خلفه دون أن يشعر به أحد.

كان يعلم أن هناك من ينتظره في بلدة ينغتن وهي أول استراحة ستقف بها السيارة.. مد يده إلى حقيبته الصغيرة ليتحسس الخاتم المسروق..

\*\*\*\*

وبالفعل لم تمض ساعة إلا وكان الجميع يجلسون على أحد المناضد بداخل الإستراحة بينما وقفت روزى تتمطأ لتفرد يداها إلى أقصى ما تستطيع الوصول إليه وبدأت في التناؤب قائله:

- سأذهب لأسير قليلاً بعد تلك الجلسة التي كادت أن تُبَيِّسَ أطرافي.

ألبرت- إننا لا نزال في بداية الطريق يا بنيتي والأمر سيزداد صعوبة كلما صعدنا إلى أعلى فالبلدة تقع على ارتفاع كبير عن سطح البحر.

دان - هيا يا روزى سأسير معك.

روز ( غاضبة)- قلت سأسير وحدي..أفضل السير بمفردى..أريد أن أُصَفِّ ذهني ولا أريد أن أفكر في شيءٍ قد يُنْغِصَ على بقية الرحلة فلتنتظر هنا.

وبالفعل أسرعَت الخطو خلف الإستراحة أما دان فغاص في كرسيه أكثر من إحراجه بهذا الشكل.

ألبرت- إنها عنيدة كوالديتها تمامًا يا دان..سأقوم لإحضار القهوة هل تودون أن أحضر لكم شيئاً؟

نور- شكرًا يا مستر ألبرت سأذهب لأصلي وبعد ذلك سأشرب القليل منها..

دان - شكرًا يا مستر ألبرت..بالمناسبة أين بن؟

نور- لقد أخذ كاميرته وذهب بعيدًا ليقوم بتصوير بعض الجبال..(وقام من كرسيه ليسير خلف مستر ألبرت الذي سبقه واتجه إلى داخل الإستراحة)

تذكر نور أمرًا فعاد إلى دان وهمس له في أذنه:

- دان أود أن أسدي لك نصيحة قد تعمل بها أو لا..ولكن ابتعد عنها فهي تخدعك وإن تظاهرت بحبك فذلك لمجرد استدراجك في الحديث.
- لماذا تقول لي هذا؟
- ألا ترى يا رجل كيف تعاملك؟ هل الحب أعماك إلى تلك الدرجة؟  
أنها لا تفكر إلا في نفسها وبنجاحها فقط أما أنت فتأتي في مرحلة تالية وربما لن تأتي أبدًا.
- نور..من فضلك صداقتنا لا تسمح لك بالخوض في الحديث عن روزي هذا شيء خاص بي أنا وهي..أنت لا تعلم أي شيء عن علاقتنا.
- إذن فلتخبرني..هل أخبرتها بكل ما لديك من أسرار؟ هل تلك الأشياء التي لا نعلمها نحن وأخفيتنا عنا..هل أفضت في ذكرها معها؟
- أيُّ أشياء؟
- أنت تعلم جيدًا ما أقصد..شروذك بعد عودتك من حجرة الحكيم شونج كان يوحى بأن لديك الكثير من الأسرار..دان لماذا لا تشعر أنها قد تخدعك وأنها قد تكون .....
- دان ( مقاطعًا )..من فضلك فلتكف عن الحديث عنها.
- اعتدل نور في وقفته عندما لمح بن قادمًا مُبْتَسِمًا من بعيد مُشِيرًا إليهم.
- سَأَكْفُ..ولكن تذكر أنه في وقتٍ ما أخبرتك بذلك..وقتها لن ينفع ندمك.
- وتركه وهو يلعبن هذا المأفون في سره عشرات المرات..أما دان فكان من داخله يود أن يضع حَدًّا لتلك التساؤلات عن علاقته بروزي..لذلك قرر أن يواجهها الآن وما أن هَمَّ من على مقعده حتى أتى إليه بن قائلاً:
- لقد قمت بالتقاط عدة صور في أماكن يستحيل أن تراها في بريطانيا  
فذلك الوادي الممتلىء بتلك النباتات الصحرواية تُضَيِّف ...

- اعذرني يامستر بن سأذهب لأتريض قليلاً بدلاً من جلستي تلك..سنجلس عدة ساعات أخرى.

قام وسار في نفس الطريق الذي سارت فيه روزوما هي إلا لحظات حتى وجدها تقف مع رجلين صبيين اقترب منها سريعاً حتى وصل إليهما:

- روزى هل هناك من يُضايِّقُك؟ هل أساء إليك هذان الرجلان؟
- مهلاً يا دان أنا أبتاع بعض الأشياء..ألا ترى تلك السلع؟

وبالفعل نظردان من حوله فوجد أنه يقف في سوق صغير به العديد من التذكارات السياحية ونظر إلى الرجلان اللذان بادلاه تلك النظرة السطحية فجلس على الأرض واختار تمثال صغير لبوذا وخاتم يشبه المفقود منه..فابتسمت روز على الرغم منها:

- أعتقد أن هذا الخاتم شبيهة بخاتمك المفقود يا دان؟
- لا بالطبع ولكن سأحتفظ به مع التمثال ربما تصيبني بعض البركة في تلك الرحلة الملعونة.

- بركة؟ يبدو أن حرارة الشمس قد أثَّرت على عقلك يا عزيزى..
- روزى..احذرى عندما تخاطبيني المرة القادمة أرجو أن يكون هناك حد في التعامل بيننا..يبدو أن علاقتي بك قد أوجت لك أنه قد يكون مسموحاً لك بتجاوز كل حدودك..ومُخاطبتي كمرهق يستجدي مشاعرك..ترفضين حبي ليس هناك أدنى مشكلة في ذلك ولكِ مطلق الحرية..لكن أن تستمرى في التحقير من شأنى بهذا الشكل فلن أسمح لك.

- يبدو أن فعلاً حرارة الشمس أثَّرت على عقلك؟ كيف تجرؤ وتؤجِّه لى هذا الحديث؟ أى حدود وأى علاقة وأى حب؟أنت تُصِرُّ على معاملتي كحبيبتي وأنا أوضحت لك آلاف المرات أن العلاقة بيننا لا تتعدى

سوى الصداقة فقط ولكنك تُصِرّ..وأريدك أن تفهم أن العلاقة بيننا عمل ولكنك لا تريد أن تفهم ذلك أبدًا..فهمت الآن..أنت صديق مقرب وزميل في الرحلة ليس أكثر..وأنا إنسانة غير صالحة للحب..ليس هذا رفضًا لك..بل للموضوع بأكمله..أدركت الآن يا دان؟ أرجو أن تُغلق هذا الموضوع إلى الأبد وألا نتحدث فيه مرة أخرى.

تمنى دان وقتها لو الأرض سُقَّت وابتلعتة وحاول أن يرد ولكن عُصَبَه في حلقه من الحديث..وتركته وانصرفت أمّا هو فضل في مكانه عاجز عن الحديث ومن أمامه لازالت تلك النظرة البلهاء في عيني الصينيان..ولكن فَرَعَه الأكبر عندما حَدَّثَهُ الصيني بإنجليزية قائلاً:

- لاتحزن سيدي لو إردت إحضار فتاة لك الآن سأحضرها ولكن سوف تدفع بالطبع..وضحك الرجلان فما كان من دان إلا أن هرب من أمامهم بعد أن دفع ثمن التمثال والخاتم..

عاد دان مرة أخرى إلى تلك المنضدة فوجد الجميع إلا نور الذي تأخر وانتظره الجميع وما لبث أن أتى حتى ركبوا السيارة في طريق الصعود نحو الإستراحة القادمة على بعد مائة وخمسون كيلو مترًا..كانت الساعة تشير إلى الثانية عشر والنصف ظهرًا وأمامهم ساعتين على الأقل للوصول إليها..لذلك وضع كل منهم رأسه على كرسيه وكان لكل منهم ما يشغله ولكن أكثرهم كان دان..فسمح لنفسه أخيرًا بدمعتين تنسابان من مقلتيه..ولكن مرارة الألم منعناها من الإنحدار على وجنتيه فتسلتتا إلى جوفه..

لى- يا سادة سيحدث تعديل بسيط في جدول الرحلة سوف نبيت ليلتنا في الإستراحة القادمة والتي نصل إليها بعد ثلاث ساعات تقريبًا لوجود بعض الصخور التي تُعيقُ طريقنا ولن نستطيع السير بأكثر من هذه السرعة البطيئة..لذلك سوف أرتب لكم الإقامة في أحد الأماكن هناك.

ألبرت- وكيف عرفت يا مسترلى .؟

لى - من أحد السائقين القادمين من الإتجاه الأخر.

نور- ولماذا نقضى ليلتنا فلنستمر في طريقنا حتى نصل إلى نينغشيا.؟

لى- كيف يا سيدى إننا لم نقطع سوى مائه كيلو متر والساعة الآن الثانية عشر والنصف وعلى هذا المعدل سنكون قد قطعنا نصف المسافة بحلول الرابعة ولو استمرينا فمعنى ذلك أن نسير في تلك الصحارى ليلاً لهبوط الظلام سريعاً وهذا مستحيل خوفاً على سلامتكم..ما رأيكم؟

دان - فلتفعلوا أى شىء فليست مهتمًا سواء وصلنا الآن أو حتى بعد غد.

لى - حسناً بمجرد اقترابنا من البلدة القادمة سأخبركم...نومًا هنيئًا.

\*\*\*\*

في مساء تلك الليلة كان دان يَقْصُ على نور كل ما حدث نهار اليوم وهما مستلقيان في أحد الغرف الموجودة لدى أحد الأسر الصينية بعد أن رَتَبَ لى إقامة ليلتهم أما بقيتهم فقد تكفلت بهم أحد الأسر الأخرى.

- لقد أخبرتك يا دان..ولكنك لم تلتفت لى..كنت أرى نظرة عينها إليك..لا يوجد بها أى شعور بالحب.

- ولكنى كنت غرَّ ساذج يا نور..بمجرد رؤيتها أفيض معها بكل مشاعرى وأسرارى..طوال الطريق وأنا أفسِّرُ كافة مواقفها معى..طوال الطريق وقد راجعت مئات المواقف بيننا..فعلاً لم يكن هناك أى بادرة حب..كيف وقعت في فخها يا نور.؟ لأستطيع أن ألومها بل أنا الملام..

- أتدرى يا صديقى..عندما تكون غارقاً في الحب حتى أذنيك فإنه من المستحيل أن ترى عيوب نصفك الأخر..فوقتها تغشى عينيك سحابة

سوداء تخيم على حواسك..وما أن تتنازل أول خطوة في سبيل حبك فلن تشعر بنفسك وإلا قد بدأت سلسلة من التنازلات التي لن تنتهى إلا عندما تفيق من غيبوبتك..حينئذ سوف تنظر إلى الموضوع بنظرة محايدة..نظره شخص آخر يسدى لك النصيحة..وقتها ستبدأ في مراجعة نفسك ومواقفك عشرات المرات..لتندهش كيف لك أن تنازلت خطوة فخطوة..وستدرك كم أخطأت بدخولك هذه التجربة مع هذا الشخص بالذات..

- يبدو أنك أصبحت فيلسوفاً هذا الأيام يا نور.
- لست فيلسوفاً ولكنى أستنتج بعض النتائج من بعض البدايات الخاطئة..دان..هناك أمراً آخر أريد إخبارك به بخصوص روزى ولكن أرجو أن يظل الأمر فى طَيِّ الكِثْمَانِ..
- أمر؟ ماذا تريد إخبارى هذه المرة..؟هيا فإن المصائب لا تأتى فَرَادَى.
- هناك شيئاً ما بين روز وبن.
- شىء..؟ما طبيعة ذلك الشىء..لا تخبرنى أنها تهيمُ عشقاً بذلك القزم.
- ألا يوجد فى عقلك يا رجل إلا أحببت من وكرهت من؟ الحياة ليست حب فقط..انتبه ولتنس هذا الموضوع للأبد..هناك علاقة ما بينهم لا أدرى طبيعتها ولكن شيئاً ما مريباً يدور فى الأجواء.
- فلتتحدث إذن ولا تُلقِ لى بالغاز فعقلى لا يستوعب الآن أى تفكير.
- انتظر..(وأخرج من حقيبته الصورة التى وجدها داخل غرفة بن)..انظر إلى هذه الصورة يا دان التى سرقتها من غرفة بن وأخبرنى ما رأيك؟

أخذ دان الصورة ونظر فيها ملياً..لم يجد فيها سوى وجه روزى المبتسم بجوار أحد التماثيل الرُخَامِيَّةِ الموجوده فى الميدان الرئيسى.



وتركه واستلقى على فراشه.. ليحاول أن ينام بضع ساعات أما دان فكان يُقَرِّرُ شيئاً آخر ولكن في انتظار الصباح.

\* \* \*

## الفصل التاسع

(كان يسمع أن من يقترب أجْلُهُم يمر عليهم شريط الحياة أمام أعينهم وها هو شريط حياته يمر الآن .. لا يجد فيه أى شيء يَسْرُّ .. حتى الله لا يعلمه ولم يؤمن به)

obeikan.com

بدأت الرحلة مرة أخرى للذهاب إلى نينغشيا في بداية بزوغ النهار..وبعد عدة ساعات أخبرهم لى أنهم على مشارف المقاطعة..والتي كانت أقرب إلى الطبيعة الصحراوية في بعض مناطقها.. بينما ظهر على مرمى البصر مئات الأفدنة من المناطق الزراعية على ضفتى النهر الأصفر الذى يخترق تلك المساحات الخضراء فى تناسق عجيب..بينما لاح سور الصين العظيم فى الأفق مما أضفى على المشهد العام رهبة ما وخاصة عندما ظهرت مناطق الكهوف على يسارهم فى الطريق..

وصل الجميع إلى العاصمة نينغشيا فى حوالى الساعة الحادية عشر صباحًا ومنها أخذوا الطريق بجوار النهر الأصفر حتى وصلوا جميعًا إلى فندق ينتشوان..ولم تمض ساعة حتى كان الجميع فى بهو الفندق مرة أخرى بعد أن صعدوا إلى غرفهم ليغتسلوا ويقوموا بتغيير ملابسهم استعدادًا للرحلة إلى الكهف المنشود..وما هى إلا دقائق حتى ركبوا السيارة فى طريق الصعود إلى منطقة الجبال الصحراوية.

\*\*\*\*

وصل الجميع أخيراً إلى تلك الكهوف التى تمتاز بها نينغشيا وهناك فى داخل أحدها نجح إدوارد فى الوصول إلى أحد هذه المخلوقات..وبدأ الجميع فى النظر إلى عددها التى يبدو أنه لا حصر له..أما خلف هذه الكهوف كان مناطق جبال ووديان..شعر الجميع بالرهبة والرغبة فى العودة من حيث

أتوا وخاصة ألبرت الذى بدأ يشعر بقليل من التعب لمجرد التفكير أنه سيسير إلى تلك المنطقة.

قطع السكون الموجود فى المكان صوت لى وهو يقف فوق صخرة قائلاً:

- أرجو أن تعيرونى انتباهكم يا سادة سوف نسير على أقدامنا قرابة الخمس كيلو مترات حتى نصل إلى منطقة الكهوف الموجودة على اليسار وسوف نبدأ رحلتنا داخل تلك هذه الكهوف..أود الإشارة أن السير داخل الصحراء والمعابد والطرق شئ..والسير بداخل الكهوف شئٌ آخر..هناك الظلام دامس..هناك العديد من الزواحف..يجب الإلتزام بالحذر وإشعال مصابيحكم..بداخل كل حقيبة معكم ستجدون مياه وحبل ومدية وعدة إسعافات أولية والعديد من المعلبات التى تكفى عدة أيام..مدته رحلتنا ثلاث أيام وسوف يعود إلينا السائق فى منطقة تم تحديدها صباح اليوم الرابع بعد اجتياز تلك المناطق إلى الجهة الأخرى..وإذا ضللنا الطريق فسوف نجد خلف تلك الجبال العديد من القرى وقتها سوف نسأل عن أى وسيلة مواصلات تُقلُّنا إلى فندقنا ينتشوان الموجود بنيغشيا تذكروا الإسم..ينتشوان..وسوف نصطحب معنا دليل لتلك الكهوف ومساعد لنا..سنكون ثمانية أفراد وسيتم السير اثنين اثنين..حتى نصل إلى الجهة الأخرى المحددة لنا..أرجو أن تنتبهوا إلى خطواتكم..إذا ضللتم الطريق ستكون مشكلة لأننا سنعود للبحث عنكم وحينئذ سنظل نسير فى حلقة مفرغة..الكهوف واسعة بقدرٍ مُخيفٍ يا سادة فمن فضلكم أحر مرة..أحذركم..أحذركم انتبهوا إلى خطواتكم..سيروا خلفنا زوجين هل لأحذكم أى استفسار؟

صمت الجميع فبدأ الدليل فى السير..اقترب دان من لى قائلاً:

- لي أريد منك أن تسدي لي معروفًا؟ أريد شراء سلاح نارى.
- ماذا تقول يا مستردان؟ إن في ذلك خطر شديد لك وقد يعرضك.
- لي..لا تسدى لي نصائح من فضلك..إن لم تحضر لي ما طلبت سوف أذهب وأشتريه بنفسى..
- لا تفعل ذلك بحق الإله..سوف تكون عرضة لرجال العصابات في بكين أو في أى مكان..إنك سائح وهذا في حد ذاته مطمع لكثير من اللصوص.
- إذن فلتشتره أنت..
- ولماذا تريده يا مستردان؟ أهناك خطرًا ما تشعر به؟
- وأئى خطرٍ أشعر به أكثر من ذلك يا لي..وأنا أرى أن رحلتنا محفوفة بكثير من المخاطر والتي أنت نفسك تراها..وهذا السلاح لمجرد الدفاع عنا واستخدامه في الدفاع فقط.
- إذن فلتترك لي هذه المهمة عدة أيام لبعد عودتنا.
- اتفقنا وأرجو أن يظل ذلك سرنا حتى لا يشعر الجميع بالذعر من وجوده معى.

كان الطريق يزداد صعوبة كلما اتجهوا ناحية الكهوف..مما أثار تعب الجميع إلا الدليل الذى كان يسير كما عاز جبلى يجرى على أرض منبسطة..بينما الكل يسارع الخطا خلفه وقد قَسَمَا أنفسهم كما أخبرهم لي..فكان في المقدمة الدليل والمساعد..ومن خلفهم كان لي ومستر ألبرت والذى يطلب كل فترة الجلوس على أحد الصخور الموجودة في الطريق ليلتقط أنفاسه تاركًا حقيبته ليحملها له لي..ومن خلفهم كان بن يسير مع مس روز وكان يتبادلان أحاديث جانبية فشلت كل محاولات نور للتنصت عليهما..وفي الخلف كان نور ودان الذى لم يتكلم طوال الطريق..كانت الساعة تشير إلى الثالثة والنصف عصرًا والشمس قد أصبحت في الأفق

البعيد في طريقها للغروب بعد عدة ساعات..ولكن تأثيرها على الرمال الصفراء زاد من حرارة الجو وخاصة مع عناء حمل الحقائب..وهكذا ظلوا في السير حتى لاح لهم أخيراً في الأفق الكهف المنشود بعد أن كان لى ينظر كل فترة إلى منطقة الكهوف ويقرأ العلامات الموجودة في الخريطة المرسومة أمامه ويقف دقيقتين ثم ينظر يميناً ويساراً طوال الطريق حتى التفت أخيراً ناظرًا إلى نور مشيرًا إلى أحد الكهوف الكبيرة والذي كان على ارتفاع أكثر عن سطح الأرض..وبمجرد وصولهم إليه بعد خمس عشرة دقيقة أخيراً..نزع الجميع حقائبهم للجلوس والراحة في مدخل الكهف وبدأ المساعد تينغ في إعداد الطعام..وما هى إلا دقائق بعد انتهاء وجبتهم والراحة حتى بدأ الجميع رحلتهم داخله..كان من الداخل أكبر بكثير مما كانوا يتوقعون..اقترب الدليل من لى وأخبره ببعض كلمات.

لى- أخبرنى سونى دليلنا فى الرحلة أن هذا الكهف من أكبر الكهوف الموجودة وسنمر من خلاله إلى المنطقة الأخرى الجبلية..هناك مناطق خطيرة بداخل هذا الكهف فيجب توخى الحذر كما أخبرتكم.

نور- أسنعبير إلى الجهة الأخرى خلال ساعات الليل فقط يا لى.؟

لى - لا تتعجل يا مستر نور إن الكهف أكبر بكثير مما تتخيل ولن نعبر إلى الجهة الأخرى إلا بعد عدة كيلومترات من السير لن أخبركم بها ولكن أتمنى أن تكون الرحلة مفيدة وتجدون فيها ما تبحثون عنه.

روز- أشك فى ذلك يا مستر لى فوجود دليلك هنا ومعرفته بالطرق التى سنسير فيها معنى ذلك أن هناك العشرات ممن اجتازوا هذه الأماكن كرحلة ترفهية..وبالتالى فإنه من المستحيل أن نجد أثرًا ما أو إشارة تدل على وجود أى مخلوقات هنا.

لى - وما الحل من وجهة نظرك يا مس روز.

روز- لتخبره أن يسير بنا من الطرق الجانبية التى تصلنا فى النهاية إلى الناحية الأخرى ولكن من طرق لم يسير بها أحد..هل يقدر على ذلك.؟

لى - سأخبره بذلك ولكن قد يكون الطريق ذاته محفوظاً بالمخاطر.

روز- ولماذا اخترناكم إذن.؟إن رحلتنا ليست عادية فهى محفوظة بالمخاطر وعلى ذلك قررنا أن نسير فيها للنهاية ولكل شىء ثمن يا لى.

لى- مس روز اسمح لى أنا يهمنى فى المقام الأول سلامتكم وليس المال.

بن- لى فلتفعل ما تقوله روز من فضلك ولا تقلق سوف تمر الأمور بسلام.

لى - حسناً يا سيدى..( واتجه نحو الدليل سونى الذى بدا رافضاً فى أول الأمر لكن بعد فترة من حديث لى وافق أخيراً) .

لى - لقد وافق سونى يا سيدتى ولكن يحذركم أنه فى حال فقدكم بداخل أحد الكهوف فلن يعثر عليكم أحد ولو استعنا بالجيش الصينى بأكمله

روز- حسناً وأنا على أتم استعداد.

و بالفعل بدأ الجميع فى السير بعد أن نظرلى إلى دان وكأنه شعر لماذا كان يجب منذ البداية وجود سلاح نارى بالفعل.

بدأ الجميع فى السير بداخل الكهف والذى نبتت صخور حادة بداخله أشعل الجميع مصابيحهم الكهربائية بعد عدة مئات من الأمتار فى طريق يبدو أنه لا نهاية له..كان الجميع فى سكون ينبرون الطريق أمامهم إلا روز التى كانت تبحث عن شىء ما فى الجدران فلم تجد إلا تلك الصخور الصماء..وبعد فترة تغيرت تلك الصخور الحادة لتتحول إلى صخور

متجمعة في تكوينات مُعْطِيَةً أشكالاً أكثر رعباً بداخل الكهف..كانت الساعة تشير إلى السادسة مساءً وذلك معناه أنهم ظلوا ساعتين سيرًا على الأقدام في هذا الممر ولكنهم لدهشتهم لم يشعروا بأى اختناق وهذا يدل على وجود عدة فتحات تهوية في عدة أماكن أخرى بداخل الكهف..كان الممر يصعد بهم إلى أعلى دون أن يشعروا.

ظلوا هكذا يسيرون في مجموعات خلف دليلهم..حتى وصلوا جميعًا إلى كهف أكبر بكثير جدًا فكان سقفه يبعد عنهم قرابة التسع أمتار..وأمامهم على الجدران نبتت العديد من الطحالب الغريبة الشكل..اقتربت روز وأخذت عَيِّنَةً من الطحالب ووضعتها في حقيبتها..اقتربت الأرض وبدأ تونغ في إعداد الطعام وعلى الرغم من إحساسهم بالنشبع إلا أن لي أخبرهم أنه يجب تناولهم الطعام المخصوص في مواعيده لهم حتى لا يشعر أحدهم بأى تعب.

لي- هناك يا سادة عدة تفريعات للكهف..كان من المفترض أن نسير فيه حتى نصل في النهاية إلى الجهة الأخرى..ولكن لإصراركم سوف نأخذ أحد هاتين الفتحتين فأما إحداها تصل أيضًا إلى الخارج ولكن بصعوبة لأننا سنمر على مناطق صخرية أرضية حادة فإذا ما قَدِرَ لأحدكم الوقوع فهو مكسور لا محالة..أما الناحية الثانية فهي تهبط بنا إلى مكان ليس معلومًا ولا يدري سوني أى شيء عنه وخوفًا من أن نضل الطريق فلن نسير فيه.

روز- هو ذا..من فضلك يا لي هو ذاك الممر الذى ننشده.

لي (صارخًا)- لا بالطبع يا مس روز لن أسمح لكما.

روز- أنت في موقع لا يسمح لك أن تقول نعم أو لا..أنت مجبر على إيصالنا إلى ما نريد إننا في رحلة استكشاف ولسنا رحلة سياحية..وهدفنا في المقام

الأول هو البحث عن آثار وأنت لا تفهم أن بمرورنا في أماكن سارفيها عشرات من الأشخاص فإنهم بذلك يطمسون كل ما نبحت عنه.

لى - أولاً أنا لست مجبراً يا سيدتى إن ما يهمنى فى المقام الأول هو إيصالكم إلى بر الأمان.. ليس لى شأن بأى استكشاف أو ما تقومون به ما يهمنى هى سلامتكم فقط وأعتقد أن زملائك بالرحلة لن يوافقوك الرأى..

روز- ليس لك شأن بزملائى فلتقل أنك خائف من السير فى تلك المنطقة.

لى - لى لا يخاف أبداً يا مس..ولكن أسألى زملائك فإن وافقوا فأنا معكم..

روز- جميل جداً من منكم يوافقنى الرأى ( ونظرت إلى الجميع ).

أجابه بن - أنا معك بالطبع أما ألبرت فنظر إلى دان ونور ولم يُعقِب وقال ليس لى رأى فأنا معكم فى الحاليتين..بينما رفض دان بالطبع.

بن - إذن فلتخبرنا برأيك يا مستر نور؟

نور- ممم..اعذرانى يا سادة فأنا مُلزمٌ بتحقيق حلم أستاذى الراحل..أنا موافق يا مس روز.

تهللت أساير روز - أرايت يا مستر لى..موافقون..فلنبدأ.

لى - حسناً تذكروا جميعاً إن حدث لأى منكم أىّ مكروه فليست مسئولاً عنه..أنت يا مس روز ستكونى السبب فى هلاك أحدهم فى وقتٍ ما.

روز- (مبتسمة ) لا يهمنى يا عزيزى لا يهمنى فعلاً.

اقترب تينغ فى وضع الطعام فى أوانى خاصة وبدأ فى توزيع الطعام عليهم..اقترب لى من دان قائلاً:

-أنتَ لديك كل الحق بمجرد رجوعنا سوف أحضر لك سلاح نارى فوراً.

كانت الساعة تشير إلى الثامنة مساءً وقد حل الجميع التعب من السير عدة كيلومترات فاقترح نور عليهم أن يبيتوا ليلتهم في نفس المكان ليبدأ الجميع صباحًا السير في الإتجاه المنشود..وافق الجميع وأشعل سوني مع تينغ نارًا..حيث بدأت حرارة الجو في الهبوط داخل الكهف ونام الجميع بينما ظل تينغ وسوني يتناوبان حراستهم ليلاً.

وبعد عدة ساعات فزع الجميع على صراخ روز وهي تناديهم من داخل الكهف المشئوم كما أطلق عليه سوني..هرع الجميع إليها لم يجداها إلا بعد عشرات الأمتار وهي تقفز وتُشيرُ إليهم بمصباحها الكهربائي وتصيح بأسمائهم.

جرى الجميع إليها حتى سوني الذي غافلته ودخلت الكهف بمفردها وما أن وصلوا إليها حتى وجدوها جالسة على الأرض بجوار أحد الجماجم البشرية الضخمة وعدة عظام.

روز- رأيتم؟ ها نحن في الطريق الصحيح.. تلك هي آثارهم..انظروا لحجم الجمجمة.

دان- ليس هذا دليلاً أنه من جوج..التكوين الجسماني لا يدل على ذلك.

روز- أنت لم تعلم التكوين الجسماني لهم..أعتقد أن هذا يشبه المخلوق الذي عثرتم عليه يا نور.

نور- (كان نور في هذه اللحظة جالساً يفحص الجمجمة بمصباحه) لا أدري الحقيقة يا روز..فحجم الرأس هنا أقل..وكذلك الرأس يبدو أنها مُهشمة كنتيجة لضربة قاتلة تلقاها هذا المخلوق المسكين.

روز- صِغَر حجم الرأس قد تكون أنثى يا نور.

بن - إنكم لم تلاحظوا شيئاً آخر جوار العظام..إن عظم الساق على بعد عدة أمتار ومُقَيَّد بسلسلة حديدية وُضِعَت تحت حجر هائل..مما يشير أنه تم احتجاز هذا المخلوق وقتله على ما أظن..(وأشار بمصباحه للناحية الأخرى للجدار)

روز- هذا لا يمنع أنه من عائله جوج.

دان- إنك لم تدرسى علم الاجناس يا مس روز..هذه الجمجمة تعود إلى أحد أجدادنا الأوائل وليس بأى شكل من الأشكال جنس النايندرتال حيث تشير المعلومات الكثيرة التي جمعت عن أجدادنا أن أول البشر ظهر في جنوب إفريقيا..هذه النظرية تجعلنا نعيد التفكير بتاريخ التطور البشرى..لأنه كان سابقاً يعتقد أن أول من هاجر من أفريقيا إلى آسيا وأوروبا شخص طويل القامة ذو عضلات..وذو رأس كبير مقارنة بالآخرين..

روز - وما علاقة ذلك بتلك.؟

دان - لا توجد علاقة..هو من الجوج..أنتِ مقتنعه برأيك ومتشبثة به فليكن كما تريد.

وتركهم ليذهب حيث مكانه الأول..اقترب ألبرت من روز قائلاً:

ألبرت - أعتقد أنه على صواب يا بنيتي.

روز - فليكن سأحتفظ ببعض الآثار..لأنى أحتاج العديد منها فى أبحاثى.

وبالفعل شرعت فى أخذ بعض من آثار العظام وبعض العينات الموجودة معها..وبدأ الجميع فى مساعدتها..حتى أخذت كل ما يكفها من عينات وبدأوا رحلة العودة ولكن عند وصولهم اكتشفوا عدم وجود دان.

أما دان..فبعد أن انصرف غاضبًا سار في طريق العوده ولكنه وصل إلى طريق به ممران..فاحتار في الأمر ولكنه لم يريد المغامرة فقرر العوده حيث اجتمع الجميع أمام الجمجمة فعاد مرة أخرى وظل يسير حتى اكتشف أنه سار أطول مما ينبغي..وأنه في طريقه لفقد آثارهم داخل النفق فهدأ من روعه قليلاً وبدأ يقترب من الجدران الملساء ويضع أذنيه عليها حتى يسمع أصواتهم ولكن دون جدوى..وقتها لم تطاوعه كرامته على الصباح عليهم..بدأ يتتبع خطواته مرة أخرى حتى وصل إلى المكان الأول الذي فيه تفريعتان..كان يعلم أنهم في الجوار في مكانٍ ما لكنه أدار ضوءه في جميع الإتجاهات حتى رأى ممر صغير لم يسير فيه..تقدم نحوه واحتار في أمره هل يظل في مكانه حتى يكتشفوا غيابه ويبدأوا في البحث عنه أم يسير هو إليهم..؟ أخذته العزة بالإثم..فاختار أن يبحث هو عنهم وبدأ في السير داخل الممر وهو يرسل ضوءه إلى آخر مداه فلا يجد إلا انعكاسه على الجدران الصماء التي أمامه..بدأ في التوتر أكثر فأكثر وخاصة عندما وجد أن تنفسه يزداد صعوبة مما يعنى عدم وجود هواء في تلك المنطقة مما يزيد الأمر سوءًا ويؤكد أنه في الإتجاه الخاطئ..احتار أكثر في أمره وقرر العوده مرة أخرى في نفس مكانه وعندما بدأ طريق الرجوع اكتشف أنه داخل حلقة جدارية وهو يدور داخل دائرة..اخذ ينظر إلى خطواته حتى قاده إلى خارج تلك الدائرة كان هناك القليل من الهواء الآتى من بعيد..تقدم نحوه وهو يشعر بالإختناق وكلما تقدم كلما شعر بتيار أكثر من الهواء وكلما تقدم كان يشعر أن الأرض تهبط به حتى وصل أخيرًا إلى مكان فسيح قليلاً بدلاً من الممرات الضيقة..شعر أن قدماه ثقيلتان..وأنه الآن فقط ضلَّ طريقه ربما

للأبد..استند إلى الجدار الحجري المُقابل له وأغلق عينيه ومصباحه حتى لا يضعف لأن الطريق لا يزال طويلاً.

وبدأت الأوهام تسيطر عليه..كان يشعر بأنفاس ثقيلة إلى جواره فيفتح مصباحه فلا يجد شيئاً فتركه مضاءً..كان يسمع أن من يقترب أجَلُهُم يمر عليهم شريط الحياة أمام أعينهم وها هو شريط حياته يمر الآن ..لا يجد فيه أئى شئ يسُرُّ..حتى الله لا يعلمه ولا يؤمن به..وكان يرفض الطريق إليه..فها هو الآن يشعر أن أجله سوف ينتهى فى القريب العاجل..حاول أن يرفض ذلك الواقع فهض وبدأ فى السير والرجوع إلى مكانه الأول حاول كثيراً ولكنه لم يُفلح.

وتدريجياً بدأ التعقل فى الذهاب ليغزو مكانه التوتر والقلق بل والرعب..ليس لديه لا طعام ولا شراب والضوء ما هى إلا ساعات ويذهب أيضاً إلى الابد..كان يرفض الجلوس وانتظار الموت..بدأ فى التحرك أكثر وأكثر وهكذا ظلَّ لمدة ساعة يسير فى اتجاهات متضاربة أملاً فى العثور على نقطة التفرع التى بدأ منها دون جدوى..بدأ يحاول أن يتذكر كل الصخور أو الطريق الذى أتى منه..حتى بدأ ضوء مصباحه فى الخفوت.

بدأ طريقه فى الصعود مرة أخرى ولكنه اصطدم بحائط صخرى قضى له على كل آماله فى النجاء..وقتها بدأ فى الصراخ والصياح على مجموعته لعلمهم يسمعه..ولكن لا يوجد حتى صدى لصوته..لا يوجد إلا الصخر الأصم..حتى الضوء البسيط بدأ فى الخفوت تدريجياً حتى انتهى..وأخيراً ظلام دامس لا يرى فيه كف يده..وبدأت صرخاته الملتاعة بصوتٍ أعلى..بدأ فى الرعب أكثر وبدأ يجرى يميناً ويساراً..يتحسس الصخور والجدران يقع ويتعثروينهض ويتعثر مرة أخرى..لم يناله سوى ارتطام رأسه بالصخر المدبب ودمه الذى بدأ يسيل على وجهه..كان يشعر بشيح الموت قريباً منه..قريباً

لدرجة أن صوت أنفاسه كانت إلى جواره.. وقتها فقط شعر أن هناك مينة بشعة في انتظاره.. حاول أن يدعى الله أن ينجده ولكن كيف بعد سنين كفره وعدم إيمانه به؟

ساعات وساعات وهو يحوم كالفأر في المصيدة دون أى طريق للخروج وقتها هوى إلى الأرض جثة هامدة في انتظار الموت.. التصقت أذناه بالأرض عندما أغمض عينه في انتظار نصيبه المحتوم.. خُيِّلَ إليه أنه يسمع همهماتٍ بأصواتٍ تأتي من تحت الأرض.. فتح عينيه عن آخرهما لعلهم يكونون أصدقائه ولكن لذعره اكتشف أن تلك اللغة والهمهمات بلغة غريبة التكوين.. كأنها تصدر من الحلق وليس الفم.. أَيْعَقَلُ أن يكون بالقرب من جوج!!

كان مجرد التفكير في هذا الإستنتاج يملئه رعباً وخاصة عندما شعر أن هناك جسداً ما يقترب منه.. وشعر بشيءٍ ما يلتفّ حول قدمه مما جعله يهب مفزوعاً ويرفص هذا الشيء بقدمه الأخرى ليرطمه بالجدار المقابل ليسمع صرخة ثم بكاء طفل..

تَجَمَّدَ الدم في عروق دان ولعن اليوم الذى قرر فيه استكمال هذه المغامرة الحمقاء وخاصة عندما بدأ يسمع ذلك الصوت.. أطفلاً كان أو امرأة لا يدري.. ولكنه كان يُصْبِرُ همهماتٍ تقترب منه.. صوتٌ يتحدث بهدوء ثم يعلو فيصرخ.. ثم هدوءٍ آخر.. للأسف لم يدرك دان أن هذا الشيء يصبح على بقية قومه.. إلا عندما شعر أن هناك العديد من الأصوات قادمة.. بدأ دان في الزحف وهو يكتم أنفاسه خوفاً من افتضاح أمره ولكن بعد عدة أمتار لم يشعر بنفسه إلا وقد هوى في حفرة ألقت به في غرفة أخرى.. ولحسن حظه لم يقع على أى صخور بل وجد نفسه محاطاً بالكثير من الأعشاب الجافة.. كان هناك ضوءاً ما يأتي من بعيد يُلقَى بظلال على الغرفة

الحجرية وما فيها.. ظلَّ في مكانه قرابة الخمس دقائق وقتها اعتادت عيناه الظلام تدريجيًّا.. وقتها أبصر المكان الموجود حوله ولدهشته الشديدة وجد أن تلك الأعشاب مُلتَفَّة في ترتيب معين موجود بالغرفة.. كانت اسطوانية الشكل كل مجموعة بجوار بعضها البعض وكانت تتفاوت في الطول.. كان الهواء ثقيلًا جدًّا بالغرف مع رائحة تُزَكِّم الأنفاس.. اقترب من الحشائش لكنه توقف عندما شعر أنه في مقبرة جماعية وأن لا يوجد أمامه إلا بعض الجثث المدفونة والموجودة بداخل تلك الحشائش والتي تم دفنها بطريقةٍ ما على حسب شعائر تلك القبائل المجهولة وهذا معناه أنه في الجوار قبائل تعلم تقاليد الدفن ولديها العديد من الأفكار البشرية حتى وإن كانت بدائية.. تَحَيَّرَ في أمره أيذهب ناحية الضوء وليكن ما يكون أو ينتظر في مكانه حتى يتم اكتشاف أمره من أصدقائه.. ولأن اختياراته كانت خطأ في كل مواقف حياته فقرر أن يذهب ناحية الضوء.

\*\*\*

كان لي يصرخ في الجميع يمينًا ويسارًا ويحاول أن يوجه سوني وتينغ في البحث عن دان.. أما ألبرت وروز فقد تركهم في مكان المبيت أملاً في استقباله حين عودته.. كانت روز تبكي وهي تشعر أنها المسئولة عن فقدان دان وخاصة عندما بدأ لي يوبخها بأشد الألفاظ وهي لم تقدر على النطق بينما ظل ألبرت يتلو صلواته.

بدأ الجميع التوجه في السير حيث يخبرهم سوني وهو يقتص أثر دان الذي بدا في بعض الأماكن يدور حول نفسه وهم يحاولون بصعوبة السير في نفس الإتجاه الذي سار فيه مع ترك بعض العلامات ليسترشدوا بها في

طريق العودة هذا إن قُدِرَ لهم العودة كما كان لي يُوَجِّحُ نفسه أنه كيف  
انساق وراء تلك العاملة المُخْتَلَّة.

كان نور في أشد حالات القلق على صديقه وهو ينظر برعب إلى تلك الكهوف  
الداخلية ويشعر أن هناك من سيظهر لهم في أي وقت فكان يُسَلِّطُ ضوءه  
دائمًا على تلك الجدران الصخرية بينما كان بن محتفظًا بكاميرته كالعادة  
وهو يسير من خلف نور حتى أنه صرخ فجأة ففزع الجميع وخاصة نور  
الذي كاد أن يُغشَى عليه.

بن - انظروا إلى هذا النقش؟

نظر الجميع ناحية ما كان يشير بن فوجدوا نقوش على تلك الجدران واقترب  
الجميع منها.. وفحصها نور ولكنه لم يُعَقِّبَ بينما هتف بن أنها نقوش  
حجرية أرى أنها تعود إلى آلاف السنوات.. إن ذلك اكتشاف في حد ذاته يا  
أصدقائي.. لا بد من إحضار البروفيسورة روزاليندا إلى هنا.

لى- مستر بن.. من فضلك أنا أبحث عن رجل مفقود وإذا لم نتحرك سريعًا  
فسوف نفقده في تلك الكهوف إلى الأبد فمن فضلك دعنا الآن في مهمتنا  
وبعد ذلك سوف نحضر الجميع لمشاهدة نقوشك اللعينة.

لم ينطق بن لشعوره بالخزي.. ولكنه طلب من نور تسليط ضوء مصباحه  
على تلك النقوش وقام بتصويرها من كل زاوية متاحة.

نور- من فضلك يا مستر بن.. هيا من فضلك.

- ما بك يا نور؟ دقيقة أخرى و سنمضى.. ما بك ترتجف هكذا؟ أ رأيت  
شيئًا ما؟

- لا.. ولكنى أشعر بضيق في التنفس فقط.

- حسنًا هيا لقد اكتفيت بما صورته..أرجو فقط أن يظهرها بوضوح أثناء التحميص فأنت تعلم أنه ليس هناك أى ضوء كاف وهذا.

لى ( صارخًا)- من فضلكم هيا لن نبقى طوال الوقت بجوار النقش.

استمر الجميع فى السير تاركين مرة علامات صخرية فى طريقهم..لكن مرات عديدة كانوا يدورون أيضًا فى حلقة مُفَرَّغَة..نظر لى فى ساعته كانت تشير إلى الساعة صباحًا أى أنهم فقدوا دان منذ أربع ساعات تحديدًا عندما دخلوا الكهف مُسْرِعِينَ على صيحة روز..وها هم الآن يبحثون دون جدوى..بحث الجميع على أحد الكهوف المخفية فى طريق العودة أو مكان لم يدخلوا فيه فلم يجدوا.

استمروا فى البحث مرات ومرات..حتى أعلن لى الكفَّ عن البحث عندما حَلَّت العاشرة صباحًا واكتشف أنه يدور دائمًا فى حلقة مُفَرَّغَة..ست ساعات كاملة وهم يدورون ويدورون فى نفس الدائرة..فأصْرَر على العودة من حيث أتوا وليخرج الجميع خارج هذا الكهف الملعون حتى يتم إبلاغ الشرطة وفرق البحث والتي كان يعلم من داخله أن ذلك بلا أى جدوى..وأنه فقد دان إلى الأبد..

كانت خطواتهم ثقيلة من عدم وجود هواء بوفرة داخل الكهف وشعر الجميع بالدوار..حتى طريق العودة كادوا أن يضلوه لولا ظهور بعض العلامات الإسترشادية الإحتياطية التى كانوا يقومون بها..كان نور يشعر من داخله أن هناك من يعبث بتلك العلامات حتى يَضِلُّوا الطريق أو حتى يفقدوا أثر دان إلى الأبد ولكن على الرغم من ذلك حمد الله على أنهم عثروا أخيرًا على طريق العودة..فقد أجبر على الدخول فى تلك الأماكن على الرغم من عقده من رُهاب الأماكن الضيقة والتي أخفى سِرِّهَا عن الجميع.

والآن عليهم مهمة أكثر صعوبة وهي إبلاغ ألبرت وروز بفشلهم في المهمة..وعندما لاح الجميع لألبرت هرول ناحيتهم ليسألهم عن دان وينظر خلفهم لكن دون أى جدوى.. ولكنه صُعِقَ عندما نظر خلفهم.

وبعد أن أخبرهم لى بحقيقة الوضع وقع الأمر على رؤوسهم كالصاعقة وخاصة روزالذى استمرت فى البكاء بعد أن شعرت أنها السبب فيما حدث لدان..أمرهم لى أن عليهم حزم متاعهم الآن ليبدأوا فى رحلة العودة سريعاً لإبلاغ فرق البحث دون أن يسمح لأحد بمعارضته.

وبالفعل بدأ الجميع فى التحرك ناحية الخروج بينما ساربن مع روز محاولاً أن يخفف عنها الشعور بالذنب الذى كان يطغى عليها وسط ابتسامة نور المتهمكة اقترب ألبرت من نور الذى كان ينظر باستهزاء إليها

ألبرت- نور..لماذا لا نعود ونبحث مرة أخرى؟

- لقد بحثنا عشرات المرات يا ألبرت دون جدوى..فأنت بمجرد سيرك عدة أمتار بداخل هذا الكهف الشيطانى فإنك تدور فى حلقة مُفَرَّغَة لا خروج منها لدرجة أنك لا تعلم مدخل الكهف الذى دخلت منه أو سوف تخرج منه..إنها متاهة لا خروج منها..أدعو الله أن يستطيع دان الفكك بشكلٍ ما منها .

- أتدرى يا نور هناك شيئاً أود إخبارك به حدث قبل قليل.

- أى شىء يا ألبرت؟

- وأنا استقبلكم منتظرًا عودة دان من وراءكم..أقسم لك أنى رأيت مخلوقاً غريب الشكل يشبه الإنسان إلى حَدِّ كبير يزحف على الأرض خلفكم..لم أبصره جيداً فيبدو أنه جفل منى أو جفل من مصدر الضوء العالى هنا..كنت أشعر أنى أهزى أو لم أرى جيداً.

- لا يا ألبرت لا تخبر أحد بذلك..ربما خُيِّلَ لك من تأثير الظلال الموجودة..فلو كان هناك أى مخلوقات بداخل هذا الكهف لكنا قد رأيناها يا عزيزى..أو حتى هجمت علينا.
- نعم..لديك حق فى ذلك.اعذرني فأنا مُجْهَد من تلك الرحلة التى يبدو أنها ستكون مأساوية فى نهاية المطاف.

صمت نور وهو يربت على كتف ألبرت..بينما من داخله كان فى أشد حالات الرعب رغم كذبه عليه..فقد شعر طيلة الوقت وهو بداخل الكهف أن هناك من يتبعهم.. بل ورأى خيال كائنًا زاحفًا على بطنه.

\*\*\*\*

بدأ دان يقترب من الضوء الآتى من بعيد ولم يرض بالموث فى تلك المقبرة الجماعية والتى بدت أنه لا نهاية لها إلا فى آخر الممر..اكتشف أن تلك الغرفة متصلة بممر ضيق فى آخره مصدر ضعيف للضوء..لصق جسده بالجدار حتى لا يدوس بأقدامه أحد تلك الجثث وجاهد بصعوبة حتى وصل أخيرًا إلى الممر الذى كان بالكاد يكفى أن يزحف خارجه..استلقى على بطنه وبدأ يزحف على يديه..كان بطول حوالى ثلاثون مترًا وبدأ فى رحلة الذهاب للمجهول ولكنه كان الطريق الوحيد للخروج إذا قُدِرَ له الخروج.

استمر فى زحفه قرابة الأربع دقائق بعد أن امتلأ وجهه بالتراب والحصى الصغير الذى كان يقطع جلد يديه..لكنه استمر فى الزحف حتى وصل أخيرًا إلى غرفة صخرية..فرد قامته بمجرد الوصول إليها وكان الضوء الضعيف يغمرها رأى أن هناك خمس ممرات تشبه الجحور تمامًا وبنفس شكل النفق الذى سار فيه فعلم أنه فى أماكن الدفن لتلك القبائل..حاول أن

يرى أى مكان آخر للخروج لكنه لم يجد..ولكنه لغبائه اكتشف أن الضوء يأتي من اعلاه وليس من جانبي الغرفة..

كان سقف الغرفة قريباً جداً من رأسه ومنه رأى أن هناك فتحة تكفيه للصعود منها اقترب بهدوء وحذر فلم يجد أى أصوات..رفع رأسه بهدوء كان الضوء هناك أكثر قليلاً فيبدو أن ضوء الشمس يتسرب من مكانٍ ما في الجوار وأن هناك عدة شروخ في الكهف يسرى خلالها ضوء النهار..رفع يديه ليستند إليها حتى يرفع ثقل جسمه ليخرج من تلك الفتحة الموجودة وبالفعل خرج منها ليجد نفسه في مكان فسيح جداً والشروخ تنقل إليه ضوء الشمس الذى كان يغمر المكان..نظر إلى ساعته كانت تقارب الثامنة تماماً..شعر بالظمأ ولكن هيمات أن يجد ماء في هذا المكان القفر ولكنه تذكر أن هناك قبائل أخرى تعيش في مكانٍ ما بالقرب منه فلا بد من وجود مصدر للماء..كان فقط يشعر بالخوف من ظهور أحدهم أمامه..وعندما نظر في كافة الأرجاء حوله لم يجد أى أثر لأى شخص..لكن السبب بالطبع هو ضوء النهار..فتلك المخلوقات ليلية وأعينهم لا تتحمل الضوء المباشر..وبالتالى فهو في أمان إلى أن تغرب الشمس..وعليه أن يجد طريقه للخروج في أقرب فرصة.

لم يكن ضوء النهار يغمر المكان بالكامل فهناك في جوانب الكهف الكثير من العتمة والتي كان لا بد من السير فيها..نظر في الجوار فوجد عصا خشبية تُقاربُ المتر والنصف مدَّ يدهُ لأخذها ولكنه توقف في اللحظة الأخيرة عندما وجد أن تلك العصا لم تكن سوى عظمة كبيرة لشيءٍ ما..لكنه تماسك وأخذ تلك العظمة لتكون سلاحاً له على الأقل في حالة الدفاع عن نفسه..سار عدة أمتار في اتجاه ممر رئيسى وظل في السير بمحاذاة الحائط

يحاول أن يسمع أى همهمات ولكن دون أى جدوى.. وهكذا ظل في السير ساعات دون أن يسمع أى شىء أو حتى يخرج من هذا الكهف الملعون.

كانت الساعة في يده تشير إلى الثانية عشر ظهرًا وقد بلغ التعب منه مدى لا يمكن الهروب منه فقد أنهكه السير والبحث والدوران حول نفسه منذ تسع ساعات لم يذق خلالها نومًا ولا طعامًا أو شرابًا.. كان يريد فقط لو استراح نصف ساعة ليبدأ رحلة البحث عن مخرج ولكن أين؟! كم تمنى أن يكون معه مصباحه الآن.. ظل في مسيرته تلك يقف حينًا ويسير أحيانًا ويجلس مستندًا على أحد الحوائط الصخرية حتى سمع صوت خرير مياه. لم يصدق أذنيه في بادئ الأمر لكنه ظل يضعها على الجدران حتى أصبح الصوت أكثر وضوحًا وخلف ذلك الجدار تحديدًا.. أخذ يدور حول الجدار كالمجنون حتى لمح فتحة صغيرة في الجدار تعبته إلى الجانب الأخر لكنها في ظلام دامس.. ولكنه ليس لديه ما يخسره فهو في الحالتين مفقود وفي طريقه للهلاك فدخل في تلك الفتحة وزحف على بطنه حتى وجد نفسه في أكثر مشهد كان يتمناه على الإطلاق.

كانت الفتحة تنتهى عن منحدر صخرى و كان أسفل منه على بعد ثلاث أمتار جدول صغير يجري تم تكوينه من الشقوق الحجرية في الجدار المقابل والتي كان شبح ضوء النهار يسيل من بعض فتحاتها وكذلك كان هناك بعض الشقوق الأخرى يسيل الماء منها إلى الجدول مُطْلِقًا رزازًا بسيطًا.. كان له وقع السحر على دان.. كانت العقبة الوحيدة أمامه هي بُعد الفتحة عن الأرض الصخرية فإما أن يُغامر دان ويقفز داخل المياه وربما كانت ضحلة فتتكسر ساقه.. أو يُنزل ساقه أولًا ثم يقفز مقتربًا من الأرض.. وقد كان.. وفي النهاية قفز حتى وصل إلى جانب الجدول.

التفت يميناً ويساراً ممسكاً عصاه العظمية مستعداً لأى حركة مُبَاغِتَةً من أى شىء بجواره ولكن لم يجد سوى السكون.. اقترب من الماء وأخذ بعضه فى يده ليتذوقه أولاً.. كانت المياه باردة ولم يتذوق فى حياته فى جمالها قط.. ربما كان الظمأ هو ما جعله ينكفى على وجهه ويشرب ويشرب وكأنه لم يرى الماء طوال حياته.

لكنه لم يشعر بالشىء الذى يقترب منه واضعاً يده على عينه لِيُخْفِي بعضاً من نور الشمس مقترئاً من دان فى صمت.

كان دان لا يزال يشرب مقترئاً من صفحة الجدول التى كانت الظلال تتراقص عليها وقتها حُيِّلَ إليه أن هناك كائنًا ما ينظر إليه فى الماء.. جفل فجأة وتوقف عن الشرب وتيبست أطرافه عندما تيقن أن هذا الكائن يقف على يساره تمامًا.. التفت دان فى هدوء مُمَيَّت على يساره ليجد شيئاً ما يقترب طوله من خمسين سنتيمتر ووضعاً يديه على عينيه.. حاول دان أن يقترب من العصا الموجودة خلف الكائن ولكن دون جدوى.. حاول أن يتفرس فى ملامحه بينما اقترب الكائن منه فى سكون وهو يُصْدِر تلك الأصوات الغريبة من حلقه بالفعل وكان يمد يده ليتحسس كتفى دان.. وقتها نظر إلى تلك الجمجمة التى أكبر من جمجمة الإنسان بمرة ونصف.. ولا يوجد لديه أذنان بل فتحتان صغيرتان على جانبي الوجه الذى كان يشبه ثمرة الكمثرى تمامًا.. كانتا عيناه ضيقتان بعيدتان تكادا أن تكونا بجانبى الوجه مع أنف بسيط بفتحتين صغيرتين فوق شفاه دائرية الشكل.. أما رأسه فقد تكاثرت التجاعيد عليه بالطول وليس بالعرض.. لم يتحرك دان بل ظل يرتعد دون أن يقوم بأى حركة قد تجعل المخلوق يغدر به.. ولدهشتهه ابتمسم المخلوق وهو يُطَلِّق ذلك الصوت الذى كان يُجَمِّدُ الدم فى أطراف دان.. ابتعد عن دان قليلاً وهبط إلى البركة ليشرب كما كان يفعل دان من فترة.. حاول أن يراه أكثر فوجد يداه طويلتان تصلان إلى ركبتيه

وأطرافه تشبه إلى حَدِّ كبير أطراف الإنسان..بدأ الروع في الذهاب عنه رويدًا رويدًا حتى أنه جلس ليشاهد ما يفعله المخلوق..والذى افترش الأرض أمام دان بينما كان النور بعيدًا عنه فجلس في منطقة بعيدة عنه وأخذ هو الآخر يتفرس في وجه دان وَيُحَدِّثُهُ وَيُشِيرُ إليه..ويبتسم..وقتها شعر أن المخلوق ما هو إلا طفل ويجب عليه ألا يخشاه..وبالفعل اقترب دان منه ومد يده ببطء ناحيته فما كان من المخلوق إلا أنه مد يده لأمسًا يد دان الذى سرت قشعريرة في يده..فكان جلد المخلوق مُعْطَى بطبقة كثيفة تشبه قشور السمك..أشار له المخلوق أن يتبعه..وسار أمامه ووقف وأشار له أن يتقدم..وكانما كان دان مسلوب الإرادة فقد سار خلفه وهو لا يعلم مصيره ولكن الفضول بداخله من المستحيل إيقافه.

ظل دان يسير وراء المخلوق قرابة الخمس دقائق في ممرات في منتهى الضيق وتكفى بالكاد أن يمر شخص واحد فيها وكلما نظر دان وراءه في محاولة أخيرة للتفكير في الهروب كان الطفل يلتف ناحيته هو الآخر ويصدر ذلك الصوت الغريب مشيرًا إليه أن يتقدم.

وصلوا إلى حفرة صغيرة في أرضية أحد الغرفات الحجرية وأشار إليه الطفل أن يتقدم ويقفز..لكن دان ابتسم مُشِيرًا إليه برأسه نافيًا ذلك..كرر المخلوق الطلب وهو يشير إلى دان بالقفز..لكن دان أخذ يشير بيديه إلى الحفرة صارخًا:

- لا.. ألاتفهم..؟كيف سأقفز أمها الغبي إن الحفرة يبدو أنه لا قاع فيها.

أشار إليه الطفل مرة أخرى وأخذ في الحديث وهو يشير بإصبعه ناحية شيئًا ما لم يتبينه دان..فاقترب أكثر هو ينظر إلى ما يشير..وفجأة ودون أى مقدمات وجد دان نفسه مدفوعًا إلى داخل الحفرة والتي لم تكن سوى

ممر منزلق لا يدري كيف صنعه والذي يشبه الأنفاق المنزلقة في ملاهى الأطفال..

استمر الهبوط قرابة نصف دقيقة وهو في أشد حالات الرعب وخاصة عندما لم يلمح المخلوق وراءه وما هي إلا ثوانٍ أخرى وهبط من الممر المنزلق ليجد نفسه داخل كهفٍ آخر.. ولدهشته كان يوجد به نيران مُشْتَعلَةٌ.. لم يتبين أن هناك من ينظر إليه بفزع في أول الأمر ولم يشعر إلا ومخلوق ضخمٍ آخر يقرب منه في هيستريا وهو يهوى على رأسه بقطعة خشبية وهو يُطْلِقُ صُراخًا حادًا..

\*\*\*

خرج عدد من رجال الشرطة خارج النفق ليذهب رئيسهم إلى لى الذى كان يسير أمام مدخل الكهف يمينًا ويسارًا وهو يلتفت إلى بقية المجموعة حيث كانوا في أشد حالات القلق وهو ينتظرون رجال الشرطة الذين ذهبوا لاقتصاص أثر دان منذ أكثر من ست ساعات ولكن دون أى بادرة أمل.. وبالفعل التف الجميع سريعًا حول الظابط الذى أخبر لى بأنه لا يوجد أى أثر لدان رغم بحثهم عشرات المرات في كافة أرجاء الكهف باستعمال المصابيح القوية وحتى كلاب الشرطة التى استعانوا بها.

لم ينتظر الجميع ترجمه ما قاله الظابط بل لمح الجميع خيبة الأمل التى لا حدود لها في أعين لى :

لى - لا يوجد أى أثر فالكلاب تقف عند نقطة معينة خلف الجدران وتظل تنبش دون وجود أى فتحة للدخول.. هناك سرًّا ما داخل تلك الأحجار لا يمكن حلها.. احزموا حاجياتكم فسوف أُلغى الرحلة ولنعد إلى الفندق وندعو الله أن يخرج دان أو يميته ميتة لا عذاب فيها.

كان نور ينظر إلى روز بمنتهى الجِدَّةِ والتي حاولت أن تتلاشى الإصطدام به بينما ألبرت ظل يدعو الله ويبتهل لعله يجعل لدان مخرجًا أما بن فضل يكتب في أوراقه جميع ما حدث.

\*\*\*\*

أفاق دان تدريجيًا ولم تعد عيناه الظلام الموجود.. ثم شيئًا فشيئًا وعلى ضوء بعض النيران المشتعلة أبصر عيونًا كثيرة تُحِيطُ به.. هَبَّ من رقدته جالسًا فوجد المخلوق الضخم الذى هوى بقطعة خشبية على رأسه يقترب منه ويبدو عليه علامات الأسف بينما قفز الطفل بجوار دان وهو يحاول أن يشرح له لكن دون أى جدوى.. وضع دان يده على موضع الألم فوجد العديد من الأعشاب المغلية الموضوعة على رأسه.

فكانت هى من خففت نزول الدماء التى كانت تغطى قميصه.. كان يشعر على الرغم من هيئة الجميع المُرْعِبَةِ إلا أن الجو العام كان يوحى بالود والإطمئنان.. وبدأ يلتفت حوله فوجده يجلس فى مكان فسيح ملىء بالعديد من تلك المخلوقات التى تشبه الإنسان إلى حَدِّ كبير مع اختلاف حجم الرأس وطول اليدين والقوة الجُسْمَانِيَّة.. بدأ أحدهم فى الحديث إليه.. أشار دان يمينًا ويسارًا على أنه لا يعى كلمة مما يقوله المخلوق الذى يبدا أنه فهم وصمت.

ولدهشة دان قرر المخلوق أن يفعل آخر شىء.. فجلس على الأرض بجوار دان وبدأ فى الرسم بإصبعه على الرمال الموجودة.. فغر دان فمه من الدهشة من صنيع المخلوق وبدأ يفهم ما كان يحاول قوله..

بدأ يرسم مثلث كبير وبداخل المثلث بدأ يرسم خطوط مستقيمة كثيرة بجوار بعضها.. ومن خارجه بدأ يرسم دوائر.. أشار ناحية دان وأشار ناحية

الدوائر ثم عاد مرة أخرى وأشار لصدره ثم الخطوط المستقيمة.. وبعد ذلك مسح الرسم ليرسم ذات المثلث وقد دخلت الدوائر فيه ثم رسمًا آخر عدة دوائر حول أحد الخطوط التي أصبحت مستقيمة وكأنها تعتدى عليه.. وبعد ذلك رسم دوائر في كل مكان..

علم دان أن كل ما يقصده المخلوق أن هذا هو عالمنا وأنتم عالمكم خارج هذا المكان وأنتم عندما تدخلون فإنكم تقتلوننا وتبيدوننا.. علم أن هذا المخلوق له فكر وتاريخ ومعرفة وليس بأى حال من الأحوال كائن همجي عدواني ينتمى لجوج.. مسح دان الرسم الموجود وحاول أن يُوَصِّلَ فكرته للمخلوق فرسم عدة دوائر.. ودوائر أخرى خلفها.. ثم رسم دائرة واحدة تدخل المثلث ثم مسح الدائرة ورسمها في مكانٍ آخر بداخله وهكذا.. ثم رسم خَطًّا صغيرًا بجوار الدائرة وأشار إلى الطفل وابتسم.

زجر المخلوق الضخم ومسح الرسم وقام واقفًا ناحية العديد من بقية قومه.. كان ذلك المخلوق ينتمى إلى أحد السلالات البشرية النادرة والتي تسكن في الكهوف منذ آلاف السنين ولم يعثروا على أى دليل مادي لوجودهم ولا ينتمى بأى حال من الأحوال لطائفة الجوج.. فهذه القبائل كانت مسالمة ونباتية الأكل وكانت تتكاثر بطرق غريبة وبالفعل كان كل ما أخبر به روز صحيحًا وها هو الدليل المادي أمامه.

شعر أنهم يتشاورون نحو تقرير مصيره.. اقترب الطفل منه وهو يبتسم مرة أخرى.. وقتها شعر دان أنه كم يود أن يُحِطَمَ تلك الرأس الصغيرة التي أودت به إلى هذا المكان.

اقترب أحدهم من دان وبدأ يشير إليه بأن يقوم معهم.. نظر في ساعته كانت تقارب السادسة مساءً أى أنه قضى يومًا كاملًا داخل تلك الأنفاق.. كان يشعر بالدوار المستمر وهو يسير خلف المخلوق الذى أشار له أن يتبعه.. ومن

خلفه كان هناك ثلاثة آخرون ويبدو على ملامحهم الرعب دون سبب..لم يُدرك أئى مصير سوف يُلقونَ به إلا عندما وجد الطفل يطلق صراخًا حادًا وهو يمسك بتلابيب دان وقتها عرف أنه فى طريقه إلى الموت المُحقَّق..حاول أن يُقاوم ولكن دفعة من أحدهم جعلته يسير على الرغم منه..وهكذا ظلّ فى المسير حتى وصلا إلى حائط أصمّ وقفوا أمامه وبدأوا فى التضرع والإبهال..شعر وقتها أنه فى سبيله ليكون قريبًا لأحد ألهمهم الوثنية..شعر برغبة شديدة فى البكاء..اقترب المخلوق الذى كان يحاور دان منه..بينما بدأ الثلاثة الآخرون يزحزون الصخره وهم يطلقون صرخات تُصمّ الأذان مما جعله يرتعد أكثر فأكثر..رفع المخلوق يده ناحية دان ووضعها على فمه بمعنى إلا يتحدث..أو ألا يبيكى..أو شيئًا آخر لم يفهمه دان..ثم وضع يده على كتفه بعد ذلك..ومن خلف دان شعر بوجود تيار من الهواء البارد يلفح جسده من الخلف حاول الإتفات ليجد آخر مشهد كان يتوقعه..رأى السماء المُظلمة والى تراصت بها النجوم أمامه وأن تلك الفتحة ما هى إلا وسيله للوصول إلى عالمه..نظر خارجها فرأى النهر الأصفر يلوح فى الأسفل..وقتها علم أن تلك الرسالة ألا يخبر أحدًا بهم أو بسرهم..التفت ناحيته مرة أخرى أشار إلى فمه واضعًا يده وأشار بالنفى برأسه وابتسم..والتفت مرة أخرى ناحية الفتحة ولكنه تسائل عن كيفية هبوطه إلى النهر..ولكن دفعة من الطفل القت به من ارتفاع عشرون مترًا حتى ارتطم بمياه النهر المتجمدة.

\* \* \*

obeikan.com

## الفصل العاشر

(الأعداء أقرب إليك أكثر مما تتصور)

obeikan.com

كانت رحلة العودة إلى ينتشوان من أقى ما يكون على أعضاء البعثة فلم ينطق أيًا منهم بكلمة حتى روز التي كانت تشعر بتأنيب ضمير لا حدود له..ربما لأنها أصرت على السير في طريق ملء بالمخاطر دون مراعاة ما قد يحدث..من داخلها كانت مقتنعة أنها عالمة فقط..كل علمها سخرته لمعملها وأبحاثها وليس لها في المغامرات أو الرحلات الإستكشافية..كانت حياتها تسير على وتيرة واحدة هادئة..حتى اقتحم ذلك الغريب حياتها هي ووالدتها..كانت فكرته تتلاقى نظريًا مع ما كانت تحاول أن تقوم به طوال حياتها..جلسوا كثيرًا وكثيرًا في معملها حتى أدوا سويًا عشرات التجارب ليصلوا إلى نقطة معينة..ولتحقيق ما يحلمون به رحلا سويًا إلى الصين..وخططا لتكون ضمن أفراد البعثة..لتحاول الوصول إلى تلك القبائل..وها هو فشل تلو الأخر..حتى وصلت إلى فقد دان..ربما كان الشخص الوحيد في العالم الذى أحبها بصدق وكانت تصده المرة تلو الأخرى لأن الحب ليس له مكان بقلبيها. ولكن بعد ما حدث هذه الليلة جعلها تقرر العودة مرة أخرى لبلادها..ستذهب إلى فندقه اليوم وتبلغه قرارها الأخير..ومن الغد سوف ترحل إلى معملها ولتكمل أبحاثها الشخصية في علم الوراثة.

وصلت أخيرًا إلى فندقها وصعدت إلى غرفتها..ولكنها فوجئت بعد دخولها بوجوده ينتظرها..اندهشت عدة ثوانى ولكنها تماكنت نفسها وحزمت أمرها وألقت حقيبتها بجواره على الأرض..واقتربت صارخة:

- اسمعنى جيدًا..أنا لست قادرة على الإستمرار بهذا الشكل..إن مكانى داخل المعمل وليس فى الجبال..لقد فقدت اليوم أكثر شخص أحببى فى يومٍ من الأيام.

اقترب منها معتذراً..جلس بجورها وشرع في التخفيف عنها وبدأ في الحديث.

\*\*\*\*

- يشوان يتشتونان ..شيشوانتان..

حاول دان أن يتذكر اسم البلدة التي يقيموا فيها أمام الجمع من رجال القرية الصينيين الذين أنقذوا دان..بعد أن كان أحدهم يجلس في قاربه وقفز لينقذه من الغرق ويعود به إلى القرية..حيث استضافه في بيته وأعطاه ملابس جافة وتركه ليستريح حتى الصباح..وبمجرد ظهور أول ضوء للشمس هَبَّ من نومه فزَعًا على إثر كابوس مرَّ به..ليجد أحدهم في انتظاره ولكنه فشل في الحديث معه فلم يكن هناك أيّ شخص بالقرية يفهم الإنجليزية..حاول أن يتذكر اسم البلدة دون جدوى..

فكان اسم الفندق على اسم البلدة ولكن كان من العسير تذكر ذلك الاسم الصيني..فأخذ في ترديد الاسم حتى اقتربت منه فتاة صينية.

- ينتشوان؟

- ينتشوان.. نعم نعم هي تلك البلدة كيف أذهب إليها؟

تهللت أساير دان وهو يحاول أن يُفهمهم بلغ الإشارة أنه يريد أن يذهب إلى تلك البلدة..حتى اقترب منه شابان وطلبا منه أن يتبعهم.

شكر دان رجال القرية وبدأ في الذهاب مع من تطوع إلى توصيله لأقرب مكان يستطيع أخذ أيّ وسيلة مواصلات حتى البلدة..كانت الساعة تشير إلى العاشرة صباحًا وهو لا يزال في السير منذ قرابة النصف ساعة حتى أشار له الشابان على محطة قديمة تلوح في الأفق وبإدلايه التحية ثم عادا أدراجهما.

لم يكن دان يتخيل أنها بهذا البُعد.. ظلَّ قرابه الساعة يسير تحت شمس الصين الحارقة في هذا الوقت من الصباح حتى وصل أخيرًا إلى موقف قديم الشكل به عدة مقاعد حجرية وكشك خشبي إلى جوارهم.. اقترب من العجوز الجالس ممسكًا جريدة قديمة يحاول أن يقتل بها الذباب الملتنف حوله.

- ينتشوان.

لم يفهم العجوز فردها ثلاث مرات حتى هزَّ رأسه وأدرك ما كان يقوله دان.. فأخذ يرد عليه بتلك اللغة الماندرينية التي يتحدث بها أهل الصين.. ولكنه صُدِمَ عندما اشار العجوز إلى ساعته ورفع علامة خمسة أصابع في وجه دان وهو يبتسم.. مما أثار حيرة دان فهل تأتي العربية تمام الخامسة أم بعد خمس ساعات من الآن؟

كانت الساعة تقارب الحادية عشر.. وفي كلا الحالات عليه الإنتظار على أحد تلك المقاعد في انتظار مصيره.. اقترب من أحد المقاعد الحجرية وجلس في حين ظلت أحداث الليلة الماضية تطوف في رأسه.. ولولا هذا الجرح الموجود بجبينه من ذاك المخلوق الغبي لكان تأكد أنه في حلم أو في كابوس طويل.. لكن على الرغم من قسوة تجربته واحتكاكه بنوع غريب من القبائل المنقرضة إلا أنه أقسم أن لا يبوح بسرهم أبدًا.. على الرغم من أن ذلك قد يعتبر إنجاز علمي يقترن باسمه إلى الأبد.. لكن لبساطتهم ورجبتهم في عدم تدخل البشر في حياتهم فهذا أفضل لهم.. وحتى بالفرض أنه أخبر الجميع وحاول تحقيق هذا الإنجاز.. إلا يدرك أنه سبقه رجال الجيش الألماني أثناء اقتيادهم لنور.. وبحثوا عشرات المرات دون أن يلوح لهم أى أثر في الأفق.. ربما كان السبب هو ما فعلوه أمامه.. فهم لديهم قدرة ما على إخفاء أى كهوف أو ممرات خاصة بهم ببعض الكتل الصخرية المناسبة.. وكذلك

تلك المنزلقات الصخرية التي صنعوها بالداخل..كان يبدو أن بالداخل عالم آخر لكن لم تُتَح له الفرصة كاملة وكان يتسائل أهنالك أى أمل ليكرر زيارته. كان لديه العديد والعديد من الساعات المُملَّة فأثر أن يتمدد قليلاً على المقعد الحجري في انتظار العربة التي لا يعلم متى تجيء..بعد أن شار للعجوز أنه في طريقه للنوم وإذا جاءت العربة فعليه أن يوقظه. ولدهشته فهم العجوز وما هي إلا دقائق حتى ذهب دان في نوم عميق.

\*\*\*\*

في مساء تلك الليلة كان ألبرت يجلس في غرفته في انتظار اجتماعهم مع لي في بهو الفندق في تمام الساعة التاسعة..سمع طرقات على بابه وضع الجريدة التي كان يقرأها وقام لفتح بابه المغلق دائماً بالمفتاح بناءً على تعليمات الفندق..وما أن فتحه حتى وجد وجهًا غير مألوفًا لديه ويهتف بكل ترحيب:

- كيف حالك يا ألبرت.؟ لقد اشتقت إليك يا صديقى العزيز..ما بك مُحمَلًا هكذا أنسيتنى يا رجل.؟  
وقف ألبرت مشدوهاً لمدة دقيقة وما لبث أن فقد وعيه..

\*\*\*\*

كان الجميع في بهو الفندق ملتفين حول دان الذي كان في حالة يُرثى لها من التعب والإرهاق بعد رحلته في العربة حتى وصل أخيرًا إلى ينتشوان ومنه وصل إلى الفندق..كان الجميع في أشد حالات البهجة والفرح لعودته حتى

روز كانت تبكى من فرط سعادتها لعودته..اما ألبرت فكان أشدَّ سعادة من الجميع.

دان- قبل أن أقصُّ عليكم أى شىء فلا بد أن أتناول الطعام وأستجمِّ وأبديل تلك الأثمان التي أردتها وأزيل الغبار الموجود على رأسى وسأوافيكم هنا بعد ساعة.

روز- اعذرني يا دان أنا لم أقصد كل ما فعلت.

بن- يالها من مفاجأة سارة بالفعل يا مستردان..لقد شعرنا بالأسف جميعاً لفراقك ونحمد الله على تلك المفاجأة.

ألبرت- تظنون أن لديكم مفاجأة..أنا لددى ما لن تصدقوه أبداً.

ابتسمت روز وبن بينما اقترب نور من ألبرت متسائلاً:

نور- يبدو أن الجميع على علم بهذه المفاجأة..ما تخبئه لنا يا ألبرت.؟

ألبرت- ستعلم فى منتصف الليل يا عزيزى..والآن هيا يا دان فنحن فى انتظارك هنا لنعلم كل ما حدث لك بمجرد دخولك تلك المتاهة.

مستر ألبرت هوك..مستر ألبرت هوك..قالها أحد الخدم الصينيين وهو يصيح داخل بهو الفندق.

ألبرت - إنه أنا ..نعم ما لديك.؟

- المحادثة التي انتظرتها فى انتظارك يا سيدى..

هب ألبرت معتذراً بينما اقترب بن من الخادم الصينى ليسأله عن صاحب المكالمة الهاتفية فلم يجبه الصينى كل ما قاله هو مكالمة وارده لمستر ألبرت من بريطانيا كان فى انتظارها.

أما نور فقد تركهم ليصعد إلى غرفته وهو لازال يتسائل عن طبيعة تلك المفاجأة..والتي كشفت لهم فيما بعد خديعتهم الكبرى.

\*\*\*\*

لم يكن لدى دان الكثير ليقصه على رفاقه فأخبرهم بما رتب من قصه رواها لهم من أنه كيف ضل في طريق الرجوع إلى مكان مبيتهم ليجد نفسه في أحد الأنفاق الداخلية والتي فقد فيها مصباحه ولكنه ظل يسير على ضوء آتٍ من بعيد حتى وجد فتحة في الجبل ومن أسفلها كان يجري النهر الأصفر..فقفز فيه وأنقذه رجال القرية حتى وصل اليهم أخيرًا..بينما انبرت روز وشرحت له كيف توصلت إلى بعض العينات التي كانت تؤيد كلامه من أن تلك الآثار هي لأحد القبائل البدائية والتي كانت تعيش في هذه المنطقة ويبدو أنها اندثرت أو توجد بعض الآثار البسيطة لبعض المخلوقات الشبيهة بالإنسان الأول والتي تعيش في مكانٍ ما بالجوار..كانت لهجتها مختلفة تمام الإختلاف عما كانت منذ البداية وشعر دان بذلك..لكنه لم يعد مهتمًا بهذا الخفقان الذي كان يُذِيبُ قلبه قديمًا.

نور – والآن أخبرنا ما هي مفاجأتك يا ألبرت..( وبدأ في إمساك معدته ).

دان- ما بك يا نور أتشعر بشيء..؟

نور(وقد بدأ العرق يتصبب من وجهه)- أشعر بأمعاني تتمزق (وحاول أن يقف ولكنه تهاوى على المنضدة ليقع صريعًا على أرضية الفندق..ساد هرج في المكان وبدأ بن في الصباح لاستدعاء النجدة بينما هبَّ ألبرت ودان إلى نور الذي كان يبدو أنه في نزعه الأخير وفي خلال دقائق وصلت عربة إسعاف لِثِقَلُهُ سَرِيعًا إلى المستشفى وسط اندهاش الجميع.

- تسمّم..حاله من حالات تسمم الطعام والتي تكثُر هذه الفنادق يا سادة يبدو أن صديقكم أكل كثيرًا من تلك الوجبات الصينية المقززة..لقد أنقذناه وهو يحتاج فقط للمكوث في المستشفى هذه الليلة وفي الغد سيخرج معافئ..فلا داعى للقلق.

قالها الطبيب الإنجليزي الذى يعمل في المستشفى الحكومى التابع لمكتب السفارة البريطانية في ينتشوان .

ألبرت- ندعو الله أن يتعافى سريعًا لأننا في حاجة إليه الأيام المقبلة.

دان- سأبيت في المستشفى إلى جواره.

روز- لا بالطبع فهناك شخصًا ينتظرنا على أحرّ من الجمر.

ألبرت - هيا يبدو أننا سنظل نتحدث حتى الصباح في الفندق.

وبالفعل سار الجميع إلى الفندق الذى كان خلف المستشفى بشارعين بينما كان ألبرت يسبقهم ويحثهم على السير وهو يبتسم ابتسامة عريضة أثارت قلق دان.

وفي مدخل الجهو الخاص بالفندق استقبلهم بن وأشار لهم على منضدة بعيدة يجلس عليها شخصٌ ما..كان أقربهم إليه دان وهو يسير نحو المنضدة وما أن اقترب منه حتى رأى وجه مألوف لديه..كان يحاول أن يتذكر أين رأى هذا العجوز والذى بدا في أواخر السبعين من العمر..مدَّ الغريب يده إلى دان..بينما تسارعت مئات الذكريات لديه.

- تذكرتك أنت مساعد البروفيسورة روزاليندا.. نعم لقد رأيتك في المعمل  
تقوم بتعذيب ذاك الحيوان المسكين وأنت من أفقدتني الوعي.

ابتسم العجوز قائلاً: أعتذر لك أولاً على سوء الفهم يومها يا بروفيسور  
دان.. ولكن عد بذاكركت أقدم قليلاً..

- اعذرني فلا أتذكر.

ألبرت- كيف يا دان.. عُد بذاكركت أكثر.. عد بها لأكثر من عشرون عامًا.

فغردان فمه قائلاً في دهشة:

- عشرون عامًا.. لا أظن أنك تقصد..؟ أنكون..؟

قهقهه ألبرت مهلاً: نعم يا دان.. هو البروفيسور ادوارد سمنز.. بشحمه  
ولحمه..

\*\*\*\*

كانت الساعة تناهز الثالثة صباحًا عندما جلس الجميع يحتسون القهوة  
وهم يستمعون إلى البروفيسور ادوارد الذي عاد من الموت..

- تركتهم يظنون أنى وقعت في الفخ يا ألبرت.. تركتهم يحركوني من بعيد  
ويتركون جواسيسهم وعيونهم في كل خطوة أقوم بها.. ولكنى كنت  
أخدعهم جميعاً.. ولم يظهر على أى من تصرفاتى أنى كشفت حقيقة  
الألمان.. لم أثق إلا في مساعدي نور والذي علمت أنه تحمل ما لا يطيقه  
بشر من تعذيب ولكنه لم يعلم شئ.. حتى هو الآخر نجحت في خداعه  
خوفًا من اعترافه تحت نيران تعذيب الألمان.. أتذكر تلك الليلة جيدًا في

المعسكر..كان علىّ تشتيت انتباه الجميع..وكان عليه أن يقطع التيار الكهربى عن القلعة ويهرب ولكن لا أدرى كيف تم اكتشاف أمره.

ألبرت- هو ضحى بكل شىء لتوصيل تلك الرسالة يا ادوارد.

- الرسالة نفسها كانت خدعه يا ألبرت..كنت أود أن أُشِيتَ انتباه الألمان فى حالة نجاحهم فى نزع اعتراف من نور..أوصيته فى حال عدم تلاقينا وكنت مُخَطِّط لعدم اللقاء..كُنْتُ مُخَطِّط لموتى منذ البداية..فأخبرته عليه أن يوصل تلك الرسالة لمن يهتم بها..وتركت بها كلمتان..

روز- نعم هارفارد..أنتون..فما سر اختيارك لهما؟

- أخبرتك أنى كنت أود تشتيت انتباه الجميع حال وصول الألمان بعد تعذيب نور الذى لا يعلم شيئاً إلا عن هذه الرسالة..ولأنى كنت أعلم أنك قد توفيت يا ألبرت..ولم أعلم أنك على قيد الحياة فقد كتبت كلمة هارفارد..تلك الجامعة التى بدأنا فيها أبحاثنا سوناً..فوصول الألمان إلى أمريكا بعيداً عن بريطانيا والذهاب للجامعة والبحث عنم كان مساعدى هناك فيكتشفون أنه توفاه الله فسوف يَكْفُونَ عن البحث ويتركون لى المجال لاكمال ما بدأته من أبحاث فى بريطانيا.

بن- ولكن ظهور ألبرت على قيد الحياة بدأ يثير القلق فى نفسك.

- نعم بالفعل لأن نور لن يسكت وسيظل يبحث وبالفعل..حتى علمت أنه وجد ألبرت على قيد الحياة وبدأ فى تجميع كل من يقوم بالأبحاث معى.. وبدأ دان وألبرت فى تجميع المعلومات من كل مكان وخاصة عندما كتبت كلمه أنتون فعلم ألبرت منها أنى أشير إلى تلك الأبحاث الأولى..وكما فعل نور توقعت بذلك أن يحذوا الألمان حذوه.

دان- ولكن نور أقسم لى أن الألمان لم تتبعه.

- نعم ولكن الألمان كما اكتشف نور أن ألبرت حى فلايد أنهم أرسلوا ورائكم عيونهم لمراقبتكم من بعيد.

دان- وأين كنت طوال هذه الفترة يا مسترادوارد؟

- لدى اليزابيث..فبعد أن شئتُ انتباه الجميع دخلت بريطانيا بجواز سفر باسم مزيف وذهبت لأقيم فى تلك الضيعة التى تمتلكها لاستكمال ما كنا نقوم به من أبحاث سرية فى ذلك الموضوع.

دان - وتعمل سراً بعد تأكد الكل من موتك حتى يكون لك مُطلق الحُرِّيَّة..فى استكمال أبحاثك مع روزواليزابيث وهذا يفسر سررعبك عندما قمت بزيارتكم للمرة الأولى.

- فعلاً يا دان فلم أكن اتوقع زيارتك بهذه السرعة..خاصة عندما قام ألبرت بمحادثة إيزابيث هاتفياً قبل مجيئك بيوم وإخبارها بكل شىء..هنا أُسْقِطَ فى يدى..وعلمت أن الموضوع فى بدايته وكان لابد من أخذ خطوات جدية أكثر وخاصة عندما أخذنا أشواط مهمة فى سبيل خلق إنسان مُقاوم للأمراض فكنا نقوم بأبحاثنا على الحيوانات الثديية..أما أنتم فكان علينا أن نُبعدكم عن بريطانيا بكل شكل منعاً لقطع أى سبيل للألمان فى مراقبتى.

ألبرت- بمناسبة الألمان..كيف استطعت الهروب من تلك القلعة الحصينة وقد أخبرنى نور أنها كانت أقرب منها للسجن؟

- لقد بدأت أعد لهروبى من قبلها بفترة..أتعلم واتتنى الفكرة متى؟ عندما بدأ الفنيون فى تركيب تكييف مركزى فى غرف المعمل..وقته تم

إلغاء المدفأة التي تعمل بالخشب..وأغلقوها من السطح بباب حديدي ضعيف..ومعملنا في الدور العلوى فكان يفصلنا فقط عن السطح متران..وهى طول المدفأة.. وقبل الهروب بيوم كنت على سطح المعمل أستنشق بعض الهواء كما كان مسموحًا لى بعض الأوقات لأنى كنت أضع عَيْنَاتٍ فى أطباق وأتركها لضوء الليل وأشعه القمر هكذا كنت أخبرهم..حتى نجحت ذات مرة فى الحصول على حبل طوله متران إلا خمس وعشرون سنتيمتر وقمت بتثبيتته فى الباب الحديدي الذى يغلق كوة المدفأة من أعلى وقمت بكسر ذلك القفل الذى يثبته إلى جدار المدفأة تمهيدًا للهروب فى اليوم التالى..حيث سأنجح فى الوصول إلى السطح ومنه سوف أهبط سريعًا بواسطة سلم مُثَبَّت فى أحد الجدران الجانبية الذى سيوصلنى إلى خلف الفناء ومنه سأصل سريعًا إلى مكان داخل الأشجار سوف أهرب منه..وهذا المكان لا يعلمه أى شخص حتى نور نفسه..كنت أحتاط لأقل شىء قد يحدث ويهدم علىّ خطة هروبي.

ألبرت- وقمت بذلك؟

- نعم..ونجحت الخطة تمامًا فى إلهاء كل من كان فى المعسكر..فبمجرد حدوث الانفجار كان الجميع أمام المعمل تاركين كل أماكن حراستهم.

دان - وماذا عن الجثة التى وجدوها يا مستر إدوارد؟وتلك القطع من جسدك وجسد المخلوق ذاته من أين حصلت عليها؟

- الحل سهل جدًا يا عزيزى..فى اليوم الاخير كنت أقوم بالصيد أنا ونور فى أحد المناطق المحيطة بالنهر الأصفر فى اليوم الذى كان مسموحًا لنا بالترىض..وبالسيارة كنت قد أعددت حقيبتين خشبيتين كبيرتين لهذا الغرض..استأذنت من نور وأخبرته ألا يتحرك فى الغابات المحيطة

وعليه أن ينتظرنى حتى أحضّرَ لنا الشراب وطعام الغداء وبالفعل أخذت السيارة وسرت على شاطئ النهر حتى وجدت ذلك العجوز.. كان فى نفس طولى تقريبًا..ترجلت من السيارة ومعى مُخَدِّر قوى وضعته فى هذا المنديل وناديته حتى اقترب منى وأشرت له على الطريق وبعض الكلمات ألماندرينية أوضحت له أنى تائه فأعطانى ظهره وبدأ فى وصف الطريق..ولأن لكل مغامرة بحثية واكتشاف علمى ضحاياه فقد خَدَّرت الرجل أولًا..نعم وجدت صعوبة قاتلة فى كتم أنفاسه إلى الأبد..نعم لقد قتلت المسكين لكن انظروا إلى الخدمة التى أهداها إلى العلم.

دان - أئى خدمة يا مستر ادوارد..لقد قتلت نفسًا؟ مهما كان هذا الرجل حقييرًا أو تافهًا لديك لكنه كان مُهمًا لدى عائلته..معارفه..أصدقائه..ألا يمكن أن يكون هو العائل الوحيد لأسرته.

- أئى عائلٍ يا دان إن الرجل كان فى أرذل العمر.

دان - ولكن أعتقد أنكما بنفس العمر يا مستر..وما رأيك يا قِيبى العزيز فى قتل النفس المُحرَّمة؟

ألبرت- أنا مُتَحَقِّظٌ على هذا العمل يا ادوارد فهذه خطيئة لا بد من ال..

ادوارد ( مقاطعًا ) - هل أكْمِلُ لكما أم أجلس على كرسى الإعتراف الآن ؟

ألبرت- حسنًا فلتكمل يا ادوارد.

- وضعت الرجل فى أحد الصندوقين بعد أن تأكدت من موته..وفى الصندوق الأخر وضعت عدة أشياء ليس لها أئى أهمية وعدت سريعًا إلى نور بعد أن أحضرت لنا طعام وشراب وعدة زجاجات من هذا المشروب الصينى الذى يشتميه أحد أفراد الحراسة بالمعسكر..وعند

عودتنا للمعسكر أمرتهم بنقل الصناديق للداخل ولا زلت أتذكر نظرة نور المُنْدَهْشَة عند رؤيته ذلك..وبالفعل تم نقل الصندوقين إلى أعلى..وما أن انصرف الحارسان حتى شرعت في تنفيذ ما خططت له في انتظار نجاح نور في فصل التيار الكهربى..كانت الغرفة التى يقبع بها المخلوق تقع فى آخر الرواق ولكن حتى تفتح لابد من فصل التيار الكهربائى لأنها لا تُفْتَحُ إلا بمفتاح خاص مع رئيس المعسكر فقط..وبمجرد فتحها نقلت الصناديق سريعاً إلى الداخل بعد أن مَرَّقْتُ كل ما قد يشير إلى طبيعة أبحاثى الماضية..وما هى إلا دقيقة حتى عاد التيار الكهربى مرة أخرى..وقتها ذهبت أولاً إلى ذلك المخلوق المسكين وأخذت من دمائه عينة وضعتها فى محقن مخصوص حتى أستكمل أبحاثى على دمائه وقد حدث كل ما خططت له..وبعد أن أخذت كل العَيِّنَاتِ المطلوبة كنت أعلم أن لدى دقائق قليلة حتى يتم تفجير الباب..أخرجت جثة العجوز وألبسته معطف من معاطف الموجودة وأخرجت عدة أصابع ديناميت ملئت بها الغرفة الزجاجية الموجود بها المخلوق ووضعت العجوز بالقرب من الغرفة ووزعت الديناميت فى شتى الأنحاء..وكل ذلك ربطته بجبل أخذت طرفه معى وأنا فى طريقى للمدفأة..دخلتها وأمسكت طرف الحبل الأخر الذى كنت أخفيته ليلتها داخلها..شرعت فى تسلقه بصعوبة حتى وصلت إلى أعلى ثم أزحت الباب بِجَهْدٍ لا يتحمله سِئى ولكنها كانت الفيصل بين الحياة والموت..وقتها أشعلت الطرف المتصل بالديناميت..ولم أنتظرا يحدث بل شرعت فى الهروب سريعاً حتى ذلك السلم الحديدى المُنْتَبَت بالجدار وانتظرت وأنا على أول درجة به وبعد دقيقة واحدة هز انفجار عنيف المعسكر بأكمله..

دان- وهكذا هربت.؟

- نعم هربت بكل ما احتفظت به داخل حقيبة صغيرة من عينات احتجتها لإكمال أبحاثي.

دان- ولم تلتفت إلى نور وما مصيره في حال وقوعه في قبضتهم.. بل منذ بداية الأمر خططت لكي يقع في قبضتهم.. لم تخبره عن مكان هروبك الفعلي.. لم تخبره بما انتويته في الأعلى يا بروفيسور ادوارد.

- لقد أخبرتك كان يجب تشتيت تفكير الألمان وجعلهم يبحثون في اتجاه آخر في حال وقوع نور في أيديهم وقد كان.

دان - ولكن وجود ألبرت على قيد الحياة قلب تفكيرك رأسًا على عقب..

- بالفعل وكان علينا أن نُعيدَ التفكير ونُكمل ما بدأناه مرة أخرى بعد دخول روز معكم.. ولكن كان خوفنا المستمر من عودة الألمان معنا فكان علينا الإتصال بالمخابرات الإنجليزية وإبلاغهم بكل شيء وفوجئنا بتفهمهم الكامل للموضوع والأبحاث وما هي إلا أسابيع وقد تلقيت دعوتي إلى اجتماع عاجل مع أحد المسؤولين في الحكومة الإنجليزية.. وقتها كنتم أنتم تسيرون في طريقكم الذي سبق وخططته لكم من إبعادكم عن بريطانيا.. وبعد مقابلي أنا وروز مع هذا المسؤول الذي اقترح علينا أن تقوم الحكومة بالصراف على البعثة ولكن دون أن تشعروا بذلك وبالتالي ظهرت شخصية السير شارلز شاول عميل المخابرات الإنجليزية الذي تظاهر بتمويل بعثتكم مقابل الأرباح الهائلة التي سوف تنال عليه من نشر تلك الرحلة في جريدته ولكن ذلك كان باشتراك مشاركته المستر بن أوليفر الضابط السابق في الجيش

الإنجليزي والعميل في المخابرات الحالى..حتى تكون تلك البعثة تحت  
سمع وبصر الحكومة الإنجليزية.

دان- تبًا لك ولمسترين وللحكومة الإنجليزية..أكنتم تُسَيِّرُونَنَا وفقًا لأهوائكم  
يا سادة؟ لماذا لم تخبرونا بهذا الأمر منذ بدايته..ما فعلتموه كان لمصلحتكم  
أولًا قبل أى شىء.

بن - لا تنفعل يا عزيزى دان..نحن فعلنا كل ذلك من أجلكم فلو أخبرناكم  
بأننا من نقوم بالصرف على البعثة..لكنتم رفضتم أنت ونور.

ألبرت- وأيضًا كنت سأرفض يجب أن تكون هناك مصارحة لنا منذ البداية.  
بن- فلهندوا..ها نحن نخبركم الآن ونحن في بداية الأمر.

دان - آى بداية يا مسترين..لقد فشلنا فشلًا ذريعًا في كل شىء..لا يوجد آى  
أثر لقبائل الجوج..ما وجده هذا العالم كان من أحد القبائل المنقرضة  
والذى قام بأسره من أحد الكهوف ثم قتله بعد أن فرغ من أبحاثه  
الموهومة.

روز- اهدأ يا عزيزى دان إن الأمر كله...

دان ( صارخًا) - أنت لا أريد أن أسمع صوتك يا روز..أنت منذ بداية الأمر  
تستخدمينى وكأننى أداة في يديك..تستاقى منى كل ما كنتى تريدنى البوح به  
ثم تخبريه لهذين الرجلين..ثم تستدرجينى كعادتك دائمًا وأنا لا أتعلم منك  
أبدًا.

روز- أنا ...لست..

دان (مقاطعًا)- حتى يوم مجيئك لبيكين..وصلتى قبلها بعدة أيام ومسترين  
كان على علم بذلك ولم يتم إخبارنا إلا في الوقت الذى قررتموه.

ألبرت - أهذا حقيقى يا روز.؟ولماذا؟

بن- عذرًا يا سادة فقد كان ذلك من اقتراحى لأنه كان يجب فى وقتٍ ما إرفاق البروفيسورة روز إلى البعثة وقد وصل البروفيسور ادوارد مع مس روز قبل إخبارى لكما بأيام وكان لابد من ذلك..لأنى واعذرونى لذلك..لا أثق بكما..فأحدكم رجل دين وليس له أى فائدة من الأساس أما الآخر فهو يجرننا من فشل إلى اخر.

دان (وقد حاول أن يمد يديه إلى بن الذى تفاداها بينما أمسك ألبرت يد دان الذى كان يصرخ ) - أنتم من تسببتم بفشلكم فى ذلك..الآن فقط وضحت أمامى العديد والعديد من النقاط الغامضة..ولعل أول شىء قمت به هو سرقة الخاتم فى نفس يوم مجيئكم المزعوم.

روز- كيف تجرؤ..؟

دان ( مُقَاطِعًا بعد أن أزاح يد ألبرت)- أنا من الآن خارج هذه البعثة الملعونة القائمة على القتل والكذب والخداع والغش.

وقام من مكانه واتجه ناحية السلم وصعد أدراجه وهو يلعن ذلك اليوم الذى قرر فيه الإنضمام لتلك البعثة..بينما ألبرت كان يقف مذهولًا لا يقدر على الرد من حديث بن الذى أصابه فى مقتل.

\*\*\*\*

أفاق دان على يد تَهَزُّة صباح اليوم التالى..وصوت ليس غريبًا عليه يستمر فى إيقاظه ففتح عيناه ببطء لتغشيه سحابة من ضوء النهار الأبيض الذى يملأ الحجرة ووجه نور أمامه :

- نور..متى خرجت من المستشفى.. كنت سأمر عليك العاشرة صباحًا.

- أئىَ عاشره يا صديقى الساعة الآن الثانية بعد الظهر.
- ياه.. لقد تأخرت فى النوم بالأمس..أه لو تعلم ما حدث مساءً يا نور.
- أه لو تعلم أنت ما حدث صباح اليوم.
- أنت لن تصدق أولًا من عاد للحياة يا نور..لو علمت لطرت فرحًا.
- بل أنت الذى لم تعلم من الذى عاد مرة أخرى للموت يا دان ولو علمت لفررت بجلدك.
- ماذا تقصد يا نور؟
- أقصد عالمكم..مثلكم الأعلى..أستاذك وأستاذى ادوارد سمزى دان.
- إذن فقد علمت..ما به؟
- نعم فألبرت أخبرنى بكل شىء ولكن المشكلة ليست فى ذلك.
- فلتحدث يا نور..أنا لددى من الضجر ما قد يقتل أئىَ إنسان.
- هذا بالفعل ما حدث..لقد وجدوا ادوارد مقتولًا فى غرفته صباح اليوم بعد أن خنقه أحدهم بطريقة بشعة عن طريق حبل الستائر.
- قفز دان من سريره صارخًا :
- ماذا ؟ متى وأين ومن قام بذلك وكيف؟
- اهدأ..إن ألبرت طلب منى أن أستدعيك لأن هناك تحقيقًا يجرى فى الأسفل وعليك أن تواجه الشرطة الصينية ولا تخبرهم عن موضوع أبحاثه وهروبه من الألمان أو حتى وجوده مسبقًا فى الصين..أو أى شىء..فقط أخبرهم أننا بعثة للتنقيب عن بعض آثار الإنسان الأول وهذا شخص إنجليزى صديق قابلناه بالأمس.
- ظل دان يرتجف وهو يقوم بتغيير ملابس النوم وهو يسأل لنور-
- هل قتلته وأنا نائم؟ من الذى يسبقنا دائمًا بخطوة يا نور؟
- لا بل قل من الذى لديه مصلحة فى القضاء علينا يا دان؟
- القضاء علينا؟

- نعم فلقد سَمَمَني أحدهم عمدًا وبعد ذلك قتل ادوارد حتى لا نصل إلى شيء..ثم تتوالى المصائب بعد ذلك.
  - لا يهمنى فيبدو أنى سأُنسحب من تلك الرحلة المجنونة.
  - يا عزيزى لا يهم انسحابك نحن الآن تحت رحمة بن وروز فلا تنس أنهم من يُمَوِّلُونُ البعثة.
  - فليكن..هيا بنا الآن وسوف نتحدث في ذلك لاحقًا.
- وهبطا إلى الدرج بينما كان ضابط الشرطة لا يزال يستجوب روزولى الذى حضر التحقيق وكان يقوم بدور المترجم للشرطة.

\*\*\*

وفي مساء ذلك اليوم كان ألبرت مُجْتَمِع مع نور ودان في بهو الفندق يحاولون إثناؤه عن قراره بالعودة بلا رجعة إلى بريطانيا مرافقًا جثمان صديقه..تاركًا كل شيء من البعثة والأبحاث..مُقَرَّرًا العودة إلى كنيسته.

دان- ألبرت..من فضلك لا تتأثر بكلام بن..فلولا مشاركتك لنا في أول الأمر ورحلتنا إلى الفاتيكان لم نكن وصلنا إلى هذه الدرجة.

ألبرت- ليس ذلك السبب الرئيسى يا دان..لقد تعبت يا ولدى..وأمامك مصير ادوارد..لقد حارب لأخر لحظة في عمره وماذا أخذ في المقابل؟ لم ياخذ شيء ولم تُنَّح له الفرصة حتى للتكفير عن ذنوبه..من فضلكم دعونى أستريح أنا الآخر..الأمر بعيد عن أحلامنا..يبدو أنه من المستحيل أن نعثر على هذه القبائل..وأنا لم يعد سنى أو جهدى يسمح بتلك الرحلات وخاصة

كما تعلم أن رحلتكم القادمة في التبت وأنا لن أستطيع مجاراتكم ولن أكلف الحكومة بنسًا أخر لرجل ليس له أى فائدة.

نور- لا أدري ما أقول لك يا ألبرت..ولكنى يبدو أن لديك الحق..كان بوّدى أن تستمر معنا حتى النهاية ولكن هذا قرارك.

ألبرت- هذه هي النهاية يا ولدى..صدقنى أنا لا أُحِبُّكُمْ ولكنى اخترت سطور نهايتى مع رحيل جثمان ادوارد..ولكن أود أن أطمئن هل عدلتَ عن فكرتك فى عدم الإستمرار يا دان؟

- نعم يا ألبرت لقد أقتعنى نور أنه من المستحيل ترك المجال لهذين الفردين للوصول إلى ما كنا جميعًا نصبو إليه ونسب الفضل لهما ولذلك سأستمر حتى أخر خطوة فى حياتى..ولقد أخبرنى لى أنه سيتم ترتيب رحلة إلى التبت بعد عشرة أيام من الآن نظرًا لأن التبت ليست متاحة للزيارة هذه الأيام بمناسبة أحد الأعياد القومية لديهم.

- حسنًا يا ولدى ولكن فلتتوخ الحذر.

- سأفلكُ غدًا إلى المطار.

- لا يا دان..سأرحل فى طائرة السابعة صباحًا والتى ستقلّ جثمان ادوارد..وَادْعُوا الله أن نتلاقى فى القريب..لا تبخل علىّ بزيارتك يا دان..أم أنك لازلت لا تهوى دخول الكنائس؟

- لا يا ألبرت..بعد انتهاء تلك الرحلة سأقوم بتغيير أشياء كثيرة بحياتى.

- بمناسبة الكنائس..أتذكر سؤالك لى منذ فترة عن أهم الكنائس الموجودة وأقدمها يا دان..لقد علمت الجواب أمس ولكن مفاجأة وجود ادوارد أنستى أن أخبرك..لقد قمت منذ فترة بالإتصال بأحد كبار القساوسة فى كانتربرى وجعلته يبحث لى عن أهم الكنائس

الموجودة وأقدمها..أتانى الجواب منه بالأمس في مكالمة هاتفية أخيراً..وحملت لى أكثر من مفاجأة.

- خيراً يا ألبرت.؟
- كيف نسينا أن أهم كنيسة موجودة حالياً هي كنيسة القيامة بأورشليم..والتي توجد داخل أسوار البلدة القديمة في القدس..وقد بُنيت الكنيسة فوق الجلجلة وهي مكان الصخرة التي يُعْتَقَد أن المسيح صُلِبَ عليها..وتعتبر أقدس الكنائس المسيحية والأكثر أهمية في العالم المسيحي وتحتوى الكنيسة على المكان الذى دُفِنَ فيه المسيح واسمه القبر المُقدَّس وعندما سألته عن أن للكنيسة مفتاح تفاجأ بالأمر وأخبرنى أن للمفتاح أصلاً قصة عجيبة.
- أخبرنا يا ألبرت من فضلك..ما دام يوجد مفتاح فلا بد أن للأمر أهمية.
- كما أخبرتكم أن هذه الكنيسة التي تعتبر من أقدس المواقع الدينية لدى مئات ملايين المسيحيين في العالم..وعندما أعلن الخليفة المسلم عمر بن الخطاب أمام جيوشه التي فتحت القدس وقتها بأنه أعطى لأهل الذمة من النصارى عهداً يتضمن السماح لهم بممارسة شعائرهم الدينية بِحُرِّيَّة في القدس..وعندما غزا السلطان الأيوبي صلاح الدين بيت المقدس من حُمَاةِ الصليب إلا أنه سمح باصطحاب نسائهم وأولادهم بعد دفع الفدية لخزينة المسلمين..ولأن صلاح الدين كان يعي أن السكان النصارى هم غير حُمَاةِ الصليب القادمين من أوروبا فقد أبقى عليهم في مساكنهم وأديرتهم وَمَنَحَهُمْ حرية التعبير الدينية وإقامة الشعائر التي ورثوها عن أجدادهم..وكل ذلك تيمناً بخليفته المسلم عمر بن الخطاب..وبموجب اتفاق مع حُمَاةِ الصليب فقد سمح صلاح الدين لحجاج أوروبا بالقدوم إلى القدس..وبدأت بعد ذلك الأفواج تتوالى بازدياد وتجمع الكثيرون منهم أثناء احتفالات عيد

الفصح وتضاعف العدد في السنوات التالية فخشي صلاح الدين أن ينقض حكام أوروبا الإتفاقية وأن يصيبوا أهل بيت القدس بشر.. فأمر باتخاذ إجراء وقائي يُجَنَّب أهل بيت القدس المخاطرة وكان أول ما قام به أن أمر بإغلاق أبواب كنيسة القيامة مع إبقاء باب واحد فقط للدخول والخروج.. وأمر بتسليم مفتاح كنيسة القيامة إلى عائلة مقدسية مُسَلِّمة.. على أن تكون لهذه العائلة جذور عميقة في مدينة القدس.. وكانت هذه العائلة هي عائلة آل غضية التي تعرف اليوم والتي لا تزال تحمل مفتاح كنيسة القيامة.. وما لا يعلمه صلاح الدين أن المفتاح كان في الأصل لدى راهب بوذى تم إرساله إلى كنيسة القيامة وتم عمل مزلاج خصيصًا لهذا المفتاح حتى وصل إلى يد العرب.

نور- وما المفاجأة في ذلك يا ألبرت.؟

- المفاجأة في المفتاح ذاته.. فصديقي أخبرني أن هذا المفتاح نسخة طبق الأصل من مفتاح كنيسة القديس بطرس في الفاتيكان.. وهذا المفتاح من الأصل لم يكن للفاتيكان إنما لكنيسة القديس بطرس بتركيا.. تلك الكنيسة التي تقع بالقرب من أنطاكية وهي من أقدم وأعظم الكنائس المسيحية وتتكون من كهف منحوت في الجبل والرسول بطرس هو أول الرسل ومؤسس كنيسة أنطاكية الأولى في التاريخ وهو من أول من بشر الإنجيل في أنطاكية.. ونتيجة الزلازل والحروب تضررت الكنيسة وأعيدَ ترميمها حيث ساهم نابليون الثالث امبراطور فرنسا بعملية الترميم أيضًا.. وحسب أوامر من البابا بيوس التاسع تم نقل بعض التماثيل والمفتاح المقدس إلى الفاتيكان وتم أخذ المفتاحان كشعار للكرسي الرسولي.

نور- عفوًا أنا لا أفهم.. هل تلك المفاتيح لتلك الأبواب يا ألبرت.؟

- تقول الأسطورة أنها تُغلقُ كهف الشيطان وللمباركة تلك المفاتيح إلى الأبد تم إرسالهم إلى الكنائس السابقة وصنع أقفال خصيصًا لها ثم تم إرسال أحدها للفاتيكان بينما ظل المفتاح الأخر في يد العرب حتى الأسبوع الماضي.

دان- ماذا تقول؟ الأسبوع الماضي؟ ماذا حدث يا ألبرت؟

- أخبرني أن المفتاح سُرقَ منذ أسبوع فقط يا دان..والأمر بأكمله في طي الكتمان لولا أن لديه بعض أصدقاء في أورشليم الذين استقصوا عن أصول مفتاح كنيسة القيامة.

- من الذى سرقه وكيف ولماذا؟

- دان..هل أخبرت أحدًا غيرنا بموضوع سرقة مفتاح كاتدرائية القديس بطرس أو موضوع كهف الشيطان؟

لم يُجب دان بل نظر إلى نور وأخفض عينيه خَجَلًا ففهم ألبرت واستمر:

- من سرقه هو من سرق المفتاح الأول..ومن سرقه هو من سرق خاتمك..الأعداء أقرب لك بأكثر مما تتصور يا دان..خذا حذركما يا أبنائي ولنذع الرب بأن يحميكما وأتمنى ألا تكون تلك الأمسية هي آخر عهدي بكما..

واقترب منهما واحتضن كل واحدًا على حده..كان العجز لديه من الحزن مما لا يطيق أحد على حمله..خاصة بعد إحساسه بالفشل والعجز وعدم أهميته فأثر أن ينسحب عائداً إلى بلاده ..

للأبد..

\*\*\*\*\*

## الفصل الحادى عشر

(إننا دولة ديمقراطية شكلاً..ولكن فى الحقيقة متى أعطيت للجُهلاء حُقُوقَهُم فإنهم لم يلبثوا أن تكون كل اختياراتهم على خطأ..نحن من نختار..ومن نُقرّر..ومن سيكتب التاريخ)

obeikan.com

بعد ذلك بخمسة أيام في مقر قيادة القوات الألمانية ببرلين تجمع آلاف من الجنود الألمان مع قادتهم لسماع خطاب هتلر بعد توليه رئاسة ألمانيا..كان الخطاب حماسياً والتهافت يبلغ عنان السماء من الجنود الذين كانت حناجرهم تئن من صيحات تمجيد للفوهرر..الذى ارتدى زية العسكرى وهو يشير بيديه في مشهد تمثيلي لا يقل عنهم حماسة وهو يصرخ في الآلاف المحتشدة أمامه لِيُكْمِلَ خطابه التاريخي :

- (اليوم وقد بدأ وقتٌ عظيم..لقد استيقظت ألمانيا لأننا فزنا برأس السلطة في البلاد..الآن فقط يجب أن يكسب الشعب الألماني..أنا أعرف هؤلاء الرفاق الذين يواجهون صعوبات في بعض الأحيان في كافة الأماكن..الآن يجب علينا جميعاً مُواصلة الكفاح مرة أخرى..عندما كنت طوال عمرك ترغب في التغيير الذي أتى علينا الآن..لذلك فأنا أكرر النداء مراراً وتكراراً لمواصلة الكفاح لرفعة بلادكم..كلنا يدٌ واحدة فلا يجب عليك أن تتصرف بنفسك ضد رأي الجميع..يجب عليك الطاعة..يجب أن تُعْطَى كل ما لديك من شجاعة..يجب عليك تقديم هذه الحاجة العارمة للطاعة..من أجل ألمانيا.

نقطة أخرى أود الإشارة إليها..يا من تسمعون هذا الخطاب..يا من بدأتُم الصراع بين الشعب..يا من بذرتُم بذور الكراهية بيننا..يا من أطلقتُم أن الشعب اليهودي هو شعب الله المختار في أرضه لتعيشوا عالة على إنتاجية الشعوب الأخرى..هذا المفهوم يجب أن يزول..من اليوم يجب أن يعتاد اليهود على القيام بنشاط داخل ألمانيا وخارجها لتكوين بناء محترم كما تبنى بقية الشعوب بلادها وإلا عاجلاً أو أجلاً فسوف يواجهون متاعب لم يعلموا بها.

أما إذا دفع رجال المال اليهود العالميين بداخل أوروبا وخارجها العالم إلى شفا حرب عالمية أخرى ثانية كما يحدث في الخفاء وأنا كُلي ثقة على ما هو يحدث الآن.. فأحذركم النتيجة لن تكون أبدًا نصرًا لليهود لكنها ستكون فناءً للأبد للعرق اليهودي هنا وفي أوروبا .

حاذروا.. حاذروا.. حاذروا.. فأنتم تحت المنظار عاشت ألمانيا.. عاش الجنس الأري

وارتج المكان بصراخ آلاف الجنود وهم ينشدون السلام الوطني لألمانيا.. وبعد عدة دقائق بدأ الجميع في تحية هتلر.. الذي جلس على كرسي كبير نقش عليه شعار النازية بينما كان كبار قادة الجيش بالقرب منه.. وعلى يمينه جوبلز وفون بلومبرج وزير الدفاع بينما توالى اصطفا القادة لتحيته حتى اقترب منه أرنست روم قائد قوات العاصفة بقامته المديدة ومد يده ببرود إلى هتلر قائلاً:

- أدولف كم كنت رائعًا.. لكن أرى أن هناك بعض العيوب التي يمكن أن نتلاشها في خطاباتك المرات القادمة.. إن تحذيرك لليهود بأن هناك شيئًا يجري في الخفاء كان يجب ألا تعلنه.

لم يرد هتلر بل نظر وقتها إلى جوبلز الذي ابتسم بهمك إلى روم الذي تركهم واستمر في مشيته المُغْتَرَّة.

فون بلومبرج - سيدي الفوهرر.. لقد تمادى الجنرال روم في حديثه وهو كذلك طوال الوقت ولا أدري إلى متى سأصبر على دق عنقه بيدي.

اقترب جوبلز من بلومبرج وزير الدفاع وبدأ يهمس في أذنه بينما كان هتلر لا يزال يحيى قاداته:

- مهلاً يا وزير الدفاع إننا نعلم كل شيء عن هذا المُعْتَرِّ بنفسه..ولكننا الآن من نحتاجه وليس هو..فلا تنس أن من أحد البنود المُدَلَّة في معاهدة فرساي هي تقليل عدد الجيش إلى 100 ألف جندي فقط مع نزع الأسلحة الثقيلة منهم..وهذا البند تحديداً قام بهميش دور الجيش في الحياة السياسية..وسمح لقوات العاصفة التي شكَّلتها هتلر وقت ما لإداره شئون البلاد والتي يرأسها هذا المعتوه روم أن تحل محل الجيش وتقوم بواجباته وأحياناً تُنَافِسُهُ.

لكن هتلر بدأ يكتشف مؤخراً أنه في حاجة إلى الجيش.. فإذا كان هتلر ينوي أن يخوض الحروب والمعارك لإعادة ما تم اغتصابه من أراضي ألمانية بعد معاهدة فرساي..وإذا كان لديه نية بغزو أوروبا بالكامل فإن قوات العاصفة لن تُفِيدَهُ أبداً.

- نعم يا هر جوبلز فالمعارك والحروب تحتاج قيادات عسكرية..عقول سياسية فَدَّة..جنرالات وأبطال قادرين على التخطيط الحربي وقيادة الجيوش..وهذه القيادات غير متوفرة بالمرّة في قوات العاصفة..لكنها متوفرة بكثرة في الجيش..واعذرني فلم نسمع أبداً عن جنرال .....

- أكمل يا فون..جنرال شاذ جنسياً ويتفاخر بذلك..كلنا على علم حتى الفوهرر نفسه..حتى أنه لم يحاول أن يخفي ذلك ولقد علم ما صرَّح به منذ أسابيع أثناء ممارسته تلك الفضيحة أنه لا يمكن أن يصيبه أيّ ضرر..فلو تم اعتقاله فسيخرج مئات الآلاف من الناس إلى الشوارع..انتظر فقط يا فون..فما علينا إلا الإنتظار.

- سيدي أقولها لك إذا طلب هتلر من قيادات الجيش الإنضمام إليه سيكون هناك شرط واحد فقط وهو تسريح قوات العاصفة

والتخلص من قائدها إرنست روم الذى يحمل العار على ذلك الزى  
العسكرى.

- لا أحد يُملئ شروطه على الفوهرر يا فون..تذكر ذلك..قللت لك اصبر  
وسترى ولا داعى للحديث أكثر من ذلك.

- حسنًا يا سيدى..أه تذكرت..ما تم بشأن الرجلين الذين طلبا مقابلة

الفوهرر والذى أرسلهم الجنرال كايتهل قائد وحدة الأبحاث العسكرية؟

- الجنرال كايتهل أليس هو من يُحدِّثُ الفوهرر الآن..يا فون؟

ونظر وزير الدفاع ناحية هتلر فوجده يتحدث مع كايتهل لعدة دقائق وكان  
مهتمًا جدًا وحريص على ألا يسمع حوارهم أحد.

جوبلز - إن الموضوع أخطر مما كنت أظن..الأمر يتعلق بأسطورةٍ ما لدى  
التبت وهتلر نفسه مهتم شخصيًا بتلك الأبحاث..وتلك البعثة التى فى مكانٍ  
ما فى الشرق الأقصى الآن..لم أحضر اجتماعه السرى مع الرجلان ولكنى  
مندهش من إصراره الغريب على ذلك لدرجة أنه أرسل مبعوث خاص إلى  
بلاد التبت.

- لماذا؟

- لا أعلم يا فون وحتى لو علمت فمن المستحيل أن أتفوه بكلمة وكذلك  
أنت كل ما دار بيننا من حديث إذا علمت أنك أخبرت به نفسك..لن  
أخبرك عما سوف تراه.

- أبدًا أبدًا يا سيدى.

- سنخوض حروبًا شرسة فى الجهة الداخلية يا فون..يجب علينا بناء  
كل شىء من جديد ومن تحت الصفر..إن الأعداء يتربصون بألمانيا فى  
الداخل والخارج ويجب علينا أن نظل يدًا واحدة.

- نعم يا سيدى نعم..كل شىء فى سبيل الجنس الأرى..ولكن ألا تخشى أن يذكرنا التاريخ بسوء فى وقتٍ ما.  
قهقهه جوبلز ضاحكاً وأردف :

- أئى تاريخٍ يا فون..التاريخ لا يصنعه إلا المنتصرون.. نحن من نكتب تاريخ ألمانيا..ولن يجرؤ أحدهم بالتشكيك فى وطنيتنا وإلا كانت المقصلة فى انتظاره..إننا دولة ديمقراطية شكلاً..ولكن فى الحقيقة متى أعطيت للجبهلاء حقوقهم فإنهم لم يلبثوا أن تكون كل اختياراتهم على خطأ..نحن من نختار ومن نقرر ومن سيكتب التاريخ..فهمت يا فون؟  
قطع كلامه ارتجاج المكان مرة أخرى على تحية الفوهرر الذى كان فى طريقه للإنصراف.

\*\*\*\*

بعد عشرة أيام كاملة من رحيل ألبرت وبعد وصول الملل إلى أقصى درجاته نتيجة إغلاق جميع المعابد البوذية لاحتفالات دينية ومنع أى زيارات للسائحين..كان دان ونور يستقلان القطار مع بن وروز فى أطول رحلة قاموا بها..كانت الرحلة من بكين حتى شنغهاى التى استمرت ليومٍ كامل..وبعد دقائق سيستقلان حافلة حتى ناجيكا.. ومنها إلى التبت فى مسافة تُقارب الأربع آلاف كيلو متر إلا قليلاً..للوصول إلى آخر أماكن الرحلة.

ركب الجميع فى الحافلة التى أعدها لهم لى وبدأ فى الرحيل من البلدة والصعود فى اتجاه التبت..كانوا فى أشد حالات الإرهاق وَرَفَضَ الجميع المبيت فى أى فندق فى البلدة وقرروا جميعاً الرحيل..كانت الأحاديث الجانبية أغلبها مقتضبة من ناحية دان لإخفاء الحقيقة عنه من روز أما

نور فكان يتمنى التخلص من بن في أقرب فرصة..وبالتالى كان هناك جهتان كلاً منهما تضمهر الشر للأخرى وهذا هو ما شعر به لى..والذى حاول كثيراً تجميع الفريقين دون جدوى.

استمر بن فى تصوير الأماكن التى يمرون بها وكأنه يرسم دوره حتى النهاية بينما استمرت روز فى قراءة بعض الأوراق الهامة الخاصة بها أما نور فكان كل تفكيره ونظره منصّباً على بن فيما يفعله أو يدونه بينما كان دان يتحسس ذلك السلاح النارى الذى أتاه به لى..

لى - بعد نصف الساعة سنمر بالطريق السريع والذى يسمى الطريق السماوى ويربط بين التبت وسيتشوان ويعتبر من أخطر الطرق فى العالم بسبب الإنهيارات الصخرية والأرضية الطبيعية للمكان..فهو طريق محفور وسط الجبال متعرج الشكل يخاف الجميع أن يعبره من فرط خطورته وغرابة المنطقة المتواجدها.

دان - ادعُ ربك يا نور أن تهوى بنا الحافلة ونرتاح مما نحن فيه.

تجاهل لى كلام دان واستمر فى التعريف عن التبت:

- سوف نصعد إلى أعلى مكان بالعالم بهضبة التبت وارتفاعها 4500 متر فوق سطح البحر وتسمى بسقف العالم..والقطب الثالث للأرض بعد الشمالى والجنوبى..يحكم شعب التبت الدلاى لاما وهو القائد الدينى الأعلى للبوذيين التبتيين ويمثل القيادتين الروحية والدينية فى إقليم التبت..وهو بطبيعة الحال راهب بوذى فى جماعة القُبَعَات الصُفْر ويعتبر الدلاى لاما الثالث عشر الموجود حالياً بوذا الحى ونصف الإله فى نظر البوذيين وتجسيداً لإرادة بوذا..إذا مات سُلت الحياة فى الأرض..وقعد الناس فى بيوتهم حتى يُعثر على دلاى لاما بعده..والذى

عادةً ما يكون طفلاً في الثانية أو الثالثة من عمره. وكلمة دلاى لاما تعنى محيط الحكمة..ويتولى هذا الزعيم جميع شؤون البلاد السياسية والروحية..

نور- مهلاً يا لى ما علاقته إذن بكونفوشيوس؟كنت أظن أنهم يتبعوه وليس البوذية.

بن- لا طبعاً هناك فرق بين الكونفوشيوسية والبوذية..فالديانة الكونفوشيوسية ديانة أهل الصين..وهى ترجع إلى الفيلسوف الحكيم كونفوشيوس الذى ظهر في القرن السادس قبل الميلاد داعياً إلى إحياء الطقوس والعادات والتقاليد الدينية التى ورثها الصينيون عن أجدادهم مضيفاً إليها من فلسفته وآرائه فى الأخلاق والمعاملات والسلوك القويم..إنها تقوم على عبادة إله السماء أو الإله الأعظم وتقديس الملائكة..وعبادة أرواح الآباء والأجداد..أما البوذية هى فلسفة وضعية انتحلت الصبغة الدينية..أَسَّسَهَا سدهارتا جوتاما الملقب ببوذا ومعناها المعتكف..وهى فلسفة تحمل فى طياتها دعوة إلى التصوف والخشونة ونبذ الترف والمناداة بالمحبة والتسامح وفعل الخير..وهى تعتبر نظاماً أخلاقياً ومذهباً فكرياً مبنياً على نظريات فلسفية..وتعاليمها ليست وحيًا..وإنما هى آراء وعقائد فى إطار ديني.

نور- أحسنت يا مستر بن ولكن تعقيب بسيط فقط لا تُسمّى ديانه بوذية أو كونفوشيوسية..هى تعاليم لأنه لا توجد إلا ثلاث ديانات فقط مُنزَلة.

بن - حسناً لقد كنت أقصد فلسفة أنا أعلم ما تقصد.

استمر الجدل بينهما بينما كانت روز تختلس النظر إلى دان من وقتٍ إلى آخر..كانت تحاول أن تتحدث معه لكنه يتلاشها بكل الطرق..كم تمنى أن تخبره بكل شيء..وعن سرها الأخير.

\*\*\*\*

وصل الجميع بعد أن توقفت الحافلة أمام أحد الطرق التي يستحيل أن تكمل مسارها فيه فكان عليهم أن يترجلوا حتى الوصول إلى قاعدة الجبل والتي سوف يبدأ السير من عندها..كان الجبل يقف مهولاً وعليهم السير عبر الإلتفاف حول إحدى الهضاب الصحراوية للوصول إليه..ترجل سوني الذي كان كدليل معهم في تلك الرحلة ومن خلفه لى..وهكذا سار الجميع صعودًا على أحد الجبال البسيطة ليلتفوا حوله للوصول إلى الجبل المنشود.

ظل سوني يسير حتى توقف وألقى حقيبته أمام الجبل الضخم الذي لم يتوقعوا أن يكون بهذا الحجم..ركع على ركبتيه وبدأ في تلاوة صلواته بصوتٍ حزين..اقتربت روز من لى متسائلة عما يقوم به سوني.

لى- إن هذا الجبل يسمى كانغشينجونغا.

روز- ماذا؟ لو نطقها آلاف المرات لن أستطيع نطقه..ولكنى لم أسألك على اسمه يا لى.. أسألك ماذا يفعل الرجل؟

لى- إن اسم هذا الجبل له قصة حيث أن معناه خمس كنوز ثلجية..وأطلق عليه هذا الاسم لأنه يحتوى على خمس كنوز وهي الذهب..والفضة.. والأحجار الكريمة..والحبوب..والكتب المقدسة..وله قدسية خاصة عند البوذيين فهو من أكبر الجبال الموجودة في العالم.. وفي منتصفه معبد

تشبونغ المعقل الرئيسي لآلهة التبت داخل عاصمتهم لاسا..وفيه يقومون بأداء طقوسهم المُقدَّسة وصلواتهم ولذلك كان عليه أن يطلب البركة من رهبانه..لأن الصعود إلى المعبد ليس سهلاً حتى وإن كان هناك درج حجري..ولكن لبعده المسافة التي تبلغ أكثر من أربعة آلاف وخمسة مائة متر فوق سطح الأرض صعدنا منها حوالى ألف ونصف بمعنى أننا سنسير على أقدامنا قرابه الثلاث كيلو مترات صعوداً على درجه الحجرى..توجد استراحة فى منتصف الطريق..وهناك منحنيات خطيرة يجب أن نتوخى الحذر جميعاً..ولكن أخر تحذير إليكم هل تودون الصعود على الرغم من المخاطرة للوصول فى أخر الأمر إلى المعبد المطلوب؟

دان- أنا معك للنهاية وبعد ذلك يمكننى البحث عن الراهب المنشود.

روز- وأنا أيضاً على الأتم استعداد للسير فى تلك المغامرة لأخر ما تبقى لى.

نور- وأنا أكره المُرتَفَعَات وأشعر بالضيق ولكن هى أخر خطواتنا ويجب أن نمضى سوياً.

أما بن فلم يُعَقِّب وإنما استمر فى التقاط الصور الفوتوغرافية لهم.

فرغ سونى من أداء صلواته وابتسم وأشار لهم أن يتبعوه وبدأوا فى السير خلفه حتى وصلوا إلى ساحة واسعة مألأتها الحشائش الخضراء والورود ذات الرائحة الخلابَّة التى نبتت فى تلك الطبيعة الصحراوية بشكلٍ ما..وبجوار تلك الساحة هناك العديد من الرجال الذى يرتدون ملابس فضفاضة كانوا من يعتنون بمدخل الجبل..كانت الساحة أمام الجبل تماماً والذى ظهر بوضوح أمامهم أخيراً..وبمنتصفه ظهر سلم حجري يلتوى صعوداً إلى أعلى وكأنه طريق إلى السماء..كان الشكل العام فى منتهى الروعة..حيث تلاشت قمة الجبل بين السحب البعيدة..ووقف الجميع

مشدوهين أمام تلك اللوحة الإلهية..حتى استحثهم لى فحمل الجميع حقائبهم وبدأوا فى السير على أولى خطوات الدرج الحجرى بينما كانت قلوبهم ترتجف من هول المشهد.

كان السلم يشق الجبل صعودًا إلى أعلى ولا يتجاوز عرضه المتر وقد تُبِتَّتْ أعمدة مُتَّصِلَةٌ ببعضها بسلسلة حديدية..بينما نبتت الأشجار على جانبى الجبل فى مشهد مَهِيْبٍ..وكان لى يحذرهم جميعًا من الإنزلاق وأن عليهم الصعود بتأنى لأن نتائج الوقوع فى منتهى السوء.

دان - لا أدرى كيف كان ألبرت سيتسلق معنا هذا الجبل..من الأفضل له أنه رحل إلى بريطانيا.

روز- كم كنت أتمنى أن يشاركنا تلك النهاية يا دان..من فضلك أن تحمل لى حقيبتى الصغيرة فأنا مُهَكَّةٌ من حملها.

أخذ حقيبتها بِضَجْرٍ واضحًا إياها داخل حقيبته الكبيرة وأردف قائلاً:

- وكانك لا تدرى من كان السبب فى إصابته بياسٍ قاتل..إنه صديقك الشخصى يا روز.
- ومن قال لك أنه صديقى الشخصى يا دان..أأنت تتلاشانى لذلك؟
- أنتِ على علم جيداً لماذا أتلاشاك..منذ بداية الأمر وأنتِ تقفين فى الصف الأخر.
- لكن الصف الأخر ليس أعدائك يا دان..هم من أرادوا ذلك لمصلحتك.
- ولكنك كُنْتِ تُخْفِينِ عَنِى كل شىء ..كنتِ تأخذين أخبارى وما تقوم به وتُخْبِرِى به الآخرون.
- حسنًا أنت مُحِقَّةٌ وأعتذر لك..هناك شيئًا آخِرٍ أود أن أعترف لك به.
- حسنًا..ما لديك لتخفيه مرة أخرى؟

- أتتذكر عندما أخبرتني بسرقة مفتاح كنيسة القديس بطرس..لقد أخبرت بن وبدأوا في التقصى عن تلك الأسطورة وكان عليهم أن يرسلوا أحد عملائهم إلى فلسطين لأن المفتاح الأخر كان موجود بكنيسة ال..
- دان مقاطعًا - أين المفتاح الأخير يا روز..أسرقتموه؟
- معك يا دان..لقد وضعته في تلك الحقيبة الصغيرة.
- وقف دان مندهشًا من حديث روز فأمسكت يده.
- لا تقف هكذا يا دان..بن يراقبني فتقدم ولا يبدو عليك أى شىء..نعم لقد أرسلوا أحدهم إلى أورشليم بعد أن أخبرتهم بموضوع المفتاحان وعن طريق اتصالات بن في القدس الشرقية وصل إلى كنيسة القيامة وهناك نجح في سرقة المفتاح المُقدَّس الذى يحتفظ به بعض العرب دون حتى أن يشعروا..ومنذ يومان وصل هذا العميل حيث تقابل مع بن وأعطاه المفتاح المسروق..وطلب منى الإحتفاظ به لحين استخدامه في وقتٍ ما..خوفًا من سرقة منه لأنه قد يتعرض للسرقة أى وقت.
- ولماذا تعطينه لى؟
- ربما اعتذار..أوربما لإظهار حسن نواياى..ولكن لا تخبر أحدًا أنه معك.
- والخاتم ألا تدرى من سرقة يا روز؟
- لا يا دان ..أقسم لك.
- إن هذا الخاتم كان لِيُسَبَّلَ على الكثير والكثير من الأمور فكيف أُقنِعَ الراهب بالحديث معى إذا لم تكن معى تلك الإشارة التى أرسلها له الحكيم شونج.
- ولكن معك المفتاح الآن.
- وما شأنه بمفتاح وحيد دون الأخر؟
- لا أدرى ولكن ربما.

لى مقاطعًا من مسافة بعيدة فوقهم:

- مستردان مس روز.. هلا تتقدمان قليلاً إنكم تُبْطِئُونَ حركاتكم..

روز- لقد تعبت يا لى متى يحل وقت الإستراحة؟

لى - إنك لم تسيرى سوى نصف كيلو فقط ..الراحة بعد فترة يا سيدتى..

تباطئ بن أكثر حتى يقترب منهم مُتَظَاهِرًا بالتقاط صور لبعض الصخور..وقتها لاحظ دان شيئًا أكثر غرابة..فقد لاحظ محاولة نور الإقتراب منه ليدفعه وعندما هَمَّ أن يفعل ذلك صاح عليه دان :

- مستربن انظر..إن هنا منظر خَلَاب قد يُدهِشُكَ.

- حسنًا..أين يا صديقى ..إنى أت.

- ونزل مُسرِعًا بينما وقف نور فى حنق واقترب من دان الذى بادره قائلاً:

- بحق الشيطان ماكنت تنوى أن تفعل يا نور.؟

- ألا تدرى.؟أريد أن أقتل رأس الأفعى تلك..إن كل مصائبنا بسببه..أنا لا أستبعد خيانتة لنا فى أى وقت.

- أنا الأخر لا أستبعد أى شىء ولكن لا تصل إلى القتل يا نور.

- وماذا بشأن محاولة تسميمى.؟وقتل ادوارد.؟وإزاحه ألبرت من البعثة.

إننا نصعد إلى كهف هلاكنا يا دان..تذكر كلماتى تلك..إننا فى طريق الموت واللا عودة..وتذكر أنك فى وقتٍ ما ربما ستلوم نفسك على إنقاذه أيها التعس.

وتركه ليصعد بجوار لى وروز.. وقتها نظردان إلى بن الذى كان مستمرًا فى التقاط الصور لهم هذه المرة وهو يُلَوِّح له مبتسمًا من أسفل.

وهكذا استمر الجميع في الصعود حتى أشار لهم لى أن هناك بجوار تلك الصخرة الكبيرة مكان للإستراحة..وبالفعل وصلوا إليها ووضع كل منهم ما كان يحمله وأخرج زجاجة المياه الموجودة بحقيبته بينما التفت دان يميناً ويساراً وفتح تلك الحقيبة الصغيرة التى أعطتها له روز..وخفق قلبه بشدة عندما وجد مفتاح صورة طبق الأصل من مفتاح كنيسة القديس بطرس. أخفى الحقيبته مرة أخرى بأسفل حقيبته ونظر خلفه فوجد أن هناك الكثير من السائحين يجلسون فى المكان ذاته بينما انتبه إلى بن الذى كان مشغولاً مع أحد السائحات والتى اقتربت منه مناولة إياه من حقيبتها شيئاً ما ليضعه سريعاً فى حقيبته..اندهش دان وحاول أن يصيح على نور الذى كان مُنْشَغَلاً فى نفس الوقت بمداعبة أحد الأطفال الألمان من نطقه للألمانية معهم.

وبعد أن استراح الجميع بدأ لى فى تنبيههم للإستمرار فى السير..و مرة أخرى بدأوا فى الرحيل نحو معبد تشبونغ...فى السماء.

\*\*\*\*

وصل الجميع إلى أرض التبت بعد ساعة كاملة من السير والجلوس فترة أخرى..كان الجو المُحِيط يُشْعِرُهُم بالإختناق لارتفاع التبت عن سطح الأرض وقِلَّة الأكسجين لكن لى أخبرهم أنهم سيعتادون الأمر خلال دقائق. كان الرهبان يسرون بجوارهم فى هدوء مُلْفِت للنظر أثناء مرورهم فى طريقهم إلى المعبد الموجود فى الطريق المُتَبَسِّط أمامهم ولا يلتفتون لهم وكأنهم لا يرونهم.

لى - ما سترونه فى كل مكان حولكم هو اللون البرتقالى المُقدَّس..وهو لون ملابس رهبان التبت وما من مناسبة دينية أو احتفال شخصى..إلا وتجد هذا اللون الهميج مع اللون الأحمر يحيط بك..ويلبسه الرهبان واسعًا ويلفونه على أجسادهم بطريقة تشبه لف العباءة حول الجسد فى العالم العربى..ملاصهم ودودة..رؤوسهم حليلة.. والهدوء والدعة غير العادية هى أكثر ما سيلفت نظرهم..فقليلًا جدًّا ما كانوا يثيرون أو حتى يرفعون أصواتهم..والتبت التى احتفلت الأسبوع الماضى بأهم أعيادها الدينية وهو رأس السنة التيبية التى يطلق عليها لوسار..خلال الأسبوع الماضى أغلق الرهبان الزيارة للسائحين حيث قاموا بأداء شعائر الإستدعاء الكبير تَبَاعًا..حيث كانوا يُرتلون الكتاب المقدس البوذى متمنين السلام للعالم.

نور- وهل مسموح لنا بدخول المعبد الكبير؟

لى- بالطبع..ولكن جلوسكم سيكون فى جزء محدد لتسمعوا عِظَّة الدالاي لاما الإسبوعية فاليوم موعده الأسبوعى ولذلك تجد العديد من السائحين موجودين بكثرة..وبعد العظة ستكون مقابلتكم مع أحد الرهبان كما هو مفترض للحديث عن أصول التبت ومعاناتهم مع الحكومة الصينية..هم يسعون إلى السائحين لشرح مطالبهم لبناء دولة مستقلة ذات سيادة..وأنتم تستطيعون استمالتهم إليكم بالوعد لنشر مطالب التبت.

بن- بالفعل هذه هى الطريقة الوحيدة لاستمالتهم..اسمعوا جيدًا سنَدِّعِ أننا صحفيون نتبع جريدة الديلى ميرور ونحن هنا لأخذ عدة تصريحات صحفية حول مُستَقْبَل التبت وشعبه الذى يطلب الإستقلال.

روز- فكرة ممتازة يا بن وأثناء الحديث نجذبهُ للحديث عن الأرض المُجَوَّفَة وجوج والكاهن المطلوب.

نور- ربما تلك هي أول فائدة لك في الرحلة بعد التقاطك آلاف الصور.  
بن- مستر نور..إني كجنتل مان لن أبادر بالرد عليك بصورة قد تُخْجِل  
الآنسة روزاليندا ولكنى أعدك في أقرب فرصة سيكون ردى عنيفًا.  
ألقى نور حقيبته على الأرض صائحًا:

- ولماذا أقرب فرصة هيا تقدم وأرني أقصى ما لديك.

لى (صارخًا)- هل جُنُنْتُمْ..؟إنكم داخل التبت وما تفعلونه يُعْتَبَر جريمة  
اخفضا صوتكما تريدان الشجار فلتصبرا حتى تكونا في الأسفل..لا تُفْسِدَا  
كل ما خططناه برعونتكم.

سكت الجميع واتجهوا مع أحد الأفواج السياحية الذى كان يقترب منهم فى  
هذه اللحظة بينما كان دان مندهشًا من كلمة لى الأخيرة..(لا تفسدا كل ما  
خططناه برعونتكم).

\*\*\*

كان ثوبتين غياتسو الدلاى لاما الثالث عشر يجلس فى أواخر المعبد ولم  
يستطيعوا رؤيته بوضوح إلا أنه أثناء دخوله فكان يتكأ على عصا ويمشى  
بصعوبة..وبعد جلوسه وبداية إلقائه الكلمة ظل يسعل فترة ويصمت لفترة  
أخرى ولا يجرؤ أحد على التحرك من أمامه..فالرهبان فعلاً يعاملونه  
معاملة الإله..اقترب دان من لى الذى كان يجلس فى خشوع طالبًا منه  
ترجمة ما يقوله الدلاى لاما وخاصة أن هناك العديد من الرهبان بدوا فى  
النحيب فترجم لى حرفيًا ما يقوله:

- وتختزل هذه الحقائق تعاليم العقيدة الأصلية.

أول هذه الحقائق هي المعاناة..فالحياة الإنسانية في أساسها معاناة متواصلة..منذ لحظات الولادة الأولى وحتى الممات..كل الموجودات..تتكون من عناصر لها دورة حياة مُنتهية..ومن خصائص هذه العناصر أنها مُجردة من مفهومى الأنا الذاتى والأزلية..كما أن اتحادها الظرفى وحده فقط يمكن أن يُوحى بكيئونة موحدة..فتتولد الآلام والمعاناة من غياب الأنا وعدم استمرارية الأشياء..لذا فالمعاناة ملازمة لكل دورة حياة..

الحقيقة الثانية عن أصل المعاناة الإنسانية..أن الإنسياق وراء الشهوات والرغبة في تليبيتها هي أصل المعاناة..فتؤدى هذه الرغبات إلى الإنبعاث من جديد لتذوق لذات الدنيا مرة أخرى..وتولدت هذه الرغبة نتيجة عدة عوامل إلا أن الجهل هو أصلها جميعاً..إن الجهل بالطبيعية الحقيقية للأشياء ثم الإنسياق وراء الملذات يُؤلّدان الجذور الثلاثة لطبيعة الشرّ وهي: الشهوانية..والحقد..والوهم..وتنشأ من هذه الأصول كل أنواع الرذائل والأفكار الخاطئة..وتدفع هذه الأحاسيس بالإنسان إلى التفاعل معها فيُفجّم نفسه بالتالى في نظام دورة الخلق والتناسخ.

الحقيقة الثالثة عن إيقاف المعاناة..وتقول بأن الجهل والتعلق بالأشياء المادية يمكن التغلب والقضاء عليه..ويتحقق ذلك عن طريق كبح الشهوات ومن ثم القضاء الكلى على ثمار هذه الأعمال..والناتجة عن الأصول الثلاثة لطبيعة الشر..وحتى تتحقق العملية لا بد من الإستعانة بالقديسين البوذيين من الدرجات العليا مثلكم يا أبنائى وأحفادى..وحتى ببوذا نفسه..والذى يواصل العيش في حالة من السكينة التى لا يعكر صفوها طارئ.

الحقيقة الرابعة عن الطريق الذى يؤدى إلى إيقاف المعاناة ويتألف الطريق من ثمان مراحل..ويسمى بالدَرْب الثَّمَانى النبيل..تمتد على طول هذا الطريق ثمان فضائل والتي توزع إلى ثلاث أقسام:

الفضيلة..الحكمة..والتأمل..ويتم الوصول إلى كل واحد منها عن طريق وسائل مختلفة..وأول هذه الوسائل هى اتباع سلوكيات أخلاقية صارمة..والإمتناع عن العديد من الملمات..وتهدف الوسائل الأخرى إلى التغلب على الجهل..عن طريق التمعن الدقيق فى حقيقة الأشياء..ثم إزالة الرغبات عن طريق تهدئة النفس وكبح الشهوات..وإعمال العقل فى جملة من الأفكار أو الصور..وتثبيتها فى الذهن..حتى يمكن شيئاً فشيئاً أن يتحول العقل ويقتنع بحقيقة العقائد المُخْتَلَفَة للبوذية..فيتخلص من الشوائب والأفكار الخاطئة والمناهج السيئة فى التفكير..فتتطور بالتالى الفضائل التى تؤدى إلى الخلاص..وتختفى العادات السيئة المتولدة عن الشهوة..باتباع هذه التمارين والتزام الأخلاق النبيلة وبذلك يمكن للراهب البوذى أن يصل وفى ظرف زمنى قصير إلى الخلاص.

سكت لى عن الترجمة بعد أن بدأ الرهبان السجود على الأرض واضعين أيديهم بوضع أفقى ليبدأوا فى ترتيل ترانيم معينة..وما هى إلا دقائق حتى بدأ المعبد بأكمله يرتج بطنين هائل وكأن هناك الملايين من النحل تموج فيه.

\*\*\*\*

بعد جلسته الصباحية كان لى والجميع مجتمعين مع الراهب البوذى تينبا لونغ دور الذى كان يختم حديثه الصحفى المُزَيَّف أمامهم بلغة إنجليزية ركيكة:

- إن ترتيل الكتاب المقدس البوذى فى طقس الإستدعاء الكبير الحالى بمعبدنا يرمى إلى الصلاة من أجل سلام العالم وتمنى النجاح الكامل لنا..ويسرنى أن نقيم طقس الإستدعاء الكبير فى المعبد بوجودكم لتلمسوا الجو الذى يملئه التناغم والهدوء والطمأنينة..ونتمنى نحن الرهبان للعالم سلامًا وللشعب سعادة وصحة وسلامة لكل شعب التبت والشعوب المجاورة لنا وتحقيق السلام لكل بلاد العالم.

حاول دان لأكثر من مرة أن يجتذب العجوز للحديث عن أهل جوج أو الأرض المجوفة ولكن دون أن يلفت انتباهه وكان رده:

- يا ولدى إن جميع شعب التبت يؤمن بالأرض المجوفة وأنه توجد حياة أخرى بجوف أرضنا..ولكن كيف نصل إليها أو معرفة طريقها ذلك يكاد يكون مستحيلًا ولا سبيل أبدًا للوصول إليه.

دان - ولكن هناك بعض الأقاويل التى ذكرت أن عاصمة التبت لاسا لها معبد متصل بنفق يوصل إلى العالم الداخلى وإلى الأرض المجوفة

- أقاويل يا بنى إنها لا تتعد أن تكون مجرد أقاويل..وكل ما ستسمعه ستكون مجرد أساطير لا يمكن الوصول إليها.

دان - وهل تعلم مصير أى من قبائل الجوج القديمة؟

- بالطبع لا أعلم كل ما أعلمه أنهم هناك في مكانٍ ما على سطح الكرة الأرضية أو في داخلها.. بعض من القبائل الهمجية البربرية والتي لم يكتشف لها مكان إلى هذه الساعة.

دان- وكذلك أسطورة كهف الشيطان..إنها لراهب بوذى على ما أتذكر قام بغلق الطريق المؤدية إلى تلك القبائل للأبد بعد أن لمس شرهم.

- (مبتسمًا) إن السينما الأمريكية والإعلام الكاذب دائمًا لديهم القدرة على خلق كذبة وتصديقها..أؤكد لك أن كل هذا الحديث لا أساس له من الصحة ولا أدرى لماذا يُصِرُّ الأوروبيون على فتح تلك الموضوعات مرة أخرى خلال هذا الأسبوع.

تلعثم دان مندهشًا بعد كلمه العجوز الأخيرة فأردف متسائلًا:

- أيّ موضوعات؟ ومن هؤلاء الذين تحدثوا معك خلال هذا الأسبوع؟  
- أوروبيون أتوا هنا الأسبوع الماضي لمقابلة الدالاي لاما شخصيًا. وعندما أخبرناهم أن من تقاليدنا عدم مقابلته للغرباء تلاقوا مع وفد من الرهبان..وقد علمت أنهم رسل رئيس ألمانيا شخصيًا وأرسلهم بصفة خاصة للسؤال عن أسطورة الأرض المجوفة وأعطى دليل على إعجابه بالفكر البوذي خاتم كونفشيوس..ولم يعلم التعس أننا لا نؤمن بما أتى به كونفشيوس وهذا كان سببًا لانكار معرفة كل ما أتوا لاستيفائه.

نظر الجميع إلى بعضهم البعض واندھشوا من وصول الخاتم إلى أيدي الألمان وتسائل دان سريعًا:

- ماذا تقول يا سيدى؟ خاتم كونفشيوس؟ هو أخضر اللون ذو ..

- (مقاطعًا) نعم..هل تعلمه أنت أيضًا أم ماذا؟

- لا أبدأً ولكن قرأت في أحد الصحف الصينية أنه تمت سرقة هذا الخاتم منذ فترة قليلة.

- إذن سرقه بعض الأغبياء ظناً منه أننا برؤية هذا الخاتم سيجعلنا نخر ساجدين أمامهم.

- وأين هذا الخاتم الآن؟

- لم ياخذته راهب منا بل ردناهُ مرة أخرى إلى ذلك الرجل الألماني البغيض والذي لم نفهم كلمة من صياحه المستمر.

- وهل رحلوا في سكون؟

- بالطبع ولكن مع الوعد بزيارة قادمه لتوضيح تأييدهم لرغبة شعب التبت في الإستقلال.

دان- كم أشكرك على وقتك الثمين يا سيدى ولكن أود سؤالك عن راهب من معبدكم أرسلنى الحكيم شونج إليه بسلام خاص.. أين يمكننى أن أجد السيد تسانج غيانج؟

- شونج؟ أليس ذلك هو الحكيم الصينى الموجود بمعبد مينغ المقدس ؟ ألا يزال هذه الرجل حيًّا؟

دان- نعم يا سيدى.

- إن تسانج غيانج لم يعد فى معبد السماء هذا بل يمكنكم أن تجدوه فى معبد سيرا الموجود على مسافة تبعد قليلاً عن هنا.

انصرف الجميع بعد أن ألقوا التحية على الرجل وهم فى طريقهم يسبقهم سونى حتى بدأ يلوح أمامهم معبد أصغر قليلاً من المعبد السابق.. كان الجميع فى سكون وهم مندهشين عن كيفية وصول الخاتم للألمان وما الذى سيحدث خلال الأيام المقبلة.. اقترب دان من نور قائلاً:

دان - لن أقول كيف سرق الألمان الخاتم بل كيف وصلوا إلى هنا وظنوا أنهم سيرشون به الدلاى لاما.

نور- إننا مراقبون أغلب الوقت يا دان..منذ أن وطأت قدمى ساحة القديس بطرس وأنا أشعر بذلك..قد تختلف الوجوه ولكن تبقى المراقبة دائماً..لكنى أنسائل لماذا لم يذهبوا للراهب المقصود مباشرة؟

دان- لسببين يا نور أولهم أن الكل يظن أن الديانتين واحدة وأنا منهم..ويبدو أن هذا الراهب لسبب ما ليس بوذيًا كاملاً بل يعتنق الديانة الأخرى سرًا وإلا لم يكن ليرسلنى إليه شونج مباشرة بالخاتم.

نور- وثانى الأسباب؟

دان - أما ثانيهم فأنا لم أخبر أحدًا باسم هذا الراهب الموجود فى معبد سيرا إلا الآن.

نور- أتدرى معنى ذلك يا دان.؟ معنى ذلك أن بيننا خائن..أتفهم ذلك؟

صمت دان بينما اتجهت نظراته إلى روزوبن اللذان كانا يهمسان بدورهم.

- هناك أمرًا آخر يا نور..أعتقد أن بن حصل على سلاح نارى.

- ماذا.؟ أين ولماذا؟ ♦

- رأيت مع إحدى السائحات يأخذ شيئًا منها ويضعه سريعًا فى حقيبته وأنا كلنى ثقة أنه سلاح نارى.

\*\*\*\*

وبعد مسيرة نصف ساعة كان الجمع داخل معبد سيرا والذي ألزمتهم القوانين بعدم دخوله..فانتظر الجميع في مكان قاصى في باحة المعبد الخلفية منتظرين الراهب تسانغ غيانج والذي أرسلوا في استدعائه.

كانت الساعة تقترب من الخامسة وبعدها بقليل سوف تغرب الشمس وهم يعلمون أن لا أثر للحياة في الصين في الليل..وكانوا على حيرة من أمرهم كيف سيستطيعون الهبوط ليلاً.

اقترب منهم أحد الرهبان والذي يبدو أنه ربما تجاوز عمره المائة عام يسند يده أحد شباب رهبان التبت والذي كان يرتدى نفس الزي

ألقى على الجميع التحية متسائلاً عن السبب الذي دعاهم في استدعائه في هذا الوقت طلب دان من رفاقه أن يختلى بالراهب وحده محاولاً أن يشرح له الموضوع منذ زيارة الحكيم شونج فتوصيته بمقابلته ثم سرقة الخاتم مروراً بأسطورة كهف الشيطان..وعندما بدأ دان في الحديث أسكته الراهب العجوز بإشارة من يده قائلاً اتبعونى.

خرج العجوز من المعبد سائراً على مهل وهو يتأبط يد الشاب بينما كانت خطوط الليل تهبط على سماء التبت..اقترب العجوز من بيوت بعض الفلاحين الذين كلما رأوه ركعوا على الأرض حتى يمر..كان الجميع يسير من وراه دون معرفة إلى أين يتجه بهم..لكن الراهب وقف أمام بيت خشى الشكل على بابه وقف خادم يرتدى زي مُغَايِرٍ بمجرد أن رأى العجوز فتح الباب..خلع الراهب حذائه خارج البيت فحذا الجميع حذوه..كان أثاث البيت بسيط من الداخل..بينما وصلت إلى أنوفهم رائحة طعام وما هي إلا دقائق حتى بدأ الجميع يشاركون الراهب طعام العشاء..كان الطعم من

أسوأ ما يكون..ولكن احترامًا لسيد المنزل حاول الجميع إكمال ما تذوقوه  
وعندما لاحظ ذلك ابتسم وأردف بتلك الإنجليزية غريبه النطق:.

- أرجو المعذرة فأنتم تتناولون طعامًا بوذيًا وهو بالكاد يكون مصنوعًا  
من حساء النباتات فقط.

تناول الجميع ما أمكنهم تناوله إلا نور الذى لم يقترب قط من الطعام  
واكتفى بمشاهدة من يتعذب به..وبعد أن رفع الطعام أشار لدان أن  
يتحدث أخيرًا.

نظر دان إلى رفاقه ولكنه طلب من الراهب أن يختلى به لكن الأخير رفض  
لأن ذلك يعتبر عيبًا كبيرًا فى تقاليدهم..تحدث دان بكل ما صادفوه وحلمه  
العجيب مع الحكيم كونفشيوس ليلاً وتوصية شونج بالذهاب إلى تسانغ  
غيانج بالذات لإخباره بهذه الرؤيا وإعطائه الخاتم ثم ما تلى ذلك من  
أحداث وسرقة الخاتم..وطلب منه دان أن يخبره بالأرض المجوفة ومدى  
إمكانية رؤيته لجوج وكيف الطريق إليهم وما هو كهف الشيطان..حتى أنه  
أخبره بالمفتاحين المقدسين الموجودان فى مكانٍ ما..

بدأ الراهب فى التقاط أنفاسه قائلًا:

- حسنًا فعل الحكيم شونج..بداية أنا أؤمن بأفكار كثيرة من مبدأ الإله  
كونفشيوس مع المعظم بوذا..وأرى أنه لا تعارض بينهما أبدًا..وكم كنت  
أود أن أخلق نوعًا ما من تقارب الأديان..وحاولت مرارًا أن أوضح وجهة  
نظري تلك..لكن فى المعبد السماوى فى تشيونغ رفضوا ذلك وكان  
نتيجته أن تم استبعادى من أداء التراتيل المقدسة واستمرار خدمتى  
فى معبد سيرا.

دان - إننا نواجه صعوبات كلما تقدمنا يا سيدى..ولا أحد يريد أن يخبرنا ولوعن نصف الحقيقة حتى..وهذا الخاتم المقدس كنت أود أن أعطيه لك لتخبرنى حقيقة الأرض المقدسة ومملكة شامبالا وأين توجد تلك الأراضى وأين يختفى جوج.

- يا بنى إن ما تقوله يعتبر من الأسرار المقدسه فى التبت ومن المستحيل أن يخبرك أحدًا بأى شئ منه ولكن لكونك قطعت نصف الكرة الأرضية وأتيت لى بتوصية خاصة من الحكيم شونج فقد أخبرك ببعض الأشياء التى ستريحك..نعم هناك طريق سرى من أسفل عاصمتنا المقدسة بنفق ممتد إلى مملكه شامبالا الموجودة بالعالم الداخلى أى تحت الأرض..ومدخل هذا النفق محروس من قبَل كهنة الدلاى لاما البوذيين الذين أقسموا على سرية هذا النفق وفدائه بأرواحهم..وكل من فى التبت والشعب البودى والرهبان نؤمن بأن هناك مدينة فى جوف الأرض اسمها أغرثا..ويتصلون بها عن طريق عدة كهوف وأنفاق عملاقة..ولقد علمت أن الأمر الذى كان سرىً طوال مئات السنوات بدأ فى الظهور فقد بعث أحد رؤسائكم مندوبين للبحث عن تلك الأنفاق وتلك المدينة المختفية كما علمت مما حدث الأسبوع الماضى فى معبد السماء.

نور- لقد علمنا فعلاً أن ذلك حدث فى مقابلتنا مع أحد الرهبان.

- مع ملاحظة أننا لم نرى تلك المملكة وأن معظم أهل التبت لا يعلمون أين توجد تلك الأنفاق التى تؤدى إلى العالم الداخلى ولكنهم يعلمون أنها فى عاصمتنا المقدسة..ولا يعلمها إلا أصحاب الشأن والمراكز العليا من رهبان الدلاى لاما وعلمها عند الدلاى لاما الكبير.

روز- وهل هي بعيدة عن العاصمة لاسا؟

- هي تقع تحت سطح الأرض وبيننا مئات الأميال تقريبًا وتُعرف باسم شامبالا أو المملكة المفقودة وعاصمتها هي مدينة أغرثا العظيمة وكبار الرهبان الذين سبقونا كانوا يقولون لنا ونحن أطفال أنها جنة من جنات الأرض لم يَر مثيلها على الإطلاق.. كثيرة الغابات والأشجار..ولها بحيرات نقية عذبة وعلى شواطئ وضياف البحيرات تستقر القصور والصورح والمعابد..كأنها الكريستال بل وأنقى من الكريستال..لا تشبهها قصور على وجه الأرض..وهي مدينة يبلغ سكانها عشرات الملايين من البشر..ويسمونها بأرض الجنة التي توجد تحت الأرض...

دان - ولكن من المؤكد أنه يوجد طريق ما للوصول إلى تلك المدينة..

- تقول النصوص البوذية بأنه يمكن الوصول إلى مملكة شامبالا بعد رحلة طويلة وصعبة عبر الأنفاق المتشعبة تحت جبال التبت والتي لا نهاية لها..وتحذربأن الذين سيصلون إليها هم فقط المحضرين روحياً ذوى القلوب الصافية فهم من يستطيعون إيجادها أما الآخرين فسيجدون فقط العواصف الحادة للرؤية وكهوف الجبال خاوية..أو حتى الموت هو من سيجدونه في نهاية المطاف.

بن - ولكن أعتقد عن طريق بعض الإكتشافات الحديثة معرفة مكانها.

- لا أظن فهمي محاطة بحجاب طبيعي يخفيها تحت الأرض..بحيث قد يمر من فوقها أسراب من الطائرات ولا يرونها..جميع الجيوش حول العالم قد يمرون بجانبها لكنهم يجهلون بأنها موجودة يا سيدي..إنها بلاد واسعة وممتدة عبر مساحات شاسعة..هي ليست محروسة منا فقط..إنها محروسة من قبل أكثر الأجناس تطورًا..الذين يراقبون

البشر على سطح الأرض بصمت ويقبعون هناك في مجلسهم..انتظارًا  
لشيءٍ ما.

بعد حوالى عشر دقائق بدأ الجميع فى الشعور بالنعاس مما أدى إلى ذهابهم  
جميعاً إلى أسرتهن فى تمام التاسعة تمامًا.. إلا دان فبعد أن انصرف زملائه  
عاد مرة أخرى إلى الراهب:

دان- وما كهف الشيطان يا سيدى؟

- إنها من الأساطير القديمة أيضًا يا بنى.
- ولكنى وصلت إلى أحد مفاتيحك المقدسة..وأخرج مفتاح كنيسة  
القيامة مما جعل الراهب يهب من مكانه مفزوعًا ليقترّب من المفتاح  
الذى كان بيد دان فمد يده به إليه فأخذه..وبدأ ينظر إليه فى ضوء  
الشموع الموجودة بالمكان.
- إن الضوء ضعيف يا ولدى وغدًا سوف أراه بوضوح..

أخذه دان من بين يديه وأخفاه فى حقيبته وذهب مع أحد الغلمان إلى  
مخدعه الموجود بغرفة كبيرة كان بها بن ونور ولى وحتى سونى أما روز فقد  
نامت وحدها فى غرفة مخصصة للنساء.

\* \* \*

## الفصل الثانی عشر

(لیس کل شیء سىء یحدث بحیاتینا یكون سىء فقط فلا بد أن  
هناك شیئاً ما مبہج بداخله ولكننا لا ندرى كنهه لوجود ما  
یتعبنا.. وأيضاً كل شیء سارّ ومُبہج يحدث لنا یكون معه أيضاً ما  
هو سىء ولكننا لا نتذوق إلا الشىء السار فقط)

obeikan.com

بعد عدة ساعات أفاق دان على يدِ تَرْجُهُ بشدة..واليد الأخرى على فمه كي لا يحدث أى صوت..وعلى ضوء شمعة بسيطة جدًا وجد الراهب هو من يوقظه..مشيرًا إليه أن يتبعه..قام دان على الفور وأخذ حقيبته ولكنه شعر بالفرح من فكرة السير وراءه بمفرده فما كان منه إلا أن وخز نور سريعًا دون أن يشعر الراهب وخرج من الغرفة..كان الراهب منتظرًا دان فأشار إليه أن يقترب وبالفعل بدأ فى المسير داخل المعبد..ومن وراءه نور الذى قفز بخفة وأخذ حقيبته هو الآخر..متابعًا من بعيد ولكنه لم يشعر أبدًا بمن يسير خلفهم..

ظلاً فى المسير قرابة النصف ساعة من غرفة إلى أخرى بداخلها حتى وصلا أخيرًا إلى كوة فى أرضية غرفة بباب خشبى..أشار له الراهب أن يرفعه دان وبالفعل دفعه وهو مسلوب الإرادة تمامًا..ليرى على ضوء الشمعة سُلَّم يهبط بهم لأسفل..اقترب الراهب من السلم وبدأ فى النزول بخفة حسده عليها دان الذى خطرت له فكرة مُفْرِغَةً من الأصل..هل ذلك هو الراهب البوذى الذى كاد يكون كسيحًا منذ عدة ساعات أم شيئًا ما آخر؟ وكيف سار معه كل هذه المسافة دون أن يتبادل معه كلمة واحدة..وأين نور الذى أيقظه قبل أن يخرج من الغرفة..أىكون كان قد عاد إلى النوم؟ أم أنه فى كابوس الآن؟

كان الجو مظلم وشديد البرودة فى طريق النزول الذى استمر لأكثر من خمس دقائق وكلما نزلوا أكثر كلما ازدادت البرودة..كان دان ينظر إلى تلك الفتحة البعيدة فى العلية وَخَيْلَ إليه أن هناك العديد من الأشخاص ينظرون إليهم..ثم أغلق الباب الخشبى فى الأعلى دون أن يلاحظ الراهب الذى بدا فى ترتيل صلوات معينة بصوت أكثر حزنا..وأخيرًا لامست قدماه الأرض وأبصر دان على الضوء الضعيف وكأنه فى ساحة فسيحة بها العديد

من الكهوف..توقف الراهب وبدأ ينظر إلى إحداها وبدأ في التوجه إليها..نظر دان خلفه لم يُبصر جيدًا وخاف أن يَضِلَّ نور طريقه أثناء تتبعه..فأخرج منديله وألقاه على مدخل الكهف الذى شرعوا فى السير فيه..وهكذا ظلوا فى المسير حتى وصلوا إلى دَرَجٍ حجري منحوت فى الجبل..التفت الراهب إلى دان وأشار إليه أن يتبعه مرة أخرى..ولكن دان تجمد مكانه فعلى ضوء الشمعة المتراقصة كانت ملامح الراهب تكاد تكون مختلفة عن الجنس البشرى بأكمله..أغمض عينيه وفتحهما ولكن كان قد تحرك على الدَرَجِ الحجرى مستمرًا فى نزوله مستندًا على الجدار مُطْلِقًا ذاك النحيب مرة أخرى فى صورة تراتيل.

وصل دان أخيرًا إلى أرضية بها العديد من الحشائش والرائحة المُمَيِّزَة للمطر ونظر حوله ولم يجد إلا ثلاث كهوف..اقترب الراهب من أحدها لِيُقَرِّب الشمعة من مِشْعَلٍ بجوار الكهف بينما بدأ خيالهم يتراقص على الجدار الأصمَّ أمامهم..جلس العجوز على الأرض أمام الكهف وبدأ فى الحديث.

- هنا فى أحد هذه الكهوف الثلاثة كان يعيش أحد رهبان التبت وكان يعتزل الناس فى هذه الصومعة..وكان من أشد المتشددىن فى معرفة الطريق إلى الشيطان..أو إلى جوج كما تسمونهم..وبشكل ما توصل إلى أراضيم أو إلى أحد تلك القبائل المنقرضة بداخل الأرض وأحدهم كان يبدأ كشيطان وتتبع الراهب حتى وصل بالقرب من هنا ولكن الراهب قضى عليه وقتله..كان يظنه الشيطان نظرًا لهيئته الغربية..وبعد ذلك استطاع الراهب أن يغلق هذا الطريق إلى جهنم كما أطلق عليه..بحجر ضخم..وبعد ذلك أغلق الكهف بعد أن صنع له باب حديدى وقفلين كبيرين..أشار عليه أحد القساوسة الموجودين فى المعبد وقت زيارته له بعد أن أخبره بهذا السر لأنه كان يسأل عن وجود الشياطين فى

المسيحية فأشار عليه بأن هذان المفتاحان يجب إرسالهم إلى أهم كنائسهم لمنع الشر من الخروج وظل يشرح له المسيح والشيطان ونهاية العالم وكثير حتى أقنعه أن يرسل المفتاحين معه في رحلة أبدية لإنقاذ العالم من كهف الشيطان.. كان مقتنعاً أنه بوضع المفتاحين في كنيسةكم فإنه بذلك يغلق الكهف إلى الأبد.. ولا أدري ما حدث لهم بعد ذلك إلا عندما وجدت أحدهم معك.. لم أتيقن من تلك النقوشات التي كانت مرسومة على مفتاحك جيداً.. لكن بظهور المفتاح نفسه فهذا نذير شؤم لدينا لأنك بذلك أيقظت الشيطان وسمحت له بالإقتراب من مدينتنا.. تعال اقرب الآن ولا تخف وأرني مفتاحك وهل يحمل نفس النقوش الموجودة على مدخل الكهف الموجود أمامي أم لا.؟

أخرج دان المفتاح من الحقيبة بينما اقترب الراهب من الشعلة الأخرى في الجانب الأخر وأشعلها.. وبعد إشعال النار وجد دان أنه في ساحة حجرية فسيحه مثل التي رآها في نينغشيا.. ويوجد بالمكان الكهف الذي يقف أمامه الراهب وعلى يمينه كهفان آخران أحدهما بنفس الحجم والأخر أصغر قليلاً.

أشار الراهب لدان أن يتقدم بالمفتاح ماداً يديه مشيراً إلى النقوش الموجودة أعلى الكهف.. اقشعر بدنه عندما لمح باب حديدي قديم جداً يعلوه الصداً بمدخل الكهف والذي لم يتبينه بسبب الضوء الباهت.. كانت النقوش واحدة بين المفتاح والمرسومة بمدخل الكهف.. اقترب الراهب وأخذ المفتاح من دان وبدأ في وضعه بداخل القفل الموجود دون أن يفتحه.. أشعل البخور وجلس راکعاً ينتحب.

كان الموقف غريباً بكل الوجوه.. وللحظات أدرك دان أنه بداخل كابوس.. مكان كئيب مظلم أمامه.. كهف مغلق ولا أحد يعلم تحديداً ما

الموجود خلفه منذ مئات السنين..وراهب بوذى ينتحب وكأنه في طريقه لانقضاء أجله..وأصوات وهمهمات تأتي من فوهات الزمن السحيقة ولا يدري ما طبيعتها..ووسط هذه المأساة سمع صوتًا مألوفًا لديه:

- كنت أظن أن المفتاح الثاني ليس بحوذتك يا دان.
  - نور..تعال تعال واسمع كل ما قاله الراهب.
  - أنا هنا يا عزيزي ولست وحدى..عندما ايقظتني كان لى منتبها فأتى معى هو وسونى..ولكنى لم أشعرأنى مُرَاقَب إلا بعد نزول المستر بن وروز.
- وما هى إلا لحظات حتى كان الجميع موجودين بالمكان الفسيح وسط اندهاش دان من اجتماعهم بهذا الشكل.

نور- هيا ماذا حدث لما لا تتكلمون جميعًا؟

كان الجميع مندهشين من المكان الموجودين به بينما بدأت روز فى السعال..فاقترب دان من حقيبته ليخرج منديله ليعطه لها..بينما كان الراهب لا يشعر بوجودهم وظل فى نحيبه..وفى خِفِّهِ لم يشعر أحد بدان وهو يدس سلاحه النارى فى ملابسه.

اقترب نور أكثر من الراهب وفتح حقيبته وقتها وقعت المفاجأه على الجميع حين أخرج نور مفتاحًا طبق الأصل من المفتاح الذى كان مع دان واقترب أكثر ليضعه فى مكانه..وقتها صرخ الراهب عندما بدأ نور فى وضع المفتاح وإدراته لفتح باب الكهف حاول أن يمسك بذراعى نور وهو يصرخ حينها أخرج نور سلاحًا نارياً من حزامه وهوى به على رأسه مزيجًا إياه من المدخل..

وكان تلك الإشارة ليحدث ما لم يتوقع أحد حدوثه.. فأخرج بن مسدسه ليشره في وجه نور بينما أخرج لى وسونى اسلحتهم ليشره في وجه بن ودان.. بينما أشهر نور سلاحه في وجه بن..

اقترب دان من الراهب الذى كان الدم مغطى راسه ويبدو أنه فى النزاع الأخير.. اقترب من أذنيه بينما كان السبب بين الجميع هو المسموع مع صراخ روز.. وضع دان أذنه على فم الراهب الذى أمسكه من تلايبه وهو يهمس إليه الكهف الأيسر.. الكهف الأيسر.. ولم تمض إلا لحظات وفارق الحياة.. أخرج دان هو الآخر مسدسه فى وجه نور.. واختبأت روز وراء دان الذى بدأ فى الصراخ وهو يشير لنور:

- نور ما أصابك؟ ولماذا قتلت ذلك المسكين؟ ومن أين جئت بالمفتاح..

بن- أو لم تدرك أيها الاحمق من نور حتى هذه اللحظة.

لى- باسم الحكومة الصينية أحذركم أن تخفضا أسلحتكم.. أنتم على أرض صينية وأى رصاصة ستخرج فإننا جميعاً موتى.. اخفضا أسلحتكما وإلا..... نور- فلتخرس أيها الأبله... نعم يا دان قتلته لسبب أنه لابد من إزاحه ذلك العجوز من أمام الكهف.. ذلك الكهف الذى نسعى إليه منذ فترة.

دان - تسعون إليه؟ من أنتم الذى تسعون؟

سونى - أخفضا أسلحتكما وإلا.....

ولم يكمل سونى فقد أصابه نور فى مقتل فى أقل من الثانية.. ولم يتحرك بن أو دان.. بينما هرعت روز على سونى لتحاول إنقاذه ولكنه كان قد فارق الحياة فصرخت :

- أفيقوا جميعاً ما الذى تفعلونه..؟

وانتهز نور هذه الفرصة التي أتت له على طبق من ذهب فاختطف روز واضعاً مسدسه على رأسها مُهَيِّدًا الجميع بأن يلقوا أسلحتهم وإلا قتلها على الفور..حاول لى أن يتقدم ناحيته ولكن علم أنه سيفشل فألقى بسلاحه على الأرض..وكذلك فعل بن..بينما جاءت الفرصة لدان أن يصيبه في مقتل عندما أولاه ظهره..وفعالاً ضغط على الزناد.

\*\*\*

سمع نور صوت ارتطام أجزاء المسدس الفارغ من طلقاته فنظر على دان وركله بقدمه في مسدسه مُلْقِيًا إياه بمدخل الكهف..نظر دان إلى لى الذى بدا عليه الندم لاضطراره إعطائه مسدسًا دون طلقات خوفًا من سوء استخدامه.

أخرج نور حبلًا من حقيبته صارخًا على دان بأن يتقدم ويُقَيِّد أيدى بن ولى وروز.

روز- من أنت ولماذا تقيدنا هكذا يا نور؟

بن- إنكم جميعًا مُعَقَّلُونَ..كيف لا تدرّون إلى الآن..منذ أول لقاء بيننا وأنا لم أسترح لهذا الشخص.

نور- هل لك أن تخرس أيها الكلب أم أُخْرِسُكَ بمعرفتى؟

لى- صدقنى..سوف تدفع ثمن قتلك لسونى أيها التعس.

نور- من أنت يا لى؟ وما الذى أقحمك فى ذلك؟

كان دان يقيد بن فأحكم وثاقه بينما لم يُقَيِّد لى بالقوة الكافية ونظر فى عينية ليفهم لما فعل ذلك..انتبه لى على صوت نور فأجابه.

لى - أنا من ضباط الجيش الصبى وكذلك سونى..وأعتقد أن وجود بعثة برىطانية لتكشف عن آثار بعض القبائل المنقرضة فى أراضينا الصبىة كان لابد أن أتحرى عن الموضوع وكان لابد أن يكون أحد عيوننا معكم وإلا وجدنا ما لا يحمد عقباه..لقد عانينا الويل بسبب حروبكم البغىضة وطمعكم الذى لا حدود له فلماذا تأتون إلى بلادنا لكشف ما هو مُقدَّر أن يظل مختلفياً إلى آخر العمر.

نور- وجهة نظر منطقية جداً ولذلك أنا لا أحمل لك أى صبغينة يا مستر لى..وكل ما تراه هو مجرد سوء تفاهم سوف يزول فى أقرب فرصة.

بن - ( ضاحكاً )..أنتم جميعاً أغبياء..إنه...

لم ينتظر نور أن يكمل بن بقية جملته وإنما اقترب منه واضعاً فوهة مسدسه على جبينه قائلاً:

- ألم أحذرك أيها الإنجليزى السمج؟

وأعقبها بطلقة من مسدسه فى منتصف جبهة بن أوليفر الذى انفجر مخه أمام الجميع وسط صراخ روز التى كانت لم تُقَيِّد إلى هذه اللحظة وكانت هذه إشارة لتبدأ صراخها الهبستبرى.

اقترب منها دان سريعاً كاتماً صوتها بدلاً من أن يُسكِّتَها نور إلى الأبد..فصمتت وهى تنتحب على ما صار إليه الوضع.

اقترب دان من نور الذى لا يزال يمسك مسدسه فَحَدَّرَهُ نور ألا يقترب ويجلس صامتاً فى مدخل الكهف..اقترب نور من باب الكهف وحاول أن يدير المفتاح لكنه وجد صعوبة شديدة.

دان- نور.. أنت لا تفهم.. هذا الباب لا يؤدي بك إلا للشيطان.. هذا الكهف ليس وراءه أى مملكة فاضلة بل بعض القبائل البربرية المتوحشة..

- هل لك أن تصمت.. أنا أحاول تجربة المفتاح ليس إلا؟ أما من وراءه فتلك نتركها لوقتٍ آخر.. سوف أعود إليه وقتاً ما مع فريق علمى مختص.

- كيف وصل لك المفتاح يا نور؟

- دان.. أرجو أن تمسك أعصابك جيداً ولتعدرنى عما أفعله أو سأفعله أو فعلته.. أنت لو كنت مكانى ستفعل كل ما قمت به.

- ولكنك قتلت أمامى رجلان يا نور وإسلامك يَحْطُرُ قتل النفس على ما أعتقد.

- عزيزى أنا لست بمسلم بل مسيحي كاثوليك.. ودينى يحرم القتل كما فى الإسلام الذى لم أدرى شيئاً عنه وأنتم لم تشكون لحظة أنى مسلم.. بل إنك لا تدري كم من الأرواح التى قمت بإزهاقها فى مهمتكم تلك ؟ لا أفهم.

- سأبدأً معك من البداية.. أنت لا تفهم لأنى لست من بلاد الشرق الأدنى أو كازاخستان بل اسمى هاينز جوكونوف من ضباط جيش الرايخ الثالث بقسم الأبحاث العسكرية.

- روز- ماذا؟ كيف؟ وأين نور إذن؟

- نور الحقيقى لقى مصرعه بعد تعذيبه داخل معسكراتنا النازية وأشرفت على تعذيبه بنفسى حتى أستخلص منه أى معلومات قد تشير إلى طبيعة الأبحاث التى يقوم بها ذلك الغبى الذى نجح فى خداعنا جميعاً وظننا فعلاً أنه لقى مصرعه فى تلك الليلة المشؤومة فى المعسكر.. وخاصة عندما وجدنا الجثة محروقة ومقطعة لآلاف

القطع.. ألقينا القبض على نور ولم نعثر معه على أى شىء ولكننا وجدنا رسالة من كلمتان لم نفهمها ملقاة بجوار المنطقة التي حاول أن يهرب منها..واجهناه بكل شىء ولكنه لم يعلم كما يبدو فكان علينا التخلص منه والبحث بمفردنا عن أبحاثه ومحاولة استكمال ما كان يقوم به معنا من تكوين الإنسان المُقاوم للأمراض..كخطوة لجعل الإنسان لا يقهر.

دان- وعندما فشلتم كان عليكم أن تخذعوا الجميع بإظهار نور وإعادته للحياة مرة أخرى..

- تمامًا وخاصة أن لا أحد يعلم نور الحقيقي إلا إدوارد..وكان لابد من إعادته للحياة..عندما بحثنا في جامعة هارفارد وعلمنا أن ادوارد كان في منحة مع زميل له..وعلمنا أن هذا الزميل على قيد الحياة وكان لابد من مقابلته لعل لديه ما يخفيه.

روز- وهكذا انضمت إلى البعثة.

- بسهولة لم أكن أتخيلها..وكل الأخبار كنت أنقلها إلى الجيش الألماني يوميًا..كل ما كنا نقوم به أو أسمعته كان لابد من نقله سريعًا..

- نعم نعم..بداية من ذلك الرجل الذي اصطدم بك في ساحة القديس بطرس كان أحد الألمان الذي طاردك بعدها.

- نعم يا دان كان لزامًا علىَّ أن أخبرهم برحلتنا في الغد من مقابلة الأب بوتشلينى وكنت أخبرهم بضرورة محاولة القبض علىَّ وهروبى منهم حتى يتسنى لى إخبارهم بكل ما حدث.

- وكانت تمثيلية الهروب منهم والقبض عليك لتستغل أنت هذه الفرصة لسرقة المفتاح المقدس الذى أخبرنا بقصته الأب وقتها..وسرقت أيضًا

بعض النصوص الهامة والتي تُبيِّن الدور السيء الذى يقوم به اليهود وسيقومون به فى المستقبل وفى أقرب وقت أرسلت كل تلك الأوراق الهامة إلى قيادتكم واحتفظت بالخاتم لنفسك.

- تمامًا ولكنك نسيت أن الأب بوتشلينى لم يُيسِّر لى إعطائى الأوراق فكان لابد من التخلص منه..ليلتها أرسلت الأوراق مع زملائى لعرضها شخصيًا على قائد وحدة الأبحاث العسكرية مع توصية منى بإرسالها إلى هتلر شخصيًا..وشرح الدور اليهودى الماسونى القذر فى الخفاء..أما احتفاظى بالخاتم فهذا سبق لى لم يصل إليه أى عالم فى الجيش الألمانى ولذلك سأستمر حتى أصل لتلك الشاطين خلف تلك الجدران.
- دان - وبنفس المنطق سرقت الخاتم.

- كان لابد من سرقة يا دان..حتى أبعثه فورًا إلى قيادتى لإرساله مع مندوبين خاصيين من هتلر إلى الدلاى لاما كما علمتم ولكنى اندهشت بعد علمى أنهم لا يدينون بتلك الديانة أبدًا..هنا أدركت حجم الخطأ الذى قمت به وكان علىَّ أن أتابعك فى كل خطوة تقوم بها.
- ولماذا كنت تريد التخلص من بن أغلب الوقت؟
- بغض النظر عن أنه بريطانى الجنسية فهو من رجال الجيش السابقين..هذا سبب رئيسى يجعله عدوًا لى منذ أن وقعت على عيناه..وصدقتى إن لم أتخلص منه أولًا كان سيتخلص منى.

روز- ومحاولة تسميمك أهو من قام بها؟

- لا يا مس روز..تلك أخر مسرحية قمت معكم بها..فقد بلغنى وأنا فى الفندق عن عودة ادوارد إلى الحياة فى لندن وسفره إلى بكين ونزوله باسم مستعار فى الفندق ذاته..مستر أليكس رودفايدرلر..أليس

كذلك؟ فكان لابد من قتله وحتى لا ألفت الأنظار إلىّ فقامت بأخذ قرص مُعَيَّن أحتفظ به لهذه الأسباب وكانت أعراضه مُشابهة تمامًا للتسمم.. حتى أختفى عن مقابلته في أول الأمر.

- وخرجت من المستشفى وقتلته.
- لا يا دان قتله أحدهم بناءً على أوامري..بم تفسر عندما تقع عيناه على ويفسد كل ما خططناه؟
- أنا لا أصدق يا..لقد نسيت اسمك..أقامت بكل هذه الجرائم من أجل مجرِّ زائف وهذا المفتاح الذى سيفتح لك وابلاً من الجحيم خلفه؟
- هذا شأنى أنا..يكفى ما حققته من أمجاد.
- أئى أمجاد أيها الأحمق..؟ أمجادك بنيتها على جثث العديد من الأبرياء.
- لكل حرب ضحاياها يا دان..يكفى أننى كشفت أمام العالم كذب اليهود وادعائاتهم وحركتهم الماسونية..يكفى أن كل مخططاتهم الآن في مقر الرايختساج الألماني.
- ألم تفكر في عاقبة فعلك على اليهود المساكين الذى ليس لديهم أى نوازع استعمارية أو أى مطمع سوى العيش بسلام؟
- أنا لست أبله مثلك يا دان..يكفى دورهم القدر في الحرب العالمية التى عصفت ببلادى..أنت لا تعرف ما الذى فعلوه وسيفعلوه..أنت مدافع عنهم لأنك إنجليزية..هل لو كنت عربياً مثلاً كنتيجة لوعدكم المشنوم بلفور هل كنت ستدافع عنهم..؟ أليس للعرب نفس الحقوق ليحلموا بأن يعيشوا بسلام في أراضيهم ؟ أم تناسيت ما فعله قرنائك؟
- إننا لسنا هنا لتدوال قضايا الأمم..إننا نريد الخروج من هذا المأزق بسلام جميعاً.
- جميعاً...أنت لا زلت أبله يا دان ..أنسيت ما فعلته بك تلك الحقيرة؟
- أنا لا أسمح لك بأى كلمة عن روز.

- سحَقًا لك أيها التعس.. واستمرى أيتها الحمقاء في خداع هذا الغيى.
- روز- لا أسمح لك.
- دعونا من هذه الخزعبلات .. والآن يا دان هل لك أن تقترب وتحاول أن تفتح الباب المغلق.

لى - لا تنس أيها الغيى أن الباب مغلق منذ مئات السنين.. فكيف تتوقع أن يفتح بهذه السهولة بالإضافة أن هناك العديد من الأحجار والطحالب وكنتيجة للزلازل لابد وأن مدخل الكهف ذاته تم ردم أغلبيه.

اندهش هاينز من حديث لى فاقترب قليلاً من مدخل الكهف ليتأكد مما هو موجود.. وهذا ما كان يتمناه لى الذى كان متحرراً من قيده وفى أقل من ثانية قفز على هاينز ليرطمه بكل قوة فى الباب الحديدى مما أفقده الوعى سريعاً.

وقتها شارك الجميع وفى أقل من دقيقة تم تقييده فى الباب المغلق تمهيداً لإحضار الشرطة لإلقاء القبض عليه لارتكابه جريمى القتل التى اقترفهما أمامهم بالإضافة إلى سلسلة من الجرائم كان قد بدأ يعدها فى خياله.. اقترب دان من الكهف الأيسر مُقَرَّبًا الشعلة داخله فلم يجد سوى ممر يهبط به إلى أسفل.. تسائل فى نفسه هل يهبط إلى الأسفل ولتستمر معاناتهم وضبياعهم أم يضع حدًا لكل شىء الآن؟

لى- مستردان.. مس روز هل لنا أن ننصرف الآن لإحضار الشرطة قبل أن يفيق هذا المختل..؟

دان- وكيف سنعرف طريقنا فى العودة يا لى..؟

لى- اثناء نزولى كنت اترك علامات معينه وان تتبعناها فسنصل الى حجرة القرايين..هيا بنا..

وبالفعل أخذ كل منهم حقيبته وألقت روز نظرة وداع على جثمان بن وهى تبكى..سار الجميع وراء لى الذى كان يقف برهة وينظر فى أرجاء المكان حتى يهتدى إلى الأثر الذى تركه..وهكذا حتى وصل الجميع أخيرًا إلى حجرة القرايين والتي بدأت منها رحلتهم الليلية.

خرج الجميع خارج المعبد..بينما كان لى يتحدث مع أحد المرشدين السياحين وأخر من رجال الشرطة الذى بدأ فى الصباح على العديد من قرنائهم.

اقترب لى من دان وروز:

لى- ستهبطون حاليًا مع المسترجون ماكبث وهو مرشد سياحى لفوج أمريكى وأخبرته أنكم مفقودون منذ أمس..وأنا نجحنا فى العثور عليكم..سيقوم بإيصالكم إلى الفندق ربما نحتاج منكم بعض الإيضاحات فى قسم الشرطة..والى هنا أعتقد أن رحلتى معكم قد انتهت..لقد مررنا بأوقات صعبة وأحيانًا أوقات سعيدة..لكن من فضلكم لا تتحدثوا عن أسرارنا المقدسة..لا نريد أن يأتى كل مهووسى العالم للبحث والتنقيب على مدينة لا توجد إلا فى خيال الرهبان فقط..فالمدينة الفاضلة لا توجد إلا فى الجنة..يكفى ما صار من ضحايا للبحث عن أسطورتكم المزعومة أنعدانى بذلك؟

دان- نعم يا مستر لى..لن نخبر شخصًا بالعالم على ما رأيناه أو سمعناه..يكفى ما للعالم من دماروما سوف تقوم به النفس البشرية الأمازة بالسوء دائمًا..لن نخبر أحدًا بذلك..وأنا في غاية الشكر.

لى- الشكر؟ لماذا؟

دان -أتعلم يا لى..كنا نعتقد أننا البشر الوحيدون على الأرض ونطمع أن نُهَيِّمَ على كافة المخلوقات بجبروتنا ونوازعنا الإنسانية المختلة في بعض الأحيان..علمت أننا من أتفه ما يكون على هذا الكوكب..أتعلم أيضًا قبل أن أبدأ رحلتى للبحث عن أصول تلك القبائل كنت لا أدري أن هناك خالقًا أعظم للكون بأكمله..كنت أحاول أن أجد مبررات لأى شىء غامض وأنسبه إلى العلم..لكنى تعلمت منكم ومن الرهبان والقساوسة والتعاليم اليهودية والإسلام..أن هناك ربًا واحدًا لكل هذه الأديان وإن اختلفت الطرق للوصول إليه..لا يهيم من أوصل اليك الفكرة ذاتها ولكن هناك إله واحد لكل تلك المخلوقات والتي خلقها وأوضع بداخلها سره الأبدي..الروح يا لى..هل يستطيع العلم خلق روح؟

لى- إن مكوثك في الصين يبدو أنه أضاف الروحانية إليك يا مستر دان..اعذرانى فعلىّ النزول لإلقاء القبض على هذا الألمانى المجنون..خذنا حذركما أثناء النزول..وأتمنى أن أراكم في زيارتكم القادمة.

كانت الساعة تقارب الثامنة والنصف صباحًا عندما بدأ الجميع في الهبوط على الدرج الحجرى المخصص للنزول من جبل كانغشينجونغا.

- لقد أصبحت شديد الرِّقَّة يا دان..؟ لم أعلم فعلاً أن تلك الرحلة غَيَّرت قلبك وجعلته بهذه الشفافية.
- أنا نفسى لا أعلم كيف تغيرت بهذه الدرجة يا روزى..ولا أعلم كم كنت غيباً في الماضى للحكم على أشياء بطريقة سطحية..هناك شيئاً آخر تعلمته..ليس كل شىء سىء يحدث بحياتنا يكون سىء فقط فلا بد أن هناك شيئاً ما مبهج بداخله ولكننا لا ندرى كنهه لوجود ما يتعبنا..وأيضاً كل شىء سار ومبهج يحدث لنا يكون معه أيضاً ما هو سىء ولكننا لا نتذوق إلا الشىء السار فقط..
- لا أفهمك يا دان ..
- كانا قد وصلا إلى أسفل الجبل وفي انتظار الحافلة للقدوم..وما أن أتت حتى اقترب دان من روز وأعطى لها حقيبتها التى كان يحملها لها قائلاً:
- هنا تنتهى رحلتنا سوياً يا روز.
- بمعنى؟
- لم أحب بحياتى شخصاً مثلك..ولم أتمنى أن أفضى بقية عمري مع غيرك ولكن هناك أشياء كثيرة تبدلت بداخلى..لا أستطيع الإستمرار معك..ربما كنت مختلاً..ربما سألوم نفسى آلاف آلاف المرات..لكن الآن أصبح لدى القدرة أن أوقف مشاعرى عند حَدِّ مُعَيَّن..
- روز(وبدأت فى البكاء)- دان أنا أعتذرلك عن كل ضيق سببته إليك وكل كلمة خرجت منى دون قصد..بالله عليك تعال معى فأنت صديقى الوحيد..وبدأت فعلاً أشعر أن لك دوراً بحياتى القادمة فلا تتخلَّ عنى.
- أنا لا أتخلى عنك..إنما غشاوة فقط كانت على عيناي ولم تلبث إلا أن انزاحت..سأظل أحبك حتى آخر نفس بحياتى ولكنى لا أستطيع..

- فلتأت معي..لنكمل أبحاثنا سوياً..لقد وصلت إلى شوط هائل في الأكواد الوراثية وهذا البحث سيغير وجه العالم المائة سنة القادمة..فلتأت معي وتشاركني كل شيء.
- أنا على تمام الثقة أن العالم كله سيتذكر من البروفيسورة روزاليند فرانكلين..سأتابع أخبارك دائماً وسأظل أدعو لك بقلبي..بلغى سلامى لألبرت وأخبريه أنى عرفت الله أخيراً..
- أبلغ سلامك..؟ ألن تأتى معى حتى إلى بريطانيا.؟
- لا يا روزى لقد عشقت هذه الأرض..ووجدت روى هنا وعن طريقها سأصل حتماً إلى الله..سأبحث فى الأديان..سأقترب أكثر من المعابد والكنائس والمساجد..تلك هى الدعوة الثالثة التى كنت أنتظرها من مريم المقدسة..
- إنك تقول ألغازيا دان..
- لا يا روز فقد كانت الدعواتان المتبقيتان أن أجد الله وأن.. أن.. أشفى منك..
- أفاقوا على صوت المرشد الأمريكى يَحُثُّهم على الرحيل..اقترب دان من روز وأمسك بيديها وطبع قبلة على كفها مودعاً..ثم أولاها ظهره حتى لا ترى تلك الدموع إلى انفجرت بعينيه أخيراً.

\*\*\*\*

كان لى يصرخ فى الؑمىع..ظل بىبؑ مراء ومراء على تلك الأءاراءى ءركها فى طرىقه للزلزل ولكنه لم بؑء أى أءر..بءأ البءء مراء أخرى فى ؑبءة القراءىن ؑءى وصل إلى الكوة الموءوءة بآءى الءبراء..وعنءما هبء الؑمىع فى الكوة..لم بؑءوا سوى ؑوائء صمءاء مما زاء من ؑنونه وأصرء على إعاءة البءء منذ البءاءة ؑءى فطن الؑمىع إلى وءوء فءءة فى مكان ؑانبى عن طرىق أءء الءهبان البوءىىن الءى أءبءه ءان على القءوم معه لىءمل ؑءة الراءب العءوز..ءءل الؑمىع فى فءءة الكهف واستمروا فى الءءول ؑءى وصلوا ؑمىعآ بعء فءءه إلى مسرء أءءاء اللىلة الماضىة..ءءولء العرفة إلى نهار ؑنءىءه للضوء الساطع للمصابىء الءى كان بءملها الؑمىع واقءرب الراءب من ؑءة زمىله وقء بءأ فى النءىب .. واقءرب لى أكثر إلى مءءل الكهف والباب المءلق لىنظر ببلاهة إلى الباب الءىءى وىءءمء فى مكانه فقء كان الباب مفاءآ من ؑءء صءىء ولا أءر لهاىءز ولا ؑءىبءه ولا للمفاءان.

\*\*\*

فرء ءان من بكائه وهو لا بزال ؑالسآ على ؑرسىه الرءامى ومء يءه ببءىبه لىءءر مءءىله..ولكنه لم بؑءه فءءءر أنه أعطاء لروز وهى ءبى..وبءلقانىة مء يءه إلى الءانب الأءر لكنه وءء ورقة ما مطوىة..ولا بءرى مءى ومن وضاءها فى ؑبىبه..كانء الورقة عليها أءار ءماء فارءءف قلبه سرىعآ وهو بءءءر الراءب العءوز الءى كان بمسكه أثناء اءءضاره..فىبءو أنه وضاء الورقة ءون أن بءرى ءان..

فتح الورقة ونظر فيها مليًا لكنه لم يفهم ما هو موجود بها فقد كانت بالصينية وبها خريطة لمدينة ما بالقرب من أحد الجبال والكهوف والتي تبدأ من مكان ما قريب حيث رسم المعبد على يسار الورقة من أعلى..حاول أن يفهم أكثر ولكن اللغة كانت حائلًا أمامه قلبَ الورقة الناحية الأخرى فوجد كلمة بالإنجليزية لم يتبينها لأول وهلة ولكنها قلبت عقله رأسًا على عقب:

( شامبالا )

دق قلبه بعنف..وضع الورقة في جيبه..استقر بضع دقائق مُفَكِّرًا..نظر إلى حقيبته والجبل الشاهق أمامه..وما هي إلا ثوانٍ حتى كان يصعد درجه الحجري..

النهاية

\*\*\*\*

## الكتب والمراجع

- الكتاب المقدس..... الترجمة السبعينية
- تفسير سفر حزقيال.... رشاد زكري
- تفسير سفر الرؤيا.... ناشد حنا الطبعة الثالثة 2004
- شرح الكتاب المقدس - القمص تادرس يعقوب
- أطلس الكتاب المقدس - ه. ه. رولى - دار النشر المعمدية 2001
- تاريخ الأمم والملوك... للطبرى
- فتوح البلدان ..أحمد بن يحيى البلازرى- مكتبة الهلال بيروت
- 1988
- تاريخ الإنسانية وأبطالها..محمد رضا - دار أجيال المستقبل للطباعة والنشر 1985
- فك أسرار يأجوج ومأجوج - حمزة أبو اليزيد
- يأجوج ومأجوج قادمون..هشام كمال عبد الحميد.. دار الكتاب العربى للنشر والتوزيع
- يأجوج ومأجوج ...حسن زكريا فليفل - مكتبة ابن سينا، الطبعة الأولى
- الصين سيرًا على الأقدام..د/ أحمد عبد الهادى
- كفاحى ..أدولف هتلر
- الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ..عبد الوهاب المسيرى

obeikan.com

# نبذة عن الكاتب

عمرو محمد مرزوق

كاتب وروائي مصري من مواليد محافظة الغربية ومقيم بالقاهرة  
ماجستير في القانون الجنائي جامعة القاهرة ومُقيّد بالدكتوراة بجامعة  
عين شمس

له العديد من الأعمال في أدب الجريمة :

دقات العاشرة..- طقوس..

لتحميل الروايتين بي دي إف موجودة في مكتبة جروب عصير الكتب

- سيول الدم.

- ضحية الجنون..

## أول الأعمال المطبوعة

- أناشيد الموت إصدار دار اكتب 2014 - ميدوم إصدار دار "ن" 2015

\* للتواصل مع الكاتب الأكاونت الشخصي..

<https://www.facebook.com/amr.m.marzouk>

\*صفحة الكاتب على الجود ريدرز باسم : عمرو مرزوق

البيدج الأدبي للكاتب باسم : عمرو م. مرزوق

obeikan.com

## شكر خاص

وكالعادة لا يسعنى إلا أن أهدى هذه القصة لأشخاص كان لهم أكبر الأثر في تشجيعى ووقفوا بجانبى في كل الأوقات فعذرًا لكم ولكنى أود أن أشاركهم لحظات النجاح:

- أسرتى الكبيرة من دارن.
- أختى الجميلة برديس محمد ومراجعتها النص مرات عديدة.
- أصدقائى المتميزين شكرًا لما أمدتمونى به من معلومات ولولاكم ما ظهر هذا العمل:

باسم محمود الشبراويشى .... د/ميرفت صلاح....محمد شادى

- أصدقائى الأدياء:
- وائل الخطيب..رحمة أنور..الشيماء عبد العال..محمد مسعد.. شيماء حسن.
- أصدقائى الغاليين :

داليا غنيم ..مي مصطفى..شاهى حسين..زياد شحاتة..ريم الصياد  
إيمان هاشم..هند البننا..لبنى إبراهيم..هيثم حسن.. عمروم. حسين  
شوشو وجميع قططى..

شكرا لدعمكم المستمر ليل نهار.

obeikan.com

## إهداء خاص جدا

روح (ميرهان ياسين)..كنت تتمنى تكملة قراءة الرواية..لكن القدر كان  
أسبق منك وكنت أتمنى وجودك بجوارى فى هذه اللحظة ولكن....  
روحك لن تفارقنى...أبدًا  
روح صديقتى الغالية (د/ غادة نجيب)..سيظل مكانك فى قلبى دائماً.  
وأخيرًا وليس آخرًا أستاذنا ومعلمنا ووالدنا الروحى حسام حسين صاحب  
الفضل الأكبر.  
أهديكم جميعًا هذا العمل المتواضع..

عمرو م. مرزوق

شامبالا

2016

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر



Noon\_publishing@yahoo.com

ت-02-35860372 011-27772007